

الكتاب السبعون - أكتوبر ٢٠٠٧

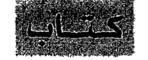
المجلات الثقافية
مهمة الإصلاح وسؤال المعرفة

(الجزء الثاني)

المجلات الثقافية
مهمة الإصلاح وسؤال المعرفة

الجزء الثاني







سلسلة فصلية تقدم مجموعة من المقالات
والموضوعات لكاتب واحد
أو موضوعا واحدًا تتناوله عدة أقلام.

عنوان الكتاب: المجلات الثقافية ... مهمة الإصلاح
وسؤال المعرفة «الجزء الثاني»
تأليف: نخبة من الكتاب العرب
الناشر: وزارة الإعلام - مجلة العربي
الطبعة الأولى: ١٥ أكتوبر ٢٠٠٧

رقم الإيداع في مكتبة الكويت الوطنية:
Depository Number: 2007 /40
ردمك: ٧-٢١٩-٠-٩٩٩٠٦-٩٧٨
ISBN: 978 -99906-0-219-7

العنوان: ص.ب: ٧٤٨ الصفاة -
الكويت - الرمز البريدي: ١٣٠٠٨
بنيد القار - قطعة ١ شارع ٤٧ - قسيمة ٣

Al -Arabi Book, 70 th
Cultural magazines... The task of Reform and
the question of knowledge «part2»
15 october .2007
Publisher: Ministry of Information
AL-Arabi Magazine.

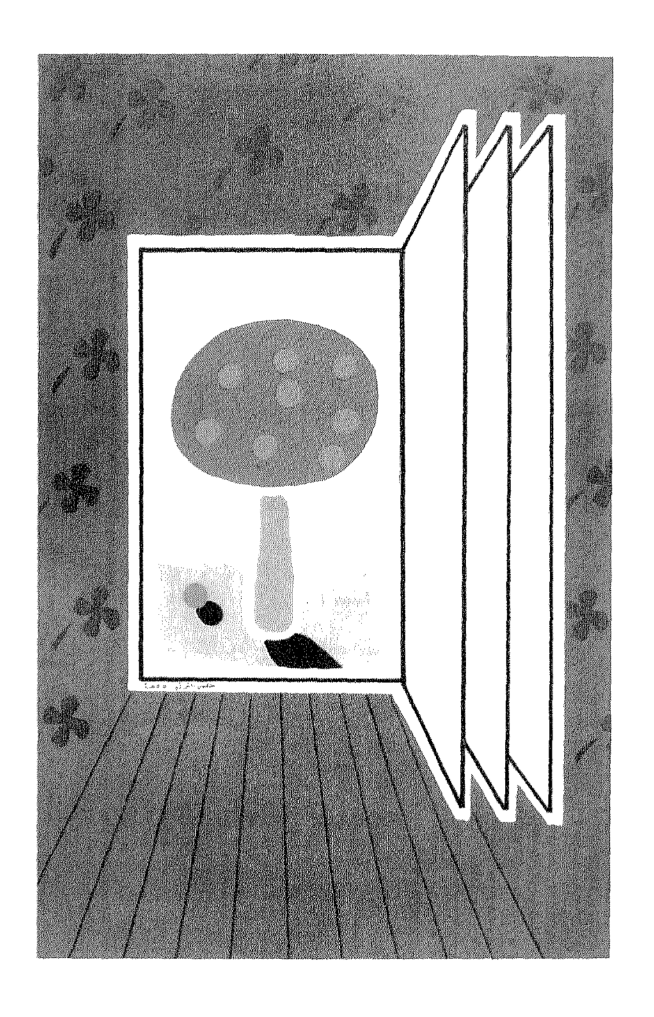
E. mail: alarabimag@alarabimag . net

الغلاف: رسم الفنان : حلمي التوني
تصميم الكتاب : حافظ فاروق

المجلات الثقافية

مهمة الإصلاح .. وسؤال المعرفة

الجزء الثاني



المحور الأول

مجلات الخليج العربي شاهد على التطور الثقافي والاجتماعي

- د. محسن بن حمود الكندي
- عبدالله الصالح العثيمين
- أحمد الديين
- د. نواف عبد العزيز الجحمة
- د. محسن الموسوي

الصحافة العمانية ودورها في الإصلاح الثقافي

صحيفة «الفلق» نموذجًا

د. محسن بن حمود الكندي *

تتسم ملامح البيئة الثقافية في عمان في القرن العشرين بأشكال متميزة تمتد على مساحات تاريخية وجغرافية واسعة، ويمكننا أن نقف على تلك الأشكال من خلال دراسة الصحافة باعتبارها أهم مصادر التيارات الثقافية المساهمة في صياغة الخطاب الثقافي الحديث وبلورة دور الإصلاح والتنوير. وسوف يكون وقوفنا عبر اتجاهين عرفتهما عمان في تاريخها، وهما المهجر، والموطن، كما أننا سنستظل بمرحلتين حاسمتين في تاريخ الحياة الثقافية في عمان وهما: مرحلة ما قبل النفط، ومرحلة ما بعد النفط. النفط كما يعرفه الدكتور إبراهيم غلوم: «ليس مقصودا هنا لذاته» كمادة خام «وإنما لأنه محرّك أساسي لمظاهر الحياة المختلفة، خاصة أن تأثيراته على الحياة الثقافية متصلة بمفاهيم إيجابية وأخرى سلبية، فالأولى جعلت منه مصدرا حديثا للطاقة والثروة، وميدانا عريضا لنشاط القوى العاملة، ومحرّكا للإنتاج الجديد، وظرفا تاريخيا حاسما لسلسلة من التغيرات السكانية ولظهور حركة التحديث والتنمية والانفتاح» . أمّا الثانية فترجع إلى

* كاتب من سلطنة عمان.

خلق أشكال التوتر والصراع؛ والتسريع، والهوة الثقافية، والانقسام بين القديم والحديث، والصراع بين التقليدي والمحدث، والرسـمي والشـعبي...». ونحو ذلك من المعضلات ذات الصلة المباشرة، وغير المباشرة بالحياة الثقافية، التي لا تعدو أن تكون خيطا من خيوط الواقع الثقافي وبيئة خصبة للإصلاح.

أمّـا الإصلاح الثقافي فنعني به المرادف للتنوير، وهو ما عرفه الباحثون بـ «أية ممارسـة فردية، أو جماعية، أو خطابية، أو مؤسسـية تهدف إلى تحويل بعض الأفكار، وبعض المعتقـدات، وبعض القيم التي نعتقد أنها «تنويرية» إلى مشـروع، أو برنامج يهيمن على غيره، سواء بهدف تهميشه، أو بهدف نفيه، أو محوه، وإزالته، ويمكن اكتشـاف تجلياته في نماذج معينة من الصحافة، ولكن قبـل بيـان مظاهره في الصحافة لا بدّ أن نطرح أسـئلة تتصل بمدى تحقيق صحافتنـا العمانية لهـذه الأهداف، وما هي النماذج الأكثـر وعيا بها ؟، وما مكونـات هذا الإصلاح وما حـدوده ؟، وأخير ما هي العوامـل التي أدت إلى ذلك ؟

والإجابة مرهونة باستقراء أطروحات هذه الصحافة عبر محوريها المحلي والمهجري:

أولا: الصحافة المحلية في عمان:

ارتبطـت الحياة الثقافية في عمان بتاريخ الصحافة؛ ذلك التاريخ الذي بدا قاتما في مراحل، ومشـعا في مراحل أخرى، وفي ظِل هاتين الصورتين يمكن تمييز مرحلتين هما مرحلة البواكير والريادة ونسـجل فيها سبقا تاريخيا على المسـتوى الوطني يعكس معادلة الريادة المسّجلة لبعض دول الخليج (البحرين والكويـت)، ومرحلة الازدهـار والتطور ونبرز فيها أوجـه النمو المطرد الذي شـهدته الصحافة العمانية في نهضتها المعاصرة (١٩٧٠ - ٢٠٠٦)، وكل ذلك في سياق بيان المرجعيات والخلفيات التاريخية لدور الإصلاح والتنوير:

أ - الصحافة العمانية في مرحلة البواكير:

نسـجل لصحيفـة «فتح البصائـر» التي صـدرت في مسـقط بتاريخ ٢ يناير١٩٠٠ (٥) سبقا يؤرخ بداية صدور الصحافة في الخليج العربي ويناقض ما أشـار إليه بعض الباحثين، بأن مجلتي «الكويت» التي أصدرها المؤرخ عبد العزيز الرشيد عام ١٩٢٨، و«صوت البحرين» التي أسسها عبدالله الزائد عام ١٩٣٩ - رائدتـا الصحافة في الخليج. كما نثمّن الجهود التي بذلها العمانيون

في إصدار الصحف في ذلك الوقت العصيب، والتي من بينها صحيفة «الحق» في مسقط في أوائل الثلاثينيات ، وثلاث عشرة صحيفة تعود أقدمها إلى عام ١٩١١، وهي على التوالي: النجاح ١٩١١، النادي١٩١١، ، اللواء (١٩١٥ تقريبا)، الجريدة الرسمية (ملحق الجازيت) ١٩٢٥، الفلق ١٩٢٩ زنجبار ١٩٢٩، الإصلاح ١٩٣٢، الشروق ١٩٤٥، النهضة ١٩٤٩، المرشد ١٩٥٤، المعرفة ١٩٥٧ الأمة ١٩٥٨، مجلة المعلمين ١٩٥٨.

أمّا في مجال توزيع الصحف، فقد توصّلنا إلى أن أقدم الصحف التي كانت تصل إلى مسقط وتوزّع فيها هي صحيفة «الفيحاء» الصادرة في بيروت عام ١٩٢٩ . وكذلك الصحف التي كان يصدرها بعض أعلام الإباضية من مثل صحيفة «الأسد الإسلامي» التي أصدرها سليمان الباروني في القاهرة عام ١٩٠٨، وصحيفة «المنهاج» التي أسسها أبو إسحاق اطفيش عام ١٩٢٥، فمثل هذه الصحف وغيرها كانت تصل إلى عمان وتوّزع فيها ولو بشكل غير منتظم.

وتجاوبا مع آفاق الحياة الثقافية، كان بعض المثقفين في عمان يراسلون هذه الصحف وينشرون فيها بعض إنتاجهم الفكري، ونحن نقع على إحدى وعشرين قصيدة وخمس وأربعين مقالة متنوعة نشرت في صحافة وادي ميزاب بالجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين، وذلك على النحو التالي:

الصحيفة	عدد القصائد	عدد المقالات الأدبية
النور	٣	٤
الأمة	٣	٣
المغرب	٣	٦
وادي ميزاب	٦	١٦
البستان	٢	٤
النبراس	٣	٨
الفرقان	١	٤

ولم يقتصر تفاعل العمانيين مع الصحافة على تلك الصحف فحسب، وإنما تابعوا مجلة «الكويت» ووجدنا بعضا من أعدادها في مكتبات المشايخ وقد نشرت لأبي مسلم البهلاني قصيدته «النونية، كما أن بعض قضاة مسقط كانت تصله مجلات وصحف: «المنار» و«الأهرام» و«الهلال» و«الرسالة» و«الكويت» وبعض الصحف التي كانت تصدرها الجمعيات الإسلامية في الهند.

ومع بداية الستينات من هذا القرن زاد اهتمام الناس بالصحافة، فقد توسّعت مداركهم، وتطور وعيهم بحكم خروجهم إلى مختلف الأقطار العربية والتحاقهم بالمدارس والجامعات، ومنهم من وجد في نفسه القدرة على الكتابة، وأخذ ينشر في الصحافة العربية، وقد تدفقت على مسقط - التي غدت عاصمة عمان الموحدة - الصحف بمختلف اتجاهاتها من القاهرة وبيروت والكويت، وأصبحت الصحافة تلقى رواجا في عمان بأسرها.

ب - الصحافة العمانية في مرحلة التطور:

رغم الإقبال على الصحافة قراءة ومتابعة لم يكتب لعمان أن تعرف الصحافة المنتظمة إلا في عام ١٩٧٠، إذ عاشت في فجوة كبيرة جاوزت مدتها خمسين عاما (بين أول صحيفة صدرت عام ١٩٠٠، وآخر صحيفة صدرت قبل عام ١٩٦٩)، وكان سببها حالة الجمود الفكري، وتثبيت روح العزلة، وإشاعة الفوضى والاضطراب الذي عاشته البلاد. وإذا كان من خلاص لهذا الوضع، فقد تم عام ١٩٧٠، عندما فتحت النهضة المعاصرة منافذ الحضارة الحديثة بتأسيس وسائل الإعلام المختلفة التي كانت الصحافة أهم ركائزها، فبلغ عدد الصحف والمجلات والدوريات بحلول عام ٢٠٠٦ حوالي ستين صحيفة ومجلة ونشرة. وكانت أولى هذه الصحف صحيفة «الوطن»

الصحيفة / المجلة	تاريخ الصدور	المحرر المسؤول	الجهة الصادرة منها	إتجاه الصحيفة / المجلة
الوطـــن	٢٨ / ١ / ١٩٧١	نصر بن محمد الطائي وآخرون	أهلية	يومية / سياسية / جامعة

عمـــان	١٨/ ١١ / ١٩٧٢	وزارة الإعلام	حكومية	يومية / سياسية / جامعة
الجريدة الرسمية	٢٧ / ٤ / ١٩٧٢	وزارة الإعلام	حكومية	شبه شهرية
العقيـــدة	٢٣ /١٠ / ١٩٧٢	أهلية	سعيد سمحان الكثيري	أسبوعية / دينية
جند عمـان	١ / ١ / ١٩٧٤	وزارة الدفاع	حكومية	أسبوعية / عسكرية.
الأضواء	١٢ / ١ / ١٩٧٤	أهلية	-	أسبوعية / ثقافية.
الأسرة	٤ / ٧ / ١٩٧٤	أهلية	صادق عبدواني	أسبوعية / اجتماعية.
تايمز أوف عمان	٢٣ / ٢ / ١٩٧٥	وزارة الإعلام	-	يومية / سياسية / جامعة
نسور عمان x	١ / ٦ / ١٩٧٥	وزارة الدفاع	-	نصف شهرية / عسكرية
الوحي x	١٦ / ٨ /١٩٧٦	وزارة العدل والأوقاف	خلفان بن محمد الرواحي وآخرون	شهرية / دينية
السراج x (٤١)	١٥/ ٢ / ١٩٧٦	أهلية	سالم الغيلاني	شهرية / ثقافية
مجلة الشرطة	١٨ / ١١ / ١٩٧٦	شرطة عمان السلطانية	-	شهرية / عسكرية
الغدير x	١٠/ ١٢ / ١٩٧٧	أحمد الفلاحي	أهلية - نادي المضيرب	شهرية / ثقافية
التجاري	١ / ١١ / ١٩٧٨	غرفة التجارة والصناعة	-	شهرية / تجارية
الإداري	١ / ١/ ١٩٧٩	معهد الإدارة العامة	-	شهرية / إدارية
رسالة المسجدx	١ / ١ / ١٩٨٠	الديوان السلطاني	صالح الصوافي وآخرون	شهرية / دينية

العمانية x	١ / ١ / ١٩٨٠	حمعية المرأة العمانية	متعدد	شهرية / اجتماعية
الأوبزرفر	١٩ / ١١/ ١٩٨١	يومية / جامعة.		
الثقافة الجديدة x (١٥)	يناير ١٩٧٥	حمد الراشدي وزملاؤه	النادي الوطني الثقافي	شهرية / ثقافية.
النهضة	٢٣ / ١٠ /١٩٨٥	أهلية	طالب المعولي	أسبوعية / جامعة
الشبيبة (١٦)	٢ /١/ ١٩٩٣	أهلية	أنيس الزدجالي	شهية جامعة
نزوى	١ / ١١ / ١٩٩٤.	وزارة الإعلام	سيف الرحبي	ربع سنوية / ثقافية
المعالم	يوليو ٢٠٠	أهلية	عبدالله العيسري	شبه شهرية / ثقافية
الرؤيا	يونيو ٢٠٠١	أهلية	حاتم الطائي	شهرية / ثقافية
زوايا ثقافية	أغسطس ٢٠٠٦	حكومية	وزارة التراث والثقافة	ربع سنوية

التي أسسـها نصر الطائي تلتها صحيفة عمان التي أصدرتها وزارة الإعلام بجهود الشـاعر عبدالله الطائي، وتوالت بعدها الإصدارات الصحفية على النحو الذي يقدّمه الجدول السابق.

وقد اسـتقطبت هذه الصحـف الأقلام العمانيـة والعربية من مختلف الاتجاهات، واسـتوعبت البحوث والدراسات والتحقيقات والأخبار، كما ناقشـت القضايا الاجتماعية والأدبية والسياسـية والثقافية.

ومـن جهة أخرى لـم تكن عمان «الداخل» تعـرف الصحافة على امتـداد تاريخهـا الطويل؛ نظـرا لحالة الانغلاق التـي أطبقت على المجتمع، بل إنه كان بحكم تزمته الديني والاجتماعي، يرفض مطالعة الصحف، ويعّدها رمزا للحداثة الطارئة، وأسلوبا من أساليب الغواية والضلال، بل بدعة تلهي عن التعليم الديني، وكانت السلطات الدينية (الأئمة والقضاة) تؤثـر الانكباب على الثقافة التقليدية.مما دفع بها

إلـى حجر وصول الصحف إلى الداخل، لاسـيما التي كانت ترد من زنجبار.

هـذه أهم نمـاذج الصحافة العمانية التي صـدرت في عمان في مرحلتي البواكير والتطور، ولا يمكن - بأي حال من الأحوال - فصل تاريخها عن تاريخ المطبعة ودور النشر، ذلك أن ازدهار وسائل الطباعة وتقدمهـا مرتبط بازدهار الصحافة . وفي عمان حيث بدأت مظاهر النهضة الحديثـة متأخرة عن البيئات الأخـرى، وجدنا المثقفين من أبنائها يحاولون مواكبة النهضة في الوطن العربي، ودفعتهم سـرعة المواكبة إلى إصدار الصحف قبل إحضار المطبعة، إذ وجدنا الصحف الأولـى (كجريدة الوطـن) تطبع في بيروت والكويـت، ولكن هذا لم يكـن يعني عدم أهميـة وجود المطبعة لازدهـار الصحافة؛ فالمطبعة الركن الأهم في النهضة الثقافية، وهي التي أشـهرت الفنون الأدبية الحديثة وسـاعدت على تطويرهـا، ورغم ذلك فقـد ظلت المطبعة تمثل المعضلة الرئيسـة لتقدم الصحافة في عمان، ففي الوقت الذي كتـب لها أن تطبع في الخارج اعترضتها مشـاكل الصدور وتعرضت لتأخير الوصول، واختلف موعد متابعتها لدى القارئ، وهي حين قدّر لهـا أن تطبع في الداخـل تعرضّت للتكاليف الباهظـة المبالغ فيها، كمـا اصطدمت بقيود الرقابة الإعلاميـة . وكل ذلك حد من معطى الإصلاح والتنوير الذي تاقت إليه.

وإذا جئنـا للمطابع الحديثة التي وجدت في عمان بعد عام ١٩٧٠ - وكان لـها دور غيـر مباشر في طبـاعة الصحـف، ذلـك أنـها هيئة للكتـاب والمبدعين لطباعة إنتاجهم الذي هـو مادة الصحافة، فسـنجد نماذجها ماثلة في: «المطبعة الحكوميـة لصحيفة عمان» ، و«مطبعة جامعة السلطان قابوس» ، و«مطبعة دار العقيدة» ، ومطبعة «مزون» ومطبعة الألوان، ومطبعة الباطنة، و«المطابع العالمية، والمطبعة الشـرقية ومطبعة العنان. وكل هذه المطابع وغيرها تعين الصحافة، وتلعب دورا في الإصلاح الثقافي.

ثانيا: الصحافة العمانية المهاجرة:

ونقصـد بها تلـك التي صدرت خـارج الوطن لظروف سياسـية

وحضاريـــة وتربويـــة، واضطلع بهـــا العمانيون في المهاجــر العربية والإفريقية والأوربية ونميز منها ثلاثة أنواع هـي:

أ - الصحافة العمانية في المهاجر الأوربية:

ونمثل لها بمجلة «المعالم» التي أصدرها في لندن عبدالله العيسري في يوليو من عـــام ٢٠٠٠، وقد عنيت بالخطاب الإصلاحي في إطار توجهها الديني / الثقافي.

ب - الصحافة العمانية في المهاجر العربية:

وهي نوعان:

١ - صحف أندية الطلبة: وهي لا تخرج عن كونها منشورات، قصد بها إظهار الأنشـــطة الطلابية، وقد عنيـــت بالجانب التربوي المنوط للطالب، ونماذجها نحصرها فـــي كل مجلة (الطالب) التي أصدرها طلبة سلطنة عمان بالقاهرة عام ١٩٧٩، ومجلة (جبرين)التي أصدرها طلبة ســـلطنة عمان بالأردن، و(الرائد) التي أصدرها طلبة ســـلطنة عمان بالإســـكندرية في أبريل ١٩٨٥، و(المزون) التي (أصدرها طلبة سلطنة عمان بالبحرين عام ١٩٨٥، و(الشبيبة) أصدرها طلبة سلطنة عمان بدولة قطر عام ١٩٨٣.

٢ - صحـــف جبهة تحرير عمان: نحددها بالمنشـــورات والصحف والدوريات التي أظهرتها جبهة تحرير عمان (١٩٦٥ - ١٩٧٥) في عدد من الأقطار العربية مثل (عدن - دمشـــق -بغداد) وعبّرت عن أشكال الخطاب السياســـي المكـــرس لأهداف تلك الحركـــة، وكانت تحرص على انتقاء الظواهر الاجتماعية والسياسية الحسّاسة. واستخدمت في ذلـــك المقال النقـــدي الذي يبـــرز التناقضات ويخـــدم القضايا الأيديولوجية، كما حرصت على بث روح الصراع، واعتمدت على أبناء الجبهة ممن تغذوا بالأفكار اليسارية، وتوغلوا في حقيقة مرجعياتها، ولـــذا أصبح الواقع الثقافي في الســـتينيات وبداية الســـبعينيات من خلال هذه الصحف أمام خطاب سياسي دفع إلى إبراز مشاكله بشتى الطرق الممكنة. وهنا نقف مدللين عليه بما قدّمته الصحيفتان الأكثر شهرة في محيط الجبهة وبالذات في إقليم ظفار:

الأولى: صحيفـــة «الأرض» وقد أصدرها الاتحـــاد الوطني لطلبة

عمان بدمشق بإشراف لجنة الثقافة والإعلام، وقد نشرت مواضيع اجتماعية تتعلق باحتكار التجار لبعض السلع الاستهلاكية، وكذلك نقد ممارسات المسؤولين في الأجهزة الحكومية. والثانية «مجلة ٩ يونيو» وهي نشرة شهرية أصدرتها الجبهة الشعبية الديمقراطية العمانية، وقد اضطلعت بنشر قضايا تتصل بالوضع الإداري والسياسي والاقتصادي. كما أنها تجرأت على الكتابة في مواضيع اجتماعية حسّاسة كقضايا المرأة، والعمل والعمال، والفقر والغنى، ووتوزيع الثروة النفطية، وغلاء المعيشة، والإنفاق على التسلح، والعمل النقابي، والاتحادات الطلابية.

كل هذه المواضيع شكلت محور جرأة على الوضعية الثقافية العمانية في فترة الستينيات وبداية السبعينيات، ورغم أنها حققت مطلبا سياسيا وفكريا للجماهير المنتمية «لجبهة تحرير عمان» فقط إلا أنها لم تحقق قيما سياسية أو أدبية للرافضين لها، بل أبعدتهم عنها؛ لأن النوايا كانت واضحة، وخطط هذه الصحافة كانت مرسومة بأفكار الجبهة المعروفة.

ومن جانب آخر، فإن هذه الصحافة لم ترسّخ حسّا ثقافيا يذكر، أو توجّها فكريا أدبيا يلمس، لأن القائمين على أمرها لم يكونوا مهيئين للعمل الثقافي، وإنما عسكر مقاتلون، ولأن قراءها قلة، ومادتها محصورة في أخبار المنجزات التي تحققها الجبهة ومواضيعها منصبة على أهداف الحركة ومبادئها؛ لذا جاءت انفعالية ذات صيغة تشهيرية / ذرائعية. ولذا فإننا نرى أن هذه الصحف رغم تناولها لبعض القضايا الاجتماعية المهمة تاريخيا، لا تحتوي على قيم ثقافية راسخة، فقصارى ما يوجد بها أخبار لأنشطة وتحقيقات لقضايا تخدم قضية الصراع السياسي، ولهذا بدت بعيدة بعض الشيء عن قضايا الإصلاح؛ لمحدودية انتشارها، وعدم تقبل المواطن في عمان لأطروحاتها اليسارية.

ج - الصحافة العمانية في المهاجر الإفريقية:

ونعني بها مجموع الصحف العمانية التي صدرت في المهجر العماني الإفريقي، وشكلت - منذ صدورها المبكر في أوائل القرن العشرين

- وثيقة تسجيلية مهمة لفترة دقيقة من تاريخ الثقافة العمانية في شرق إفريقيا، حيث المهجر العماني الخصب والغني بكثير من الرؤى والتطلعات الحضارية التي خلفها العمانيون على مختلف مستويات: السياسية والاجتماعية والثقافية. وهي فترة تقترن بمسافات الحربين العالميتين الأولى والثانية، وما صحبهما من قلق سياسي واضطراب اجتماعي، أنتج أشكال الفقر والعوز والهجرة والتشتت على الصعيد الاجتماعي بالتحديد. كما اقترنت هذه الفترة من ناحية أخرى بظهور خطاب ثقافي جديد أسسه المصلحون التنويريون في عمان وخارجها، لتخوض البلاد نشاطها الثقافي عبر الصحافة والتأليف التاريخي والفقهي والأدبي من خلال قصائد الشعر والمنظومات الوثائقية التي تحفظ للأمة هويتها بعد حالة التشتت والتبعثر.

لقد كانت مهمة أولئك التنويريين صعبة للغاية؛ لأنها انبثقت من تحولات خطيرة على المستوى السياسي والاجتماعي، وحددت مسارها رغم محدودية الإمكانات في مجتمعهم ومهجرهم الشرقي، ذلك المهجر الذي اتجهت إليه أفواج العمانيين بدءا من القرن الأول الهجري، ويتمثل في زنجبار والجزيرة الخضراء، وممباسا، والكونغو، وتنجنيقا، وموزمبيق، وغيرها من بقاع الساحل الإفريقي ، ومن تلك الأماكن المتعددة صدرت الصحافة العمانية ممثلة في النماذج التالية :

١ - النجاح: وهي صحيفة شبه أسبوعية جامعة صدرت في الثاني من تشرين الأول - أكتوبر - من عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١١ م، في أربع صفحات، وتعدّ أول صحيفة عمانية بالمعنى الحقيقي للصحافة تصدر في سلطنة زنجبار، فقد أصدرها حزب (الإصلاح) واتخذت لها شعارا من العبارات التالية: شعار (النجاح لحزب الإصلاح) «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت» و(كل من ثابر على العمل أدرك النجاح).

وتناوب على رئاسة تحريرها الشيخ ناصر بن سالم بن عديّم الرواحي / البهلاني (أبو مسلم)، والشيخ ناصر بن سليمان اللمكي، والشيخ محمد بن على بن عامر الطائي، وفي عهد الأخير اتسع

نطاق توزيـــع الصحيفة وازداد اهتمام الناس بهـــا، كما أقبل كثيرون على قراءتها، فوصلت النجاح إلى أوج قوتها، ولكن لم يكتب لها طول العمـــر، ففي تموز / يوليو من عام ١٩١٤ نفي المحرر الشـــيخ ناصر اللمكي إلى الهند، وبابتعاده احتجبت الصحيفة وكان احتجابا أبديا.

هذا وقد عمل في هذه الصحافة جملة من الصحافيين نذكر منهم محمـــد بن على بن عامر الطائي الذي يعده الباحث .... أول صحافي عربي عماني في زنجبار.

٢ - النـــادي: وهي صحيفـــة أصدرها الحزب الوطني عام ١٩١١، واعتنى بتحريرها الشيخ حارث بن سليمان اللمكي، وكانت تطبع بآلة (الرونيو) وتصدر في محيط ضيـــق، كما أنها كانت توزع مجانا على بعض الأشخاص.

٣ - النهضة: وهي صحيفة سياســـية ثقافية جامعة، صدرت عام ١٩٤٩، وغلب عليها طابع المقال السياسي، أصدرها السيد سيف بن حمود بن فيصل البوســـعيدي، إثر اعتذاره عن رئاسة تحرير صحيفة «الفلق» التي مكث فيها زهاء خمســـة عشر شـــهرا، وأسهم في كتابة مقـــالات «النهضة» أعضاء الجمعيـــة العربية في زنجبـــار والمناطق المجاورة لها.

ولم تهادن الصحيفة الحماية البريطانية في شرق إفريقيا، ؛ لذلك أوقفـــت بأمـــر المقيم البريطاني عام ١٩٥٣ م، وفـــي عام ١٩٥٤ أعاد أحمد بن محمد بن ناصر اللمكي إصدارها، واســـتمرت في الصدور حتى عام ١٩٥٥.

٤ - المرشـــد: أصدرهـــا أحمـــد بن ســـيف الخروصي عـــام ١٩٥٠ لتخاطب العرب الذين يتحدثون باللغة الســـواحلية، وانتهجت الخط نفســـه في مهاجمة الحمايـــة البريطانية للجزيـــرة، وعندما ظهرت الأحزاب السياســـية في زنجبـــار والجزيرة الخضـــراء انضم كتاب الصحيفـــة إليها. ظلت الصحيفة مســـتقلة تصـــدر بثلاث لغات هي العربيـــة والســـواحلية والانجليزيـــة، وذلك حتى عـــام ١٩٥٤. وأبرز كتّابها: سعود بن محمد الريامي، وعلى بن محسن البرواني، والشيخ هاشل بن راشد المسكري، وأحمد بن محمد اللمكي .

٥ - **الأمــة**: أصدرهــا حــزب الأمة في زنجبار عــام ١٩٥٨ م، إثر حصوله على مطبعة عربية من الصين الشـعبية. ولقد استمرت هذه الصحيفة في الصدور كلسان حال الحزب حتى عام ١٩٦٣.

٦ - الإصلاح: أصدرها الشـيخ الأمين بــن على المزروعي (١٨٩١ - ١٩٤٧) باللغتين العربية والسواحلية؛ وذلك في ممباسا في الساحل الكيني بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٠ هـ، الموافق ٢٩ شباط / فبراير ١٩٣٢ م، ولقد جاءت الإصلاح اسـتكمالا لمشروع الشـيخ الأمين التنويري، والذي كان قد بدأه بإصدار دورية سمّاها «الصحيفة» في ٢٥ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٠.

وعنيــت الصحيفــة بالمســائل الدينية والاجتماعية والسياســية، وتوافقــت مع جهود المحــرر الإصلاحية في شــرق إفريقيا وبالذات في «ممباســا» إذ أنه اتســم بعقلية منفتحة وفكر وثاب اســتقاه من سلسة قراءته المتواصلة للتراث الفكري العربي، إضافة إلى الصحف والمجلات العربية التي تصل إلى شرق إفريقيا وبالأخص مجلة «المنار» التي كان يشرف على تحريرها الشيخ محمد رشيد رضا.

وكانت صحيفة «الإصــلاح» بطابعها التنويري العام - قد اتخذت من الآية القرآنية الكريمة **«إن أريد إلا الإصلاح ما اســتطعت»** شعارا لهــا. كمــا افتتحت أعدادها الأولــى بمقتطفات مــن كتاب «حاضر العالم الإســلامي»، وعنيت بمقــالات عديدة لأمير البيان «شــكيب أرَســلان» وعموما كانت «الإصلاح» لســان حال «الشيخ المزروعي»، وقد كتب فيها عدة مقالات تناولت موضوع الإسهام الحضاري للدولة الإســلامية في أوربا، وأســباب تردي المســلمين وانحطاطهم والتي لخصها في بعدهم عن جذورهم الإســلامية، وعن عاداتهم وهويتهم العربية، كما تناول الهجمة الصليبية على أبناء المســلمين في المعاهد والمؤسســات التعليمية القائمة على النظم الغربية، ودعا إلى تضمين المناهج الدراســية مقررات تزود الطلاب والتلاميذ بالثقافة العربية الإسلامية؛ وذلك لمواجهة تلك التحديات.

٧ - **الفلــق**: وهــي محور دراســتنا في هذا الموضــوع، وتعتبر من أوائل الصحف العربية التي ظهرت في إفريقيا الشرقية بعد الحرب

العالميـــة الأولى، وقد كانت قبل الحرب تعرف باســـم (النجاح) إلا أن محمد بن سـعيد بن ناصر الكندي سماها - بعد ذلك بالفلق لتكون شـــبيهة (النجاح) وبديلة عنها في إزالة ظلمة الجهل والغباوة، وإنارة العقول، وإصلاح الشئون الدينية والدنيوية، وقد وضّح أبعاد التسمية الإصلاحية في معرض حديثه للعدد الأول إذ قال:

«الفلق، أو الشـعيعات الذهبية التي تؤذن بالقســم المهم من اليوم، النهار الــذي جعله الله لنا للعمل والجهاد في ســبيل الحياة والبقاء أعــزاء... الفلق، أو المــؤذن للفلاح والكفاح، الفلق.. أو القاســم بين الجزئــين من اليــوم «الليل والنهــار... الفلق.. أو بــين العهدين من تاريخها. عهد الجهل والظلام، وعهد المعرفة والنور»

ويحيل العنوان وشعار الصحيفة على منحى التأصيل لدى إدارتها، فالعنوان مقتبس من القرآن الكريم، مما يعكس إصرارا واضحا على إعلان عروبة الصحيفة وانطلاقها من رؤية إســلامية، تبدو مفهومة إذا نزلنا الصحيفة في إطارها الجغرافي، فهي صوت يجري في بيئة تتنوع فيها أجهزة الإعلام (إنجليزية / سواحلية / هندية).

وقد صدرت «الفلق» يوم الاثنين ٢٠ شــوال عام ١٣٤٧ هـ، الموافق للأول من نيســان / إبريل ١٩٢٩ م، في عهد رئاســة السيد بن كندة للجمعية العربية، وبتشــجيع من الشــيخ ناصر بن ســليمان اللمكي، وترأس تحريرها الشــيخ هاشل بن راشد المسكري، ثم خلفه كل من: الشــيخ محمد بن هلال البرواني لمدة أربعة عشــر عاما (٢٣ إيار / ١٩٣١مايو، وحتى ٣٠ كانون الأول / ديســمبر١٩٤٥)، والشيخ سعيد بن ســالم الرواحي لمدة سنتين (من أول شــباط / فبراير ١٩٥١ إلى ١٨ أيار / مايو ١٩٥٣ م، الشيخ عبدالله بن سليمان الحارثي، والشيخ أحمد بن محمد بن ناصر اللمكي، والشــيخ أبــو البركات محمد بن ناصر اللمكي، فالســيد سيف بن حمود بن فيصل، واستمر كل واحد منهم سنة تقريبا.

وقــد أخرج أعداد «الفلق» الأولى الرســام المصــري عبد الباري العجيــزي، وقد توقفت عن الصــدور في فترة ١٩ حزيــران/ يونيو ١٩٥٤، إلــى ١٩ حزيران / يونيو ١٩٥٥ م، بســبب مقالاتها الصارخة

في وجه السلطة، وتحريضها على بداية العمل الوطني المتمثل في المناداة بالديمقراطية، وانتخاب أعضاء المجلس التشريعي، وقد حوكمت الفلق بسبب ذلك، وصدر الحكم رقم ١٨٠٥ ضدها في ١٩ حزيران / يونيو ١٩٥٤ م بإدانة أعضاء اللجنة المركزية للجمعية العربية واتهام الفلق بإحدى عشرة تهمة، ونص الحكم على توقيفها، ودفع غرامة قدرها خمسة وثلاثون ألف شلينج، وتوقيف الصحيفة لمدة عام كامل يبدأ من تموز / يوليو ١٩٥٤ م. وفور انتهاء تنفيذ الحكم عاودت «الفلق» الصدور، وأرجعت الحكومة المطبعة إلى الجمعية، وكانت أطروحات «الفلق» الثقافية والسياسية مثار إعجاب قرائها ومتابعيها داخل الوطن العربي، إذ كانت تصل إلى عمان، وتوزع في الشام ومصر والجزائر، وغيرها، ولذلك عني بها الشعراء والباحثون والقراء، وتضامنوا معها في فترة توقفها.

الصحافة العمانية المهاجرة وآفاق الإصلاح الثقافي:

أولا: الصحف المهاجرة عامة ودورها في الإصلاح:

لقد جاءت تلك الصحف لتصوغ تصوّرا ثقافيا عمانيا للمجتمع العربي سواء في مكان صدورها «مدينة زنجبار»، أو في بقية مدن إفريقيا الشرقية»، أو حتى في مدن عمان ذاتها؛ لأن التواصل كان قويا بينها رغم البعد الجغرافي وبعض العقبات التي كانت تظهر بين وقت وآخر.

كما حددت تلك الصحف - بغض النظر - عن تفاوت مستواها الفني الموضوعي - توجهات المثقف العماني الإصلاحي في تلك الفترة الخصبة بمعالم التنوير في الوطن العربي، وبالتحديد في عواصمه الثقافية الكبرى (بغداد - القاهرة - بيروت - دمشق) وهى توجهات كانت محكومة بعامل التوزيع بين الانتماء إلى جذور الحضارة العربية الإسلامية، والانفتاح على أشكال التغريب من ناحية، وبين التوجه السياسي الحلم بالحرية والديمقراطية من ناحية أخرى ، وهذا ما قدمته تلك الصحف في خطابها الثقافي العام. وبالإضافة إلى ذلك، فإنها جاءت متجاوبة مع المرحلة الحديثة التي بدأ المجتمع

يتحسسها بكل ما رافقها من عوامل التغيير الاجتماعي والسياسي، وبكل ما اقترن بها من نوازع الإرادة في تمزيق جدار العزلة وهتك سياسة التجزئة الاستعمارية التي كرست روح الولاء القبلي، بل لقد استمدت الصحافة نشأتها الفعلية من خلال فترة تبلورت فيها كثير من المواقف التاريخية الحاسمة في الشخصية المحلية (الموقف من النظام السياسي - الموقف من الاستعمار - الموقف من القومية العربية - الموقف من المرأة - الموقف من التقاليد والعادات) حتى باتت نشأة الصحافة وتطورها تعبيرا عن حصيلة تلك الظروف التي وجدت في العقود الأولى من القرن العشرين خصوصا فيما يتصل بالدور الإصلاحي، فضلا عن ذلك فإن ظهور هذه الصحافة بهذا الحس التنويري يعدّ مؤشرا مهما في تبلور التجربة الفكرية الحديثة ليس في شرق إفريقيا وحدها، بل حتى في عمان بحكم تأثيراتها المباشرة عليها.

وهذه التأثيرات تدفعني إلى الاعتقاد بأن هذه الصحافة لم تكن لتنشأ وتبرز بهذه الصورة ما لم تكن ضاربة في أرضية تاريخية خصبة قوامها تاريخ عمان وحضارتها الراسخة في أذهان أولئك المؤسسين، من هنا رأينا أن نركز على المثقف التنويري بصفته عماد الإصلاح الثقافي، فبيان دوره في عملية التحضر، واضح للعيان منذ طلائع النهضة الحديثة التي شهدتها أقطار الوطن العربي؛ ذلك أن انفتاح عقله دون مصاحبات مقيدة وشعوره بضرورة مجاراة أنساق المدنية والرقي في العالم بعين واعية، وصدر رحب، أعطياه السمة، بل الدفعة الأولى لخوض غمار الإصلاح، وكانت الصحافة وعاءه الأول الذي صبّ فيه عطاءه غير المحدود.. جرى ذلك في كافة أقطار الوطن العربي بدءا بأول صحيفة صدرت في البلاد العربية عام ١٧٩٨ م، مرورا بصحيفة «الوقائع المصرية» التي صدرت عام ١٨٥٨ م، و«صنعاء «اليمنية» التي صدرت عام ١٨٧٧ م، وانتهاء بأول صحيفة تصدر في بداية القرن العشرين، وهي صحيفة «القدس» عام ١٩٠٤ غير أن المثقف التنويري في منطقة الخليج العربي أسهم أيضا في ذلك العطاء، وكانت الصحافة أداته في ذلك، فبدأت إصدارته تتوالى

بدءا بصحيفة «الحجاز» السـعودية عام ١٩٠٨، ومجلة «الكويت» عام ١٩٢٨، وصحيفـة «صـوت البحرين» ١٩٣٩، ومجلـة العربي ١٩٥٨، ومجلتـي «كتابات» و«كلمات» ١٩٨٣، ومـرورا بمجلة الأزمنة العربية ١٩٧٧، وانتهـاء بصحيفـة «الوطن العمانيـة» ١٩٧٠، ومجلة الثقافة الجديـدة ١٩٧٥، و«الغديـر» ١٩٧٩، ونـزوى ١٩٩٥، وأخيـرا مجلة «التسامح» ٢٠٠٣.

ويضـاف إلى ذلك الصحف والجرائد التي أصدرها العمانيون في المهجر الإفريقي، وهي مثار موضوعنا، فالعمانيون اسـتوطنوا شرق إفريقيا، وأقاموا فيها حضارتهم الحديثة، وازدهر نشاطهم السياسي والاقتصـادي والاجتماعـي والثقافي في كثير من الـدول الإفريقية ، وتعـود بدايـة علاقتهم بالصحافة إلى عام ١٩٠٨، حيث تأسسـت أول جمعيـة عربية في زنجبـار إبان حكم السـلطان على بن حمود بن محمد؛ بغرض رعاية مصالح العرب القاطنين في أراضي شـرق إفريقيا وخضعت لحكمه.

كمـا تعود تلـك العلاقات إلى إنشـاء أول مطبعة في زنجبار عام ١٨٧٩ م، تلك المطبعة التي ظهرت في عهد السلطان برغش بن سعيد (١٨٧٠ – ١٨٨٨) م، المسـمّاة (المطبعة السـلطانية ، وقد قامت بدور مهم في بلورة كثير من مظاهر التحضر بدءا من طباعةالكتب الأدبية والفقهية والدينية ونشـرها . وانتهاء بطباعة كثير من الصحف التي أثـرت في هذا التحضر بعمـق، وخلقت كثيرا مـن مظاهر التنوير، خصوصـا أن محرري هذه الصحف كانـوا نخبة من العلماء والأدباء والشـعراء، نذكر منهم – على سـبيل التمثيـل لا الحصر – العلامة الفقيه أبو مسلم البهلاني / الرواحي صاحب مجلة «النجاح»، والشيخ أحمـد بن حمدون الحارثي، والشـيخ عبدالله بن سـليمان الحارثي رئيس الجمعية العربية، والشـيخ ناصر بن سليمان اللمكي، والشيخ أحمد بن سـيف الخروصي محرر صحيفة «المرشد»، والسيد سيف بـن حمود بن فيصل محـرر صحيفة «النهضة»، والشـيخ الأمين بن علي المزروعي محرر صحيفة «الإصلاح»، والشـيخ هاشـل بن راشد المسكري، والأستاذ أحمد بن محمد اللمكي، والشيخ محمد بن هلال

البرواني، وقد تولى كل منهم رئاسة تحرير صحيفة «الفلق»، وكذلك علي بن محمد الجمالي، وصالح بن علي الخلاسي، وعبدالله بن صالح الفارسي، وسعيد بن سالم الرواحي، ومحمد بن علي البرواني، والأخير صاحب مقامات «أبي الحارث البرواني» المعروفة في الأدب العماني الحديث.

إن الصحافة العمانية في زنجبار بهذه النخبة الطليعية المتميزة، وبما أوتيت من فسحة فكرية ومعنوية لا بأس بها كانت منبرا للثقافة لعب دورا كبيرا في النهضة الفكرية، ليس في زنجبار وحدها، بل حتى في مدن شرقي إفريقيا، وعمان أيضا، فلقد أسهم هؤلاء الكتاب بجهد ملحوظ في النهضة الأدبية، والدينية من خلال تنبيه تلك المجتمعات إلى أخطار محدقة بها، وذلك حفاظا على هويتها العربية - الإسلامية التي لا شك أنها مهمة في تلك الفترة، وفي ظل الظروف العصيبة، حيث دوافع التغريب، وأطروحات الاستشراق الاستعماري في كافة مظاهرها، ويمكن تلمس دور تلك الصحف مجملة في النقاط التالية :

أولا: القيام بالدور النهضوي الوحدوي ذي الطابع الإسلامي والعربي، فهذه الصحف بلورت دورها في هذين المجالين من خلال توعية المسلمين في شرق إفريقيا بأمور دينهم ودنياهم تدفعها في ذلك مبادئ وقيم عربية أظهرتها أفكار محرري هذه الصحف، فهاهو الشيخ أبو مسلم البهلاني / الرواحي في مقدمة هؤلاء الدعاة إلى هذا الدور، إذ تقول إحدى مقدمات ديوانه الشعري:

«حررت صحيفة النجاح طلبا في ائتلاف الرابط الإسلامي لكي تبلغ من الكمال مبلغا يكون عليه منشأ الترقي، وفتح باب السعادة لبني الإنسان، ودعاء للناشئة «الزنجبارية» إلى اقتطاف ثمرة العلم النافع، ونبذ طريق الجهلاء» .

وكان الشيخ الأمين بن علي المزروعي قد اختط لمنهجه التنويري التوجه الديني نفسه، وذلك بإصداره لصحيفة الإصلاح، والتي يشير عنوانها، واستشهادها بالآية القرآنية «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت» إلى الإصلاح منهجا، والوحدة هدفا، والتنوير طريقا، كما

كان بينه وبين أصحاب البدع والخرافات والأفكار السلفية ما يكون بين المؤمن والكافر من تنافر، خصوصا أنه شدد على الفكرة الدينية ووضعها وعاء انصبت فيه توجهات الصحيفة وأهدافها.

ثانيا: التركيز على مصالح البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية بسبب توجهها الرسمي، ولأنها صادرة من مؤسسات وجمعيات تنتمي قلبا وقالبا لأطروحات وآراء رسمية، ولذا عنيت بالمسائل الاقتصادية، ومن بينها قضايا إنتاج الحاصلات الزراعية وتسويقها، وفي مقدمتها محصول القرنفل عماد البنية الاقتصادية في زنجبار وشرقي إفريقيا قاطبة؛ ولهذا لا ضير أن تتخذ صحيفة «الفلق» كبرى الصحف الزنجبارية شعارها من هذا التوجه الاقتصادي وتصدر «صحيفة أدبية سياسية زراعية تماشيا مع طبيعة المصالح الرسمية، وإثباتا لطبيعة أهدافها الثابتة التي لم تحد عنها.

ثالثا - الاهتمام بعمان «الأم» لأنها تشكل الهاجس الأكبر لمحرري هذه الصحف، فهي الموطن الأول، وهي الثقافة الأصل، فمحرروها يؤكدون انتماءهم إليها مهما كان مهجرهم جميلا وحياتهم فيه تتسم بالسعادة والهناء.

لقد بدت أخبار عمان متجسدة في صفحات هذه الصحف، ولعلنا نذكر إفراد صفحات خاصة لعمان وتاريخها وعلمائها ورموزها. وتعدى الأمر إلى ذكر كل ما هو متصل بها من طقسها ومناخها، والكوارث الطبيعية التي تحل بها، ولم تغب قضيتها السياسية، ولا أزمتها الحضارية عن تلك الصحف في أية لحظة من اللحظات، بل قدمت أبرز الحلول للنهوض بها، ومختلف الوسائل لتجاوز ما لمّ بها.

وكان اتصال رؤساء هذه الصحف وكتابها ومحرريها بأهم أقطاب القيادة السياسية في عمان واضحا، حيث عرضوا عليهم عدة اقتراحات للنهوض بها، وخاصة في النصف الأول من القرن العشرين.

ولم تغب عن هذه الصحف ثقافة عمان وتاريخها المجيد، كما لم يغب عن بعض محرريها مظاهر الافتخار بها دائما، فهاهو أبو مسلم

البهلاني / الرواحي يورد نموذجا من ذلك الافتخار في قصيدته اللامية الشهيرة:

تفضل بالزيارة في عمان
تجد أفعال أحرار الرجال

تجد ما شئت من مجد وفضل
وأحساب عزيزات المثال

تجد ما قسَّمته يد المنايا
خيول الله في حزب الضلال

تجد من هيبة الإسلام شأنا
عليه الكفر مبيض القذال

تجد همم الرجال مصممات
بثأر الدين ترخص كل غال

فإن تسأل بهم فهم شراة
تربوا بين قيصوم وضال

إذا استصرختهم شبوا سعيرا
وصخ النجم قعقعة النصال

إذا هجموا رأيت الفجر يجري
ببارقة الصوارم في الليال

رأوا ما حلّ بالأوطان خزيا
يسارع بالفظائع والوبال

وخصم الله جزار شنيع
يضحي بالديانة لا يبال

رابعا: الحضور في الفعاليات الثقافية العربية، والتواصل مع الحركة الفكرية العربية، فلقد رأينا أن أغلبية تلك الصحف تستقي أخبارها من مختلف الصحف العربية في سوريا ومصر والجزائر والعراق ولبنان وغيرها، ولم يقتصر حضورها ذلك على الأخبار، بل توطدت صلتها الفكرية مع أقطاب التنوير في الوطن العربي أمثال: محمد رشيد رضا صاحب (المنار)، ومحمد حسن الزيات صاحب

(الرسالة)، وقبلهما مع جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، والشيخ اطفيش، وسليمان الباروني، ومحب الدين الخطيب، ومحمد لطفي جمعة، وزكي مبارك، وغيرهم، كما بلغ ذلك التواصل ذروته عندما شارك أبو مسلم البهلاني الرواحي بقصيدة في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القاهرة برئاسة (رياض باشا)، والتي يقول طالعها:

هوت العالم أدوار البشر
ينقضي الدهر بأدوار أخر
كل دور رقص الدهر له
ضايق العالم وارتاد القمر

وتجاوز ذلك التواصل حدود المشافهة واللقاءات السريعة إلى النشر والتوثيق والإصدار، فلقد نشر الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي بحثا في مجلة (الهلال) المصرية الصادرة يوم ١ / ٧ / ١٩٠٦ حمل عنوان «أشهر الحوادث وأعظم الرجال: حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو»

ويعتبر هذا البحث في سيرة المرجبي، كما يراه بعض المؤرخين - وثيقة تاريخية على قدر كبير من الأهمية، ومصدرا أصيلا للباحثين والمهتمين بالدراسات العمانية بصفة خاصة؛ لأنه يلقي الضوء على المؤثرات الحضارية العمانية في الكشف عن مجاهل القارة الإفريقية، والنشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي ترتب على الوجود العربي العماني في مناطق البر الإفريقي.

إن هذا التواصل - من جهة أخرى - يكشف عن اتساع العضوية التي ينتمي إليها رواد التنوير والإصلاح (محررو هذه الصحف ورؤساؤها) في إطار صلتهم الحضارية بمجريات الساحة العربية ثقافيا وأدبيا وسياسيا، مما يصلهم في نهاية الأمر بنماذج المثاقفة العضوية في أبعد معانيها ولو على صعيد الثقافة العربية.

ويتجلى دور هذه الأسماء على الطرف الآخر في الثقافة المادية التي قدمت لنا نماذجها منذ بدأت الأشعار تأخذ مسلكا معنويا يصل إلى حد الافتخار وتزيين القلاع والحصون السيوف بها كما فعل شعراء تلك الديار أمثال الشيخ أبي مسلم البهلاني الرواحي، والشيخ

أحمد ابن راشد الغيثي، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر الريامي وغيرهم.

ويتجلى ذلك الدور لهذه الصحافة كذلك في إبراز التوجه الحضاري الذي قدمته المصادر الثقافية والدينية والتاريخية العربية والأجنبية وحفظت لنا مؤلفيها سواء تلك الأسماء المتصلة بالتأليف الفقهي أو التاريخي أو الأدبي من أمثال: الشيخ العلامة ناصر بن أبي نبهان (١٨٧٨ - ١٨٤٧) الذي عني بالتأليف في الفقه والطب والفلك، ومن أشهر مؤلفاته (الحق اليقين) و(لطائف المنن في أحكام السنن) و(السر الجلي في ذكرى أسرار النبات السواحلي). وكذلك الشيخ العلامة محمد بن على المنذري صاحب كتاب (الخلاصة الدامغة) وابنه الشيخ علي بن محمد المنذري الذي ألف في التوحيد كتابا سمّاه (نور التوحيد). وكذلك الشيخ يحيى بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي، والشيخ سالم بن عديم البهلاني / الرواحي، وابنه أبو مسلم الذي قدم إلى زنجبار عام ١٨٧٨ م، والشيخ على بن محمد الطائي ومن بين المؤلفين العمانيين الذين ولدوا في شرق إفريقيا الشيخ علي بن عبدالله المزروعي وابنه (الأمين) والأخير هو مؤسس صحيفة (الإصلاح) ومؤلف كتاب (هداية الأطفال)، ومن بينهم كذلك الشيخ علي بن خميس البرواني (١٨٥٢ - ١٨٨٦)، والشيخ سالم بن سعيد الشعيبي صاحب كتاب (أسمى المقابل والمبهمات)، والشيخ سليمان بن محمد العلوي صاحب كتاب (الأجرومية للصنهاجي)، وكذلك الشيخ عبدالله بن محمد الكندي، وعبدالله ابن صالح الفارسي الذي كان قاضي قضاة كينيا، وصاحب كتاب (البوسعيديون حكام زنجبار) إضافة إلى الشيخ سعيد بن على المغيري صاحب (جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار).

خامسا: إعطاء المرأة دورها الاجتماعي والحضاري توافقا مع إنصاف الإسلام لها، ومحاولة الأخذ بيدها لتخرج من دياجير الجهل إلى آفاق النور والحضارة، فقد نادت الصحف الزنجبارية بعديد الأطروحات الإصلاحية في سياق مساعيها لخدمة المجتمع، وتأصيل كثير من النظرات السامية التي تحاول أن تخدم المرأة، وترتقي بها؛

لأنها أساس المجتمع وعموده الأول الذي بسقوطه تتهاوى كل الأركان، فها هي صحيفة «الفلق» تستمد دور المرأة في المجتمع كما منحها لها الإسـلام الحنيف من عقيدته السّمحاء فتدعو إلى تعليمها وتثقيفها عبر العديد من المقالات منها «التعليم والمرأة» والذي نشـر في ٦ / ٥ / ١٩٣٩، تقول «الفلق» :

«فعلموا المرأة قبل كل شـيء دين الإسـلام دين الحيـاة والعفاف والأمانة والشـجاعة، وكل خلق كـريم؛ لتغرس ذلك في نفوس أبنائها لينشأوا علي الفضيلة بعيدين عن كل خلق ذميمة».

سادسـا : العناية باللغة العربية تعليمـا وتثقيفا في مجالات الحياة الثقافية الرسـمية منها وغير الرسـمية، فكما هـو معروف أن اللغة العربية كانت لغة الحياة في جميع مناحيها اسـتنادا لسـلطة الدور العماني الممتدة من مقديشـيو شـمالا، وحتى أوغندا، و«رأس دلفاو» جنوبا، ومن مشـارف موزمبيق شـرقا، حتى أعالـي الكونغو غربا ، وكانـت تلك السـلطة نابعة مـن جهـود العمانيين السياسـية التي صاحبتها عناية بنشـر اللغة العربية عن طريق نشر الدين الإسلامي أولا، ثم إقامة المراكز التجارية ثانيا، وقد سـاعدت الثقافة العربية، وسهولة مصطلحاتها، وسلامة نظمها على ذلك الانتشار، فضلا عن كونها لغة القرآن الكريم وضرورية للعبادات وقراءة القرآن وتفسيره، ومعرفة السـنة النبوية الشريفة، الأمر الذي جعل الناس يقبلون على تعلمهـا والتحـدث بها من منطلق عوامل أخـرى كالاختلاط بالعرب والتـزاوج معهم والتأثـير في الطرف الآخـر إذ لا مناص من تأثر العمانيين أنفسـهم باللغة السـواحلية التي أتقنوها، الأمر الذي أدى إلى ردة فعل معاكسـة من لغتهـم الأم، وتلك ضريبة دفعها العمانيون جراء تلك الهيمنة على الصعيد الحضاري في بعده العام لا الخاص، وكانت نسـبية على كل حال فاحتفاظ كثير من العمانيين بلغتهم كان السـمة الأغلب دائما، ومن جهة أخرى فإن التقاء اللغة العربية باللغة السواحلية في شـرق إفريقيا أحدث ألوانا عديدة من التأثر في كلتا اللغتـين من خلال وجـود كلمات العربية في اللغة السـواحلية كتابة ونطقا مما جعلها تكسب مكانة مهمة في القارة الإفريقية بأسرها.

ومــن هذا المنطلق كانت دعوات صحيفة «الفلق» صريحة وواضحة إلى الاهتمام بهذه اللغة، وكانت في الكثير من أعدادها تضم مقالات متكررة في هذا الشـــأن نذكر منها مقالا نشـــر في ١١ تموز / يوليو ١٩٥٦ للكاتب سالم بن حميد الرحبي يقول فيه:

« .... فإني أناديكم بملء فمي – يا بني العروبة – أن تعلموا أبناءكم لغة آبائهم، لغة دينهم ورسولهم، لغة قومهم، وأن لا تجعلوا أبناءكم في زوايـــا الغفلة والإهمال؛ لايعرفـــون القبيل من الدبير، ولا الظاهر من الضمير، فأنقذوهم من مخالب الجهل وخذوا بأيديهم من الحضيض الأدنـــى إلى الـــذروة العليا من العلم والعمل، والســـعي إلى ما يتطلبه منهم الواجب الإسلامي نحو الاهتمام بلغتهم العربية.....».

***

ثانيا – صحيفة «الفلق» وآفاق الإصلاح الثقافي:

تعـــدّ صحيفة «الفلق» أبرز الصحف التي اضطلعت بدور الإصلاح الثقافي وأهمها، لأنها منبثقة من نشاط الجمعية العربية التي ما فات أعضاؤها أن يقترحوا في لقائهم المنعقد في السادس من تموز / يوليو ١٩٢٦ إنشاء صحيفة عربية تجمع شتات أفكار الجاليات العربية في زنجبار، وتحدد مواقفهم من الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي (القائـــم هناك. وتربط من جهة أخرى جميـــع العرب والعمانيين فى مختلف المناطق الإفريقية بعضهم ببعض، بل أيضا بأوطانهم لاسيما «عمان»، الأم التي بعدت مسافتها جغرافيا وسياسيا، بحكم انفصالها ككيان سياســـي عن سلطنة زنجبار، كما يشير التاريخ القريب، وأكثر من ذلك كان هدف هذه الجمعية من إصدار صحيفتها هذه هو إبراز نشـــاطها الثقافي والأدبـــي والاجتماعي والزراعي، وتجســـيده أمام الرأي العام الوطني والعربي هنـــاك، خصوصا أنها تصدر في مركز الســـلطة الحاكمة «زنجبـــار» و«الجزيرة الخضـــراء»، وتوزع في مدن إفريقيا وبقاعها المختلفة.

لقد تحولـــت تلك الرؤية إلى رؤيا، وذلك الهدف إلى غاية تحققت، ففي عـــام ١٩٢٩ صدرت «الفلق» وســـط تطلعـــات أعضاء الجمعية

العربية الحالمة بالتنوير ، تذكيها في ذلك همســة مشرقة ونور يتبدى ولــو من بعيــد نحو التعبير الحــر الجريء، بعــد أن ضاقت كلمتهم واختنقــت أصداؤها على امتداد التاريخ الحديــث تدفعهم في ذلك تجربتهم الحرة الجريئة في انتخاب أعضاء جمعيتهم إبان تأسيســها الأول عام ١٩٠٨ م، وحيث كشــف الانتخاب في ذلك الوقت نفحة من الديمقراطية غير يسيرة. فكان توجهها الإصلاحي التنويري الحاضر لبنــة في هــذا الصرح الثقافي الــذي بنوه بعقليــة وثابة وطموحات عظام.

صدرت «الفلق» صحيفة ثقافية عامة (سياسية، أدبية، اجتماعية، اقتصادية، علمية، زراعية) وأريد لها أن تتوالى كل سبت من كل أسبوع، واستمرت بهذا الحال متدفقة في عطائها منتظمة في ميقاتها إلى أن جاء عام ١٩٥٦ م، حيث توقفت عن الصدور بهذا الشــكل الأسبوعي، وأصبحت تصدر كل أســبوعين متعاقبة بين الســبت والأربعاء، وذلك حتى نهاية شــهر كانون الأول / ديسمبر من عام ١٩٦٣ م، إذ توقفت بعد ذلك إلى الأبد بتوقف نشــاط الجمعيــة العربية، ومعها كل كيان الدولة العربية العمانية، إثر الأحداث الدامية التي شــهدتها زنجبار وإفريقيا، واستهدفت تصفية الوجود العربي (العماني) هناك.

جاءت صحيفة «الفلق» لسان حال الجمعية العربية، ومنبرا ثقافيا وأدبيا، ووثيقة شاهد عيان على مجريات التاريخ؛ حيث كانت أحداث ساخنة ترسم فواصل كبرى فيه سواء للعمانيين، في وطنهم «عمان» أو فــي مختلف مهاجرهم؛ ولهذا لاريب أن تكون هذه الصحيفة وغيرها جامعة لأخبارهم، مسجلة لطموحاتهم وآمالهم، إضافة إلى توجهاتها الإصلاحيــة والتنويرية، تدفعها في ذلــك مرجعيات تاريخية أصيلة، منبثقــة من تاريخ عمــان وحضارتها التليدة، حيــث يوجد العمانيون فــي مكان صدورها «زنجبار»، وهذا البعد الحضاري يشــكل في حد ذاتــه ضربا من ضروب ذلك الإصلاح فــي مفهومه العام لا الخاص، والسياسي لا الأيديولوجي.

ورغم اهتمــام صحيفة «الفلق» أساســا بأخبــار العالم، وأحداث الحــرب، وأخبار المجتمع المحلي والعربــي، فإنها ركزت جهدها على

نشــر الثقافة الحديثــة، والأفــكار الاجتماعية المصاحبــة لها، كما اعتمدت بعضا من المفاهيم الجديدة في الأدب، والفكر، والسياســة، والتــي لم تجد لها ســبيلا إلى الظهــور طوال الفترة الســابقة لها، من ضمنهــا الفنون الأدبية الحديثــة كالقصة القصيــرة، والرواية، والمســرحية، ويرجع ذلك - بطبيعة الحال - إلــى المرحلة التاريخية التــي كانت تصدر فيهــا. إذ الفرق الزمني بينهــا وبين صدور أقدم صحيفة في مكانها «زنجبار» تبلغ أكثر من ســبعة عشر عاما، وخلال هذه الفترة واجه المجتمع في شرق إفريقيا وعمان كثيرا من التحولات الاجتماعية والسياسة والثقافية التي رسمت ملامحها بقوة مبادرات الطبقة المتوســطة، وبرزت تطلعاتها في التعليم والثقافة، وهو المجال الذي اتخذت منه هذه الصحيفة وسيلة للتفوق والامتياز.

ومــن هذا المنطلق وحده يمكننا أن نقــف على أبعاد الإصلاح من خلال وصفها المادي.

١ - الوصف المادي للصحيفة: ونحدده في نقطتين هما:

- صدرت صحيفة «الفلق» في حجم «التيبل يود» في أربع صفحات باللغة العربية، ثم زيدت صفحاتها إلى ســت صفحات ثم إلى ثماني صفحــات بعد أن رأى محرروها أهمية مخاطبة العنصر غير العربي (الانجليز والهنود وبعض الأفارقة) فصدرت باللغتين العربية في أربع صفحــات، والانجليزية في أربع أخرى، لتكــون في متناول الجاليات غير العربية المعنية بالإصلاح.

- تصــدّر صحيفة «الفلق» صفحتها الأولى بآية قرآنية عادة تكتب في أعلى الصفحة من مثل قوله تعالى: «قل أعوذ برب الفلق من شــر ما خلق» تأصيلا لدلالة الاسم الذي تبنته، كما أنها أحيانا تعنى بإبراز حكمة دالة، أو قول مأثور تبعا لطبيعة الحدث الموضوعي الذي يفرض نفســه عليها؛ ولذلك كثيرا ما تقع عين القارئ على عبارات تدل على الحكمة من مثل: من طال عدوانه زال سلطانه «و» وعند الطعان يبان الفارس الجبــان «و» لا تحتقر من دونك، ولا تتملق لمن فوقك» وعادة ما تكشــف هذه الأقوال المأثورة عناية فائقة في الاختيار، وهي كثيرا ما تلمح، بل وتسقط على القارئ بغية نقده وتحريره.

- تقسم المواضيع في الصحيفة تبعا لأهميتها بالنسبة لتوجهات المحررين، فهي تبدأ عادة بالموضوعات السياسية كالأخبار، والتحقيقات، خصوصا أنها عاصرت حربين عالميتين، وشاهدت تقلبات عسكرية عديدة، إضافة إلى تسجيل الوقائع والأحداث السياسية الخاصة بسلاطين البلاد وحكامها، فهي لسان حال جمعية تنتمي لأطروحات سلاطين البلاد وآرائهم، ومن ذلك فهي تقف مليا (في صفحاتها الأولى) على هذه الأحداث محللة إياها مبرزة وجهة نظر رسمية إزاءها تتخذ من الإطراء منهجا، ومن المديح أسلوبا. وتقوم أحيانا بنشر المراسيم السلطانية والبيانات الحكومية وتتحقق من أخبار العرب وقضاياهم عبر سلسلة من المراسلين. كما أنها تعنى بنقل أخبار السلاطين الخاصة أو أخبار حفلاتهم وتنقلاتهم داخل البلاد، وخارجها مشيدة بانجازاتهم الحضارية محتفية بافتتاح مشاريعهم التنموية.

أمّا الصفحة الثانية، فهي «عادة للتحقيقات والموضوعات الموسعة والتحليلات التي تبين مواقف «الفلق» من مجمل القضايا العالمية والعربية»، لهذا تكثر فيها النداءات والبيانات المستوحاة من مواقف المحررين السياسية، ومن مواقف الصحف العربية المشابهة التي تنقل منها «الفلق» الأخبار مثل صحيفة «الأهرام»، و«أخبار اليوم»، و«الشرق»، و«المقتطف»، و«العلم العربي»، و«الفتح» و«الأمة»، و«الحكمة»، و«العهد الجديد»، و«العمل القومي»، و«الكفاح»، و«الجزيرة»، و«الروح» الجزائرية وغيرها. وتقدم الصفحة الثالثة المقالات الثقافية والأدبية سواء تلك التي يكتبها المحررون أنفسهم، أو المراسلون، أو المثقفون العرب الذين استقطبتهم الصحيفة، أو نقلت مواضيعهم من جرائد وصحف عربية مماثلة، أمثال: محب الدين الخطيب، ومحمد لطفي جمعة، أو غيرهما، وتقدم في هذه الصفحة نصوصا شعرية لشعراء عمانيين وعرب ممن ينتمون إلى الجمعية العربية، خصوصًا الحضارمة واليمنيين والصوماليين والقمريين.

وفي الصفحة الرابعة والأخيرة ترد التتمات الإخبارية والتهاني

والتعازي والأخبار القصيرة والنوادر واللطائف والحكايات التي تروي ماضيا وحاضرا، وأيضا الأخبـار الاجتماعية والثقافية، إضافة إلى أخبار أعضاء الجمعية العربية، وتتبع حالة إقامتهم ومغادرتهم من وإلى «زنجبـار» و«الجزيرة الخضراء»، وما يلم بحالهم من وفيات، ومتاعب نتيجة للأسـفار البعيدة التي يقومون بها، وعمان (الأم) حاضرة في هذه الأخبار القصيرة حضورا كبيرا سـواء من خلال رصد هجرات أهلها إلى الجزيرة وجميع بقاع إفريقيا، أو حتى بيان حالتهم في كثير من المناسبات الاجتماعية كمراسيم الزواج والمناسبات الدينية وحفل قـراءة المولد النبوي الشـريف، والذي كانوا يعنـون به في مهجرهم عناية فائقة، إضافة إلى مناسـبات العـزاء والوفيات وما يصاحبها مـن عادات اجتماعية معروفة. بقي أن نشـير إلى أن هذه الصحيفة فـي توجهها الفني لا الموضوعي عرفت الدعاية والإعلانات فاحتفت بها في صفحاتها الأخيرة، لكي تضمن موردا ماديا مسـتقرا يساعد على اسـتمرارها وتطور آرائهـا. وتوثق الصحيفة فـي هذا الصدد تواريخ بداية السـلع والأدوية التجارية، وتقدم لوحة (بانورامية) تؤكد تطورها، وكيفية تعامل الإنسان معها في بدايات ظهورها.

إن هـذا التوجه يدل في بعده الأكبـر على مدى تفاعل المجتمع مع الصحيفـة، ويؤكد مصداقية وجودها كلسـان حاله، مما يؤهلها لأن تلعـب دورا تنويريا إصلاحيا على المسـتوى الاجتماعي الفعلي، مثل موقفها من المجتمع عندما يقبل على الدواء المصنّع علاجا للأمراض لا على التمائم والرقي السائدة فيه.

اضطلعت الصحيفة بكل ذلك لا لتخلق صورة تقليدية، وترسـخها كما كانت الحالة من قبل، بل لتنتشـلها من أعماقها السحيقة. وهذا هو شأن التنوير في أدق معانيه المحسوسة دوما.

٢ - الاحتفاء بالخطاب الإصلاحي:

يمكن أن نسـجل لصحيفة «الفلق» ومحرريها سـمات عدة تدخل ضمنا فـي حيز التنوير، بالرغم مـن أن الصحيفة لايوجد فيها نقد مباشر للواقع، أو الدعوة للخلاص من جموده، ولا حتى مجابهة لأشد معضلاته، وإنما تتضمن جملة من التصورات والأفكار، والاجتهادات

ذات البعد التنويري أفاد أصحابها فيها من دعوات المصلحين العرب الذين تمتلئ بهم الذاكرة العربية في سياقها النهضوي الخاص شأن: محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥)، وجمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ – ١٨٩٧)، ومحمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥)، ومحمد اطفيش، بل وحتى نور الدين السالمي (١٨٦٥ – ١٩١٤)، وسعيد بن خلفان الخليلي (١٨١٥ – ١٨٧٢)، وأبي مسلم البهلاني / الرواحي (١٨٦٠ – ١٩٢٠) على الصعيد العماني، فالصحيفة تستوحي مكونات هذا التراث، وتحاول أن تقدم خلاصته وفق ظروفها المحيطة سياسيا، حيث توجهات الجمعية العربية الرسمية، وثقافيا: حيث صدورها في مجتمع مختلط بأجناس متعددة وثقافات مختلفة ولغات متنوعة.

لهذا فهي تطمح لأن تكون عاكسة لذلك التنوع، وهو تنوع خلاق أدى في نهاية الأمر بالصحيفة إلى أن تقدم لقرائها سلسلة من الأفكار الداعية إلى التنوير، والإصلاح وسط حالات الجهل والتخلف والتشتت والتبعثر التي خلفتها الأوضاع السياسية – كما أشرنا – مما حدا بها إلى تبني ما نادى به المصلحون التنويريون قبلها من دعوات العلم الحديث، وفتح المدارس، وتعليم المرأة والإصلاح الزراعي، وإقامة الجمعيات والنوادي الثقافية وشق الطرق وتعبيدها، وبناء المستشفيات، وأكثر من ذلك التمسك بالقيم الإسلامية، والمحافظة على اللغة العربية، خاصة وأن ذلك البناء الحضاري يجري في أرض بعيدة عن معطيات العروبة.. لغة، ونهجا، وسلوكا، وعادات، وتقاليد متأصلة في أرضها، وبين أبنائها (الأفارقة) الذين تحاول الصحيفة استمالتهم – قدر الإمكان – فهل تحقق لها ذلك؟

لقد رسمت صحيفة «الفلق» كل تلك الأهداف التنويرية، وسعت إلى تحقيقها بما أوتيت من إمكانات محدودة، وبما تهيأ لها من هيئة محررة لعبت دورا كبيرا في هذا الجانب مكونة في نهاية الأمر نموذجا للمثقف التنويري الذي قام بواجبه في حدود ذلك الزمن وتلك الإمكانات، فليس باستطاعتنا أن نطالبه بأكثر مما قدم «فالنقد الحقيقي للمؤسسات والخطابات لا يتمثل في محاكمتها، وإنما في تمييزها وفصل بعضها عن بعض» على حد رولاند بارت.

إذن قدمت «الفلق» نموذجا للمثقف التنويري «عبر جميع أطروحاتها سـواء تلك التي قدمها أبرز محرريها مثل: الشـيخ ناصر بن سليمان اللمكي، أو الشـيخ محمد بن هلال البرواني، أو الشـيخ هاشـل بن راشـد المسـكري، أو حتى أبز كتابها مثل: محب الدين الخطيب، أو محمد لطفي جمعة، أو محمد حسين هيكل، وهذا في حد ذاته مثّل «نموذجا حيويـا لانبناء جوهر التلاحم والنضال فـي الوعي، وتعبر مصادره عن الإمكانـات غير المحدودة التي تهبهـا التجربة الفردية العربيـة فـي المثاقفـة، وتوظيف العقـل والنضال من أجـل التقدم الاجتماعـي والثقافي على حد سـواء» ، و«الفلق» لـم تقدم كل ذلك لقرائهـا لولا وعي كتابهـا بمكانة تلك الأقـلام الجريئة التي قدمت التنويـر من على منابر الصحافة العربية؛ لذا فهي لم تجد ضيرا في الاحتفاء بها وتقديمها لقرائها تحت مظلة العضوية المشـتركة للفكر الإسلامي (الوحدوي) إذا صح التعبير.

٣ -مكونات الخطاب الإصلاحي:

- المكونات الموضوعية:

لعـل أهم ما ترتكز عليـه مكونات الإصلاح فـي صحيفة «الفلق» احتفاؤها بالخطاب التنويري في جميع أشكاله، غير أن هذا الاحتفاء بـات من الواضح خضوعه لقوة مركزية تحـدد اتجاهه وتغذيه، إنها سـلطة الجمعية العربية وسطوتها اللامتناهية، «ومثال هذه السطوة موجـود في مئـات الصحـف التي تخضـع لأيديولوجيـات النظام المؤسـس لها ممـا يبعدها أحايين كثيرة عن مظهـر التنوير في بعده السياسـي على الأقـل». ومثال صحيفة «الفلـق» هذا لا ينفصل عن مئات الأمثلة التي يرتكز خطابها على قوة مهيمنة تقوم بدور المرسل، و«كل صحيفة - كما يقول الدكتور إبراهيم غلوم - في هذا السـياق مهيمـن عليها بمركز يحـدد هوية خطابها منذ أقـدم ما نعرفه من الصحافة العربية وحتى أحدثها؛ إذ لم توجد صحيفة مسـتقلة حتى في ظل ما يسـمى الأنظمة الديمقراطية الحرة، . لأنها مرتهنة دوما بإسـتراتيجية خطابية موصولة بشـبكة من العلاقات والمصالح التي تحددها أيديولوجيا نظام التأسيس».

وفـــي ظل هذه الفكـــرة الملحة نحاول إثبات أبـــرز مظاهر التنوير فـــي خطاب «الفلق» الثقافي، من خلال بيان دور المثقف التنويري في نشأته وبلورته، وربطه بمركز خطابي آخر يتجلى في صياغة تشكيلات خطابية جديدة، «ومنتجة على مســـتوى خارطة التفكير وتخوم عمل العقل والوعي المتواطئين مع الانســـياق الموضوعي في تكوين المجتمع الحديث، وهو مركز إن لم يكن موازيا للخطاب السياســـي، فهو مواز من دون أي شك للخطاب الأدبي في مختلف فنونه، وبالأخص الشعر «إذ كان الشـــعر ولا يزال الكاشف لكثير من الأطروحات الاجتماعية الغامضة؛ لهذا جاء الاحتفاء به منصبا على أسس عدة راعتها «الفلق» في تقديمها لهذا الخطاب، منها: ما اعتادت عليه الذائقة العربية في خطابها من روح شفافة تحمل معاني الحماس والاستنهاض والتوعية والإرشـــاد، هذا في حد ذاته يشكل مظهرا تنويريا سجلته «الفلق» من خـــلال النموذج الذي قدمته في كثير من افتتاحياتها وتبرهنه المطالع الشعرية التالية:

شـــرف الـــفـــتـــى بـــالـــعـــلـــم والأعـــمـــال
وهـــمـــا مـــنـــاط الـــعـــز والإجـــلال
والـــعـــلـــم ذخـــر فـــي المـــعـــاد ومـــفـــخـــر
فـــي هـــذه الـــدنـــيـــا وثـــوب جـــمـــال
وإذا شـــئـــت أن تحـــيـــا عـــزيـــزا
مـــكـــرمـــا فـــدبـــر ومـــيـــز مـــا تـــقـــول وتـــفـــعـــل
ومـــا نـــيـــل المـــطـــالـــب بـــالـــتـــمـــنـــي
ولـــكـــن تـــؤخـــذ الـــدنـــيـــا غـــلابـــا
تـــعـــلـــم فـــلـــيـــس المـــرء يـــولـــد عـــالمـــا
ولـــيـــس أخـــو جـــهـــل كـــمـــن هـــو عـــالـــم

المكون الأول: الاحتفاء بالخطاب السياســـي: وتتخذ الصحيفة فيه ثلاثـــة أبعاد هـي: البعد الوطني (وضـــع عمان الأم، وزنجبار المهجر)، والبعد العربي (وضع فلسطين وسائر أقطار العروبة)، والبعد العالمي (وضع الحرب العالمية الثانية).. وللصحيفة في كل بعد من هذه الأبعاد موقف له محدداته وتجلياته نلمح أولها في الخطابات التالية:

- الخطاب السياسي الوطني

الأول: خطاب الولاء والتمجيد :ونمثّل له بالنموذج الآتي:

«يا صاحب العظمة السلطان. ليكن مقبولا لدى سيادة عظمتكم السلطانية أن الجمعية العربية الممثلة للعرب رعايا عظمتكم تقدم أصدق آيات الولاء والطاعة بمناسبة عيدكم المجيد».

والصحيفة في هذا الخطاب تنشر نصوص الخطب السلطانية، وكلمات افتتاح المشاريع التي تنشأ في زنجبار والجزيرة الخضراء، وتحفل بخطب الأعياد والمناسبات الرسمية وغيرها، وذلك توافقا مع نهجها الرسمي تجاه السلطة والواقع، إلا أنها في بعض الأحايين لا ترى ضيرا في أن تقدم بعضا من النقد الصريح للواقع الرسمي، فتكيل لهم تهم التقصير متخذة من ملابسات بعض الظروف ذريعة لتوجيه نقدها، ومن ذلك مطالبتها ببعض الوظائف الحكومية في مجال الصحافة. فقد كتبت مقالا معنونا بـ «زهق الباطل» وأفردت له صفحتها الأولى من عدد السبت ١٩٣٩/٢/١٨ قائلة: «لست أدري وأيم الحق هل من الصواب أن نكتب، أو نوقف أقلامنا عن الكتابة... ويتذكر قراؤنا أننا على صفحات هذه الجريدة، ولانزال نكتب إلى ما شاء الله عن حقوقنا المهضومة، ونحن في كتاباتنا نخاطب الحكومة ولا نخاطب فردا...».

وفي سياق هذا اللوم استمرت صحيفة «الفلق» في توجيه مطالبها الرامية إلى تحسين الأوضاع الزراعية، أو الصحية، أو التعليمية، وفي هذا المجال تطلعنا الصحيفة على عناوين مقالات جريئة أفردت لها صفحتها الأولى من مثل مقال معنون بـ «من نلوم»، وآخر «من أراد أن يعيش بيننا فليعش وفق نظرياتنا وإلا فلتصحبه السلامة»، وثالث «نداء الوطن»، ورابع «موقف مؤسف»، وخامس «نريد زعيما»، وسادس «من المسئول» وسابع «مطالبنا والحكومة». ومن الأخير نقتطف المقطع التالي: «نحن الآن في أوائل سنة ١٩٣٩ ولنا مطالب طالما خاطبنا الحكومة فيها، ولكن لسوء حظنا لم تلق مطالبنا من الحكومة أذنا صاغية، ولنا أن نكتب اليوم هنا تلك المطالب نذكر بها الحكومة، وأملنا أن تنال هذه المطالب عنايتها ولا تجبرنا الظروف

لتأجيلها إلى مطالب سنة ١٩٤٠م».

هذا وقد بلغ عدد المقالات المتسمة بالبعد السياسي الوطني خلال الفترة ١٩٣١-١٩٦٣ حوالي ثمانية وعشرين وثلاثمائة مقال تشكل ما نسبته ٧٦٪ من مجمل الخطاب السياسي العام، وهذه سمة تبرز صدق توجهات الصحيفة تجاه موضوع التنوير والإصلاح في مجتمع تتهاوى فيه قيم الديموقراطية، التي تنادي بها الصحيفة، وتضعها هدفا وغاية.

الثاني:خطاب الإرشاد والتوجيه

يتمثل هذا الخطاب في معطيات عدة أهمها:

- التركيز على طرح القضايا السياسية الساخنة والملحة بإنتاج موقف سياسي يعنى بتوجه كتاب الصحيفة ومحرريها أنفسهم، لهذا وجدنا أن الصحيفة تتعمد طرح قضايا تخص زنجبار نفسها، مثل تلك المقالات المتعلقة بمعاهدات الحماية البريطانية على الجزيرة أو المتعلقة بالمجلس التشريعي أو المجالس الاستشارية أو الأحزاب القائمة أو حتى إثر مواقف محددة تعنى بشئون وطنهم عمان كمعاهدة السيب أو قضية البريمي أو الجبل الأخضر واستخلاف الإمام الخليلي.

تقديم بعض النقد الصريح للواقع الرسمي بغية التشهير وإبلائه مساحة كبيرة من التقديم، إضافة إلى المطالبة بإصلاح الواقع وتطويره تقول الصحيفة في هذا الشأن:

«إن أهم الإصلاحات التي نريدها يا صاحب العظمة، ويا أيتها الحكومة، توسيع المعارف بالفنون العلمية والصناعية. نريد العدالة في الوظائف الحكومية، نريد تسوية العضوية الحرة في المجالس التشريعية، نريد أن لا تعتبرنا حكومتنا دائما كالأطفال لا نعرف ما نريد ولا ما يراد بنا، نريد أن لا تكتم الأفواه بأسلوب الترغيب عندما نناشدها بالإصلاح بكل صراحة، نريد آلا تجعل كلامنا من المفاهيم التي لا تسعها المدارك والأفهام وتصفح عنه.هذه أهم إرادتنا -أيها المليك- أيتها الحكومة، والله يوفق ويسدد وإنا لذلك لمنتظرون، يوم تبزغ شمس النصر فيه للديمقراطية، ويعود عالم السلم إلى بني

الإنسان».

- الخطاب السياسي العربي:

نلاحظ في هذا الخطاب مركزية القضايا العربية وعلى رأسها قضية فلسطين، وحرصها الدائم على متابعتها كل أسبوع تقريبا وهي في كل عدد تنادي بالخلاص من المستعمر الصهيوني الجاثم على أقطار الأمة العربية، كما يسودها التحذير والاستغاثة عندما تحل النكبات على أقطار الأمة.

ومن اللافت للنظر عنايتها بقضية فلسطين، وهى ترزح تحت وطأة الاحتلال البريطاني، فقد وقفنا على ما يقرب من تسعة مقالات كتبت في سنتي ١٩٣٨-١٩٣٩م وحدهما، وتشكل ما نسبته ١٥٪من مجمل الخطاب السياسي العربي الذي عنيت به الصحيفة.

ويمكن تقسيمه إلى:

- مقالات تفصيلية يهيمن عليها العرض والشرح والتحليل لمجمل القضايا العربية كقضية فلسطين، والجزائر، والمغرب، وتشكل هذه المقالات نسبة ٣١٪من مجمل الخطاب السياسي العربي.

- نداءات وبيانات تطلقها صحيفة«الفلق» قصد التنبيه، وتأصيل الخطاب السياسي، ورفع الروح المعنوية، وأمثلة تلك البيانات تتبدى في النماذج الآتية:«بيان.. للغرب الإسلامي:السلطة البريطانية وما بيتته للمسلمين في فلسطين» و«مشكلة فلسطين:بيان من اللجنة العربية للشعب العربي» و«بيان من اللجنة العربية العليا لفلسطين احتجاجا على استمرار الهجرة اليهودية».

وتشكل هذه النداءات والبيانات نسبة ٣٩,٦٪من مجمل الخطاب السياسي العربي.

- الخطاب السياسي العالمي:

إذا جئنا إلى الخطاب السياسي العالمي فقد اهتمت به الصحيفة اهتماما واضحا، فقد بلغت نسبته في أعداد عامي ١٩٣١-١٩٤٦م، حوالي ١٠٪ من مجمل الخطاب السياسي العام، وأبرز الموضوعات التي استأثر بها ذلك الخطاب:

- أنباء الحرب العالمية الثانية، فعندما نشبت عام ١٩٣٩م قامت

الصحيفة بتغطيتها وبث مواقف الدول المؤيدة لأطرافها، وقد نشرت في عددها الصادر يوم السبت ١١أيار/مايو١٩٣٩م خبرا عن أستراليا تقول فيه:

«عزمت حكومة استراليا على مساعدة إنكلترا بقدر طاقتها لتكسب الحرب وسترسل إليها أسطولا جويا مكونا من تسع طائرات...».

وعن كندا نشرت الصحيفة الخبر الآتي:

«قال رئيس وزراء كندا سنساعد إنكلترا في تدريب الطيارين للإمبراطورية، وأن أسطول كندا يمخر عباب المحيط الأطلنطي للمساعدة، وأن جنودا كثيرين سيسافرون إلى فرنسا للقتال...».

وعن روسيا :نشرت الصحيفة الخبر الآتي:

«ألقى مولتدرون وزير خارجية روسيا الشيوعية خطابا عن حالة الحرب، ويظهر من خطابه كل ما يضعف الأمل في قلوب الألمان الذين كانوا يتوهمون من روسيا المساعدة الفعالة، وروسيا لن تحارب من أجل ألمانيا».

- كما أطلقت الصحيفة نداءات تحذيرية للمواطنين الذين يعيشون كوارث الحرب العالمية الثانية: ونقع هنا على النداء الآتي الوارد في عدد السبت ١٩٣٩/٤/٢٩:

«إلى أبناء الوطن:

أيها العرب، أيها الشباب اقتربت الساعة، وصارت الحرب لا مناص منها .العالم في خطر، وربما لن يهمنا ذلك الخطر ولكن...بلادنا، أطفالنا ونساءنا، فتقدموا للدفاع عنهم.فدفاعكم عنهم دفاع عن أنفسنا، العالم في خطر، القوي لا يشبع والضعيف في خطر.لقد آن الأوان، فلنبن قوتنا من عناصر القوة: الشباب، الإيمان، الاتحاد، النظام: ولنكتب عما أضعف قوتنا وعوق مشروعاتنا.

الشباب: أيها العرب:

القوى تتنازع والسباع تتقاتل على الفرائس: فنحن الفرائس: فهيا للذود عن أنفسنا والإسراع بتهيئة أسباب حماية أطفالنا ونسائنا من ويلات الحرب والمجاعة: أيها العرب، بلادنا فقيرة في محصولاتها الزراعية فستكون على خطر فهيا على الأرض، فلننقذ أرواحنا وأرواح

فلذات أكبادنا.

الحـــرب واقعة لا مناص منها مهما اتفق الأقوياء، فلن يمر زمن إلا وسيتنازعون لا لشيء إلا لمقاسمة أمثالنا، فأظهروا للملأ أنكم بشر.

الوطن -الوطن

لن أنادي عليكم بحمل الســـلاح، فإنكم لا تملكون ذلك اليوم، وإنما أنادي عليكم بالدفاع عن أرواحكم ونســـائكم وأطفالكم بما أوتيتم من قوة وحيلة، فالضعيف يحتال».

المكون الثاني:الاحتفاء بالخطاب الأدبي:

- الاحتفاء بالتجارب الشعرية

إن مـــن مظاهر اهتمام صحيفة «الفلق» بالخطاب الأدبي احتفاؤها بالتجارب الشعرية وهنا نقف في أعداد الأعوام (١٩٣٠-١٩٦٣) على إحدى وتسعين قصيدة نشرتها الصحيفة لشعراء أمثال:خالد بن هلال الرحبي، وعبد الرحمن بن محمد الكندي، وصالح بن سعيد بن ناصر الكندي، وعمر بن أحمد الســـميط، وصالح بن علي الخلاسي، وأبي الفضل عبد الله بن صالح الفارســـي، وعبد الله بن أحمد، وسعيد بن راشد الغيثي، وسعيد بن عبد الله بن غابش الحبشي، وهلال بن بدر البوسعيدي، وهاشم بن عيسى الطائي، وغيرهم، وأعداد هذه القصائد

النسبة التقريبية	العدد التقريبي	المقالة
٣٤٪ ١٣٠	المقالة التاريخية	
٢٩٪ ١٠٩	المقالة الأدبية	
٢١٪ ٨٠	المقالة الدينية	
١٦٪ ٦٠	المقالة الاجتماعية	

تمثل نسبة ٢ , ٩٠٪ من العدد الإجمالي للخطاب الأدبي، ومن اللافت أن الصحيفـــة تقدم هذه النماذج الشــعرية «بنبرة قوية من الترحيب والاحتفاء» :من مثل عبارات (المتقد غيرة على الإسلام والدين، الشيخ الشـــاعر البليغ صاحب الفضل، أو الشاعر البليغ صاحب الفضيلة أو الشـــاعر الشـــاب الغيور، أو هذه القصيدة الغراء.وغير ذلك)ويمكن للقارئ أن يجد في تلك القصائد روحا شـــعرية شفافة تعبق بمظاهر رومانسية محببة، كوصف الطبيعة، وتمجيد التاريخ، والوطن، والمرأة ومـــا إلى ذلك، ونقتطف هنا مقطعا من قصيدة الشـــاعر ســـعيد بن راشد الغيثي وقد قدمت له الصحيفة بالتالي:

«هذه القصيدة من قول الشـــيخ ســـعيد بن راشد الغيثي في رحلة «وورورا» من الديار السواحلية.يقول الشاعر:

غـــــدوك فـــي المـــهـــامـــه أي ســر
لإجـــــلاء الأســـــى مـــن كـــل صـــدر
تـــصـــافـــحـــك الـــصـــبـــا مـــن كـــل فـــج
بـــأفـــنـــان الـــزهـــور شـــمـــيـــم عـــطـــر
إذا أرج النسيم أتاك نهرا نقيت من الهموم ولست تدري
وللأطيار ألحان تسلى شبيه العود في نغمات وتر

كما نقتطف نموذج آخر من قصيدة عبدالله بن أحمد بافضل التي يقول فيها:

ســـلـــبـــتـــنـــا بـــحـــســـنـــهـــا الألـــبـــابـــا إذ
أزاحـــــت عـــن المحـــيـــا الـــنـــقـــابـــا
أخـــجـــل الـــبـــدر حـــســـنـــهـــا فـــتـــوارى
فـــي غـــيـــوم الحـــيـــاء مـــنـــهـــا احـــتـــجـــابـــا
غـــــادة فـــــي دلالـــــهـــــا حـــــين تـــرنـــو
بـــلـــحـــاظ تـــرمـــي الـــفـــؤاد شـــهـــابـــا
يـــا لـــتـــلـــك الـــقـــلـــوب حـــين تـــراهـــا
دامـــيـــات تـــــروم مـــنـــهـــا اقـــتـــرابـــا

ولـــم يقتصر ذلك الاحتفاء على الشـــعراء العمانيـــين وحدهم، بل احتفت الصحيفة بغرض التنوير، والاســـتنهاض وبث الوعي وشـــحذ

الهمم بشعراء العربية المرموقين في هذا الشأن فأفردت صفحاتها لنصوص لشعراء أمثال: سليمان العيسى الذي نشرت له قصيدة «الثورة الحمراء» وكذلك الزهاوي، وشفيق جبري وأبو سلمى، غير أنها في مقابل احتفائها العلني بتلك الأسماء الشعرية المرموقة، كانت تخفي أسماء الشعراء الذين ينظمون قصائد شعرية ملتهبة، وتكتفي بإيراد النص الشعري فقط دون ذكر صاحبه، كما فعلت في النص الآتي المعنون بـ «لمن البلاد» وفي ذلك إشارة واضحة إلى الحس الاستنهاضي الذي تقوم الصحيفة بدفعه ولو من وراء (الكواليس)، يقول النص مشخصا حالة البلاد:

لمن البلاد وشعبها المختار
طمع الدخيل بها وضاق الجار
هي للأبالسة الذين ترهبوا
بمسوحهم فإذا بهم أحبار
لعصابة مهزومة معبودها
ذهب الحليف ودينها الدينار
للبائعين بلادهم بمناصب
الذل يجثم فوقها والعار
للفارضين على الشعوب زعامة
خرقاء تمنح اسمها الأدوار
ستظل تلعنهم بلادي كلما
ريع الحمى وتحكم الأشرار
الزيت من عرق الشعوب مقطر
ومن الجفون تفجر الآبار
يا جارهات يديك فالشرق ارعوى
فاليوم لا غبن ولا استئثار
عهد العبوديات ولى وانقضى
ومضى فلا ذل ولا استعمار
الله من خلف الشعوب وباسمه
من رقها ستحرر الأقطار

كما كانت تعنى بنشر نصوص شعرية لرموز الشعر العربي القديم، بغيـة تأصيل الفكر التنويري وبث الذائقة الشـعرية التي توافق ذلك الحـس في نفوس قرائها ومتتبعيها، وهي في هذا الشـأن تخصص مساحات كبيرة من صفحاتها لشعر المتنبي، وأبي العلاء المعري، وأبي فراس الحمداني، وامرئ القيس، وغيرهم.

وفي إطار اهتمام الصحيفة بالخطاب الشـعري، سعت جاهدة إلى تقديم الشعر التعليمي متمثلا في «الأسئلة والأجوبة» التي كانت تنظم شعرا في شـتى فنون المعرفة، والتي طالما شـغلت العلماء والفقهاء، والنحويين، فكان نتاجهم منها وفيرا تجلى في تلك القصائد الطوال، التي يبلغ عدد أبياتها عشـرات الآلاف، وتصل مطبوعاتها عشـرات المجلدات، ونتمثل هنا لاحتفاء «الفلق» بهذا النموذج الشـعري بأبيات الشاعر (سالم بن غيث)التي نظمها في النظم التعليمي:

أهـــدي إلـــيـــكـــم ســـــؤالات بـــديـــعـــات
مـــرصـــعـــات بـــألـــفـــاظ ثـــمـــيـــنـــات

كـــأنـــهـــا الـــبـــدر والـــشـــمـــس الـــتـــي بـــزغـــت
لـــكـــنـــنـــي صـــرت فـــي بـــحـــر الـجـــهـــالات

مـــاذا تـــرون امـــرؤ شـــهـــم لـــه شـــرف
قـــد ابـــتـــنـــى بـــفـــتـــاة ذات لاحـــات

فـــرامـــه المـــوت مـــن قـــبـــل الـــدخـــول بـــهـــا
فـــهـــل عـــلـــيـــهـــا قـــعـــود بـــيـــن عـــدات ؟

- الاحتفاء بالتجارب النثرية: -

ولـم يقتـصر ذلـك الاحـتفاء الأدبـي على الجانب الشعري فحسب، بل سـجلت صحيـفة «الفلق» احتفاء بالأجـناس الأدبـية الأخـرى من مثل المقالة، الرواية، القصة القصيرة، الخطبة(على نحو ما يمثله كشـاف الخطـاب الأدبي)، فبالنسبة للأولى(المقالة) فقد أحصيناها في أعداد الصحيفة للأعـوام (١٩٣٠-١٩٦٣م) بحـوالي تسع وسبعين وثلاثمائـة مقـالة تراوحت بين الأصناف الأدبية والتاريخية والدينية والاجتماعية على النحو التالي:

وكذلك سجلت الصحيفة احتفاءها بكتاب الرواية والقصة القصيرة

الواعدين، وهنا نقع على فصول من رواية نشـرتها الصحيفة لكاتب شـاب معنونة بـ«الأحلام» وذلك بغرض تشـجيع الطاقات والمواهب الأدبية الصاعدة وقد قدمت لها الصحيفة بالتالي:

«أقـدم اليوم علـى صفحات هـذه الصحيفة روايـة صغيرة ذات اثني عشـر فصلا ألفها شـاب لم يتجاوز ٢٥ عامـا، وما كنت لأقدم هذه الرواية على صفحات هـذه الصحيفة لقرائنا الكرام، لولا أنني أعجبت بها عند قراءتها، وعلى أنها من تأليف شـاب عربي زنجباري تخرج من مدارس مصر..» .

والجدير بالذكـر أن هذه الصحيفة نشـرت «رواية الأحلام» على مدى ستة أعداد دون أن تشير إلى اسم كاتبها مكتفية بالتعليق عليها «بـأن أفكارها ناضجة راقية ولغتها قويـة. وأن صاحبها منح جائزة كتـاب «النظرات» للمنفلوطي. وهي وإن لـم تخل من بعض الأخطاء عنـد المتبحرين فهي عندي مفخرة لا مثيـل لها». والواضح في هذا التقـديم أن احتفاء الصحيفة بهـذه الرواية يأتي من باب تشـجيع المواهب الصاعدة وفتح الباب لهم للإبداع والتطور.

كما أن عدم ذكر اسـم المؤلف والاكتفاء بالترميز له «بشـاب عربي زنجبـاري» يأتـي ضمن الإطـار التكويني المتخفي الـذي بدت عليه الروايـة العربية في بواكير هـا الأولى، حينما نشـر الكاتب محمد حسين هيكل روايته الشهيرة «زينب» كأول رواية عربية، ووقعها حينئذ باسم«مصري فلاح».

ونظـرا لتوحد طبيعـة الموضـوع الاجتماعي، والظـرف الواقعي للحياة العربية، فإن الروايتين تأخذان التوجه نفسه نحو نقد المحيط الاجتماعـي بمـا يكتنفه من رواسـب التخلف الكامنـة في كثير من العادات والتقاليـد الاجتماعية، ومحاولة صياغتـه صياغة تنويرية حضاريـة تخلصه تلـك النظرة الناقـدة لعلاقة المـرأة بالرجل وما يصاحبها من أطـر حضارية جديدة تفرضها طبيعة الحياة الحديثة، إضافة إلى تصويرهما وطرحهما لمكامن الخلل السياسي الذي يحطم المجتمع العربي آنذاك.

ولم تكتف صحيفة «الفلق» بالاهتمام بنص قصصي وحيد فحسب،

بـل قدمت لنا في فترة متأخرة عن تلـك الرواية نصا قصصيا آخر، وهذه المرة موقعا باســم صاحبه (صالح بــن أحمد الجهضمي) مما يوحي بتبلور فكرة الأنماط الأدبية الحديثة التي استوعبتها، متجاوزة سطوة النص الشعري وسيطرته، وذلك في إطار وعيها بظهور الأجناس الأدبية الحديثة التي بدأت تطفو على الساحة الأدبية العربية.

ومن جانب آخر سـعت الصحيفــة في إطــار احتفائها بالخطاب الأدبي إلى تقديم سلسلة من الحوارات واللقاءات مع الشعراء، بغرض كشف تجاربهم الشــعرية، وإيصال أصواتهم للقراء والمتابعين، ومثال ذلك حوار الفلق مع الشاعر العماني السيد هلال بن بدر البوسعيدي والذي أجراه مراســل الفلق في مســقط (علي بن محمد الجمالي) ونشر في عدد ٢٨ تشرين الأول /أكتوبر ١٩٤٤.

المكون الثالث: الاحتفاء بالخطاب الثقافي - الاجتماعي

أما عن الاحتفاء بالخطاب الثقافي في بعده العام، فنجد الصحيفة تمتلئ بالمقالات الاجتماعيــة والدينية والتاريخية، وقدٍ أحصينا منها في عامي ١٩٣٨-١٩٣٩تســعا وخمسين مقالة تشــكل ما نسبته ٩٪ مــن مجموع مقالات التنوير. ويغلب علــى مثل هذه المقالات الطوال، والاســتطراد حيث إن الصحيفة تنشــرها في صفحة كاملة، وأحيانا تجزئها على سلســلة متصلة من الحلقــات، وهي في الأغلب مقالات أعضاء الجمعية العربية.

وفي جانب آخــر تلجأ الصحيفة أحيانا إلى نقل مثل هذه المقالات من الجرائد العربية الأخرى التي تعتبر مصدرا إخباريا لها، وبخاصة صحف (الفتح)و(الأهرام)، (والعلم العربي)، وبذلك تســتقطب أقلام المثقفين العرب الكبار الذين يكتبون أساســا في تلك الصحف، ونحن نقع في هذا الشــأن على مقــالات لمحب الديــن الخطيب، ومحمد لطفي جمعة، ومحمد حســين هيكل وغيرهم.ولعل«الفلق» تهدف من ذلك الاســتقطاب بــث الروح التنويرية في نفوس قرائها، ولا ســيما العمانيين منهم، إذ إنها تحاول دفعهم إلى الخلاص من حالة الجمود التي تســم حياتهم وخصوصا في موطنهم عمان.لهذا فهي تحفزهم على الاقتراب من الخطاب العربي، وبالذات في المجالات السياســية

والاجتماعية والتاريخية وغيرها.

كما أن الصحيفة أحيانا تهتم بنشــر المحاضرات الثقافية من مثل محاضرة رودلف روث عن (آل ســعيد)، والخطــب من أمثال خطب الشيخ علي بن عمير المرهوبي وعلي بن محسن البرواني وحتى:خطب الشيخ سعيد بن علي بن جمعة المغيري في الجمعية العربية والتي من بينها خطبته بمناسبة افتتاح «مدرسة عربية» بالجزيرة الخضراء في ٦ كانون الثاني /يناير ١٩٤٢م وقد قال فيها:

«باسم الحكومة، وباسم مدير المعارف، وباسم التلاميذ والمتعلمين افتتــح هذه المدرســة في هذا اليــوم، وهي وحيدة مــن نوعها بهذه الجزيرة، والله ســبحانه ندعو أن يبارك فيها للوطن وأبنائه، فيخرج مــن طلابها لنا أمم راقية ترفع هذا الوطن وأبناءه، وترشــدهم بنور العلم إلى ما هو خير الدارين..» .

****

هذه مظاهر الاحتفاء بالخطاب الثقافي والتنويري في جميع أبعاده السياسية، والأدبية والثقافية العامة.وتكشف قراءة ذلك الخطاب عن وجود محاور عديدة تتدرج من خلالها هيمنة قوته وســيادة ســطوته بســبب عوامل ثلاثة أساسية لمسناها بوضوح ونحن نستقرئ سلسلة تلك الخطابات المكثفة.

الأول:تأثير شخصيات أعضاء الجمعية العربية التي تصدر الصحيفة بما في ذلك رؤساء التحرير (اللمكي- المسكري-البرواني) عبر فرض أيديولوجيــة توجه الخطاب الصحفي، وقد رأينــا أن الصحيفة ترد أحيانــا على مثل تلك التهم، وتدحض النقد الذريع الموجه إليها بفعل ذلك التأثير، كما هو الحال في مقال وظائف الحكومة: «زهق الباطل» ومقــال آخر بعنوان «جمعيــة مزارعي القرنفــل» إذ تنهى الصحيفة مقالها الأخير بالفقرة الآتية:

«يا أيها العرب ويا أيها المزارعون أزيلوا عن عيونكم القذى، وتمسكوا بهــذه الجمعية.إننا لم نخلق لنكون تحت مشــيئة الفئة المتاجرة، فلنا رغبات فمن أراد العيش بيننا فليعش وإلا فلتصحبه السلامة..» .

العامل الثاني: تأثير الخطاب الثقافي العربي وخصوصا في مصر

وسورية والعراق ولبنان والجزائر، والذي كان يضج بالأطروحات القومية، حيث كانت الصحافة تحتضنه وتدفع به، وتحاول عبره أن تتواصل مع القارئ العربي في أي مكان، لذا وجدنا أن الصحافة في زنجبار عامة، وصحيفة الفلق بخاصة تتفاعل مع الحدث العربي، وتستقي منه مادتها الإخبارية ويصل به الأمر إلى نقل كثير من نصوصه بقصد التنوير وبث الوعي، وأمثلة ذلك ما كانت تنقله من مقالات لكبار الكتاب عن «الحرية والديموقراطية» وسواهما.

العامل الثالث: تأثير «المجتمع الذي يتفاعل مع الصحافة بوصفها خطابا ثقافيا يضع حرية الرأي في مصاف الأولويات». وأبعد تأثيرات هذا العامل يتمثل في زيادة الإقبال على الكتابة في الموضوعات الإصلاحية إما عن طريق النشر المباشر أو حتى بتوقيعات مستعارة، والصحيفة تمتلئ بتلك التوقيعات من مثل «أبي صالح» و«أبي بركات» و«أبي هريرة» «وابن القطر العماني» و«ابن الشعب» و«فتاة زنجبار» و«لندني» و«عماني» و«عربي منصف» و«مسقطي» و«أفلاطون» في عموده الشهير «مناظرات».

ولقد شكلت لي التوقيعات المستعارة مشكلة أجلت من خلالها الحكم على كثير من تلك المقالات المهمة التي تتناول موضوعات وطنية وثقافية ذات حيوية قصوى.ولعل قراء الصحيفة ومعاصريها يعرفون من وراءها، خصوصا الذين عاصروا الشخصيات المهمة في الجمعية العربية يجزمون بتوجهاتهم، لكن رغم ذلك تقف محاذير كثيرة دون الأخذ المطلق بمسلمات تؤكد آراءهم حول من يقف خلف تلك المقالات، وأظن أن ظروف الفترة السياسية، وضغوط الحرب، أملت حساباتها ووجهت طاقاتها نحو المسكوت عنه من التناقض والصراع في الخطاب الثقافي العام.هذا من جهة، ومن جهة أخرى أسهم ذلك الخطاب في نقد لمختلف الأوضاع السياسية والإدارية والاجتماعية السائدة. الأمر الذي خلق جوا مناسبا لظهور المقال الإصلاحي، لكشف ما كان يشيع في المجتمع من مشاكل.

ب - المكونات الفنية:

وفي ضوء ذلك الاحتفاء بالخطاب الثقافي (الإصلاحي)، يمكن

الوقوف على ثلاثة أنواع مـــن المقالات قدمت بهما«الفلق» موضوعها التنويري:

الأول:«مقـــالات يطغى عليها خطاب النقـــد والاختلاف والحوار» ، وتكثر في المواضيع السياســـية الوطنية، وتنصب استراتيجيتها حول الاختلاف في قضايا ومشكلات تهم الواقع، ويصل عددها إلى أربعة وثمانـــين ومائـــة مقال في أعـــداد عامي ١٩٣٠، ١٩٦٢م.أي بنســبة ٢٨,٨٪من مجموع ما نشـــر من مقالات الخطاب الثقافي السياســـي بفروعه الثلاثة:الوطني والعربي والعالمي.وهذه النســـبة عالية مقارنة بأقرانها من النسب في المقالات الأخرى، مما يعني أن صحيفة «الفلق» قد وضعت دعوتها الإصلاحية التنويرية موضع التنفيذ مســـتنده في ذلك إلى تلمس ثغرات الواقع، واكتشـــاف مظاهر جموده، ولعل أشهر من قدم هذا النموذج الشـــيخ هاشـــل في مقالاته المتعددة التي نذكر منها:

١- مناهج التعليم.٢- تسعير الكهرباء.

٣-البعثات التعليمية. ٤- المجلس التشريعي.

٥- تسعير القرنفل.٦- زراعة النارجيل «جوز الهند».

الثاني«مقـــالات يســـيطر عليها خطاب العرض والشـــرح والتحليل وتكثـــر في المواضيع الثقافية العامة، وبالـــذات الاجتماعية والفكرية والتاريخيـــة، ويصل عدد هذه المقـــالات حوالي ٢٠٢ مقال في أعداد عامي ١٩٣١، ١٩٦٣م، أي بنسبة ٣٢٪ من مجموع ما نشر في مقالات الخطاب التنويري الثقافي، ويغلب على هذه المقالات توجهها العام من مثل: «الخطابة» و«المرأة في الإســـلام» و«الإنسانية وضرورة الرأفة» و«المال والأبناء» وغيرها.

وفي هذه المقالات يمكن اكتشـــاف العثرات الأولى في تكوين المقال وفي تشـــكيل مفهومه السائد:فهو مجرد عرض وتفسير ونقل مباشر يخلـــو من صياغة جديـــدة لفكرة أو قضية أو طـــرح لجدليات وآراء متباينة تستلزمها المواقف السياسية والثقافية.

الثالث:مقالات تتســـم بطابع التحقيق والتأصيل وتكثر في القضايا الخاصـــة بالوجـــود العربـــي العماني في شـــرق إفريقيـــا، ومحاولة

استشــرافه للأجيال القادمــة، إضافة إلى المقــالات المتصلة بتاريخ الأفكار، ومثال ذلك ينصب في التوجه الرســمي للصحيفة المنســاقة لدواعٍ (أيديولوجية) سياســية وأخرى تعليميــة -تثقيفية، إذ لم تكن دواعي التعريف تطرح بقوة إلا من خلال نموذج الصحافة، لهذا وقفنا على مقالات تأخذ هذا المنحى من مثل:

١- زنجبار والعرب. ٢- عمان وإفريقيا الشرقية.

٣-آل بوسعيد حكام زنجبار.٤- السيد سعيد بن سلطان.

ومن الجدير بالذكر أن عدد مقالات التحقيق والتأصيل بلغت ٢٥٣ مقالة، وشكلت ما نسبته ٣٩,٢٪ من مجمل الخطاب الثقافي العام.

بهــذه المكونات جميعا يمكن القــول: إن صحيفة الفلق تمثل وثيقة تاريخية شديدة الأهمية، وترتقي بعض مقالاتها إلى مصاف الشاهد التاريخي النــادر على جملة من القضايا والأحداث الوطنية والعربية والعالمية، ممــا يجعل دورها في خطاب الثقافة الواســع جديرا بأن يســجل ضمن دائرة الإصلاح والتنوير بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

مجلة «العرب» ساحة لعطاء حمد الجاسر الموسوعي

عبدالله الصالح العثيمين *

موضوع ندوة مجلة العربي في دورتها السنوية هذه عن «المجلات الثقافية ودورها في الإصلاح الثقافي». وهو موضوع وُفِّق من اختاروه كلّ التوفيق.

وريادة مجلة العربي في مجالها الثقافي ودورها المتميِّز في نشر الوعي الثقافي أمران يعرفهما المهتمون بالثقافة حق المعرفة. فبوركت نشأة، وبوركت مسيرة عطاء. ولقد أحسن الإخوة، الذين أعدّوا هذه الندوة الموفّقة، الظن بالضعيف الماثل أمامكم، وتكرّموا بدعوته للمشاركة فيها بالتحدث عن «دور مجلة العرب الرائد في إثراء البحث التاريخي والجغرافي للجزيرة العربية». ولم يكن لهذا الضعيف بد من تقدير ذلك الظن الحسن وهذا التكريم النبيل التقدير اللائق بهما، وتلبية الدعوة شاكرًا مع إدراكه لأبعاد ضعفه في المجال الذي دعي إلى التحدُّث فيه.

أما بعد:

* كاتب من السعودية

ليس من الممكن التحدث عن مجلة العرب دون التحدّث أولاً عن صاحبها الراحل.. منشئها وجاعلها ساحة لعطائه الفكري الموسوعي.. علاّمة الجزيرة العربية.. أستاذ الجيل وعمدة الباحثين في تراثها بخاصة وتراث أمتنا بعامة.. شيخي وشيخ الكثيرين من لداتي وأقراني حمد الجاسر، رحمه الله رحمة واسعة.

ولعلّ أبلغ عبارة وأكثرها اختصارًا في مسألة الربط بين الشيخ حمد ومجلة العرب هي تلك التي خطّها قلم الأستاذ الجليل الدكتور يحيى الجبوري في ندوة عن مرور أربعين سنة على صدور هذه المجلة: «لا يمكن التعريف بمجلة العرب دون التعريف بصاحبها وجهوده العلمية، فمجلة العرب هي الجاسر والجاسر هو العرب». وإذا سبق الحديث عن الفاعل الحديث عما فعله فإن هذا السبق يأتي منسجمًا مع المنطق كما يبدو للمتحدّث. فمن هو الجاسر؟ وكيف كانت سيرته بحثًا وعطاءً؟

كان من بين ما قدّمت به شيخي، رحمه الله، عند تسلّمه جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي:

علاّمة عشق التاريخ والأدبا
منذ ارتوى بين أحضان البرود صِبا

وسار في دربه العلمي يحمله
عزمٌ أحدُّ من السيف الصقيل شبا

طوى الجزيرة دارات وأمكنةً
تلاً وحَزْنًا ودوًّا صهيدًا ورُبى

وراح يسبر أغوار التراث فما
نأى عن البحث يومًا أو شكا تعبا

حتى أعاد أبا عمرو وسيرته
والأصمعي وياقوتًا وما كتبا

وصار للجيل أستاذًا ومعتمدًا
وللتلاميذ - مثلي - مُرشدًا وأبا

لقد كتب الشيخ حمد عن نشأته قائلاً: «في عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) تقريبًا ولد حمد بن محمد بن جاسر آل جاسر في قرية البرود لأب فلاح من أسرة قُدِر عليها رزقها، ونشأ عليل الجسم، وتوفيت أمه وهو في

السابعة. وفي مدرسة القرية تعلّم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم نظرًا، أي تلاوة.

آجـل مع إطلالة فجر يـوم من أيام ذلك العام أطلّ على الدنيا وجه مولود جديد لأبوين يعملان في الزراعة القائمة على وسائل بدائية في قرية يربطها بين التحضّر والبداوة ما يربط من صفات ووشائج. وبين إطلالة ذلك المولود علـى الدنيا في قريته تلك وموافاة الأجل له على مسـرح العملية الجراحية التي أجريت له في أمريكا بعد تسـعين عامًا من تلك الإطلالة مسيرة حافلة بضروب شتى من المعاناة والتحصيل العلمي والعطاء الفكري.

عند إطلالة الطفل حمد علـى الدنيا كانت الأوضاع الصحية في منطقة نجـد بعامة في حالة يرثى لها. وكان كثيـر من الأطفال يموتون في المهد أو بعـد مفارقته بقليل نتيجة أمراض متنوعة لم تجد من يعالجه. ولقد كان هو ضحية أحد تلك الأمراض، إذ وصف حالته في طفولته قائلا: «عشـت أولّ حياتي عليلاً، فلم أحسـن المشـي إلا في السـنة الرابعة من عمري». بل إن أمراض الطفولة التي لازمته أفقدت أسـرته الأمل في بقائه حيًا إلى درجة أنه حُفِرَ له أربعة قبور، لكن الله قدّر أن يدفن في كل قبر أعد له طفل آخر. وبقي هو على قيد الحياة كما شاء الله وقدّر.

ولقد تزامنت بداية خطوات الطفل العليل - بعد السنة الرابعة من عمره - مع بداية اسـتقرار البادية في مستوطنات، أو هجر، ضمن حركة الإخوان المشهورة التي أقبل فيها رجال القبائل النجدية على تعلّم مبادئ الدين الإسلامي وأحكامه. وأصبح لمدرسـي هذه المبادئ والأحكام وللوعاظ مكانة جيدة. ومن هنا كان الجو مشـجعًا للأطفال - وإن كانوا من أسـر توارثت العمل في الزراعة - على التعلّم رغبـة فيه أو أملاً في الوصول إلى تلك المكانة بسـببه. وما كان موت أم الطفل حمد الجاسـر - علاّمة الجزيرة العربية فيما بعد - ليصرف والده عن إرسـاله إلى مدرسـة القرية من أجل تحقيق ذلك الهدف. بل ربما كان دافعًا له كي يقوم بإرساله إليها تسلية له، أيضًا، عن بعض أحزانه المريرة بفقد أمه.

مسيرته العلمية:

كانـت معرفة الطفل حمد لمبادئ القراءة والكتابة وإتقانه تلاوة القرآن الكريم في مسـقط رأسـه من الأمور التي سـرّت أباه، وأعطته هو ثقة

بقدرته على اكتساب مزيد من العلم. وما إن بلغ الثالثة عشرة من العمر حتى بدأت مرحلة مهمة في حياته، إذ بعثه أبوه إلى أحد طلبة العلم من أقاربه في الرياض قاعدة الحكم ومركز التعليم في نجد. وهناك درس على عدد من علمائها مبادئ العلوم الشرعية والنحوية. على أن وفاة قريبه، الذي بعثه أبوه إليه، جعله يعود إلى قريته البرود حيث وجد المرض قد أنهك ذلك الأب. وبوفاة أبيه كفله جده لأمه، الذي كان إمام مسجد القرية. فصار يقرأ عليه بعض الكتب. ولضعف بصر الجد آخذ الحفيد حمد ينوب عنه، أحيانًا، في الخطبة وتدريس الأطفال. لكن أخاه الأكبر لم يرض بحالته، فذهب به إلى الرياض عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ونجح في ضمّه إلى صفوف طلبة العلم. واكتسب من علوم الشريعة واللغة المختلفة ما اكتسب. وبعد سنتين من الدراسة انتقل إلى مكة حيث التحق بالمعهد السعودي، وتخرّج في قسم القضاء الشرعي سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

حياته العملية:

لم يبدأ الشيخ حمد حياته العملية في مجال القضاء، الذي تخصص فيه، بل عمل مدرسًا في بلدة ينبع. ومع أنه عمل قاضيًا عدة شهور من سنة ١٣٥٧هـ إلا أن رغبته في مزيد من التحصيل العلمي جعلته ينتهز فرصة أتاحت له السفر إلى القاهرة حيث التحق بكلية الآداب. على أن هبوب رياح الحرب العالمية الثانية حالت دون إكماله دراسته هناك. فعاد إلى وطنه، ودرّس في أماكن عديدة. ثم تولى مناصب إدارية تعليمية، منها الإشراف على مدارس أرامكو في الظهران، وإدارة التعليم في نجد. وكان آخر عمل إداري تربوي له إدارة كليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م. وهاتان الكليتان هما نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

آثاره العلمية:

كانت صفات الشيخ حمد الذاتية فريدة أهلّته ليصبح ذا معرفة موسوعية عظيمة. فقد كان آية في قوة الذاكرة. لم يكن يحفظ الأشعار

فحسب، بل كان يحفظ العبارات النثرية أيضًا، ويحفظ أسماء من لقيهم أو عرفهم بأي طريقة عبر السنين الطويلة التي عاشها، ويحفظ عناوين الأمكنة وأرقامها. ولعلّ من عجائب ذاكرته القوية أنه لم يحفظ الحوادث القديمة التي مرّت به - كما يحفظ أقوياء الذاكرة الآخرون - فحسب، وإنما كان يحفظ دقّة الحوادث التي مرّت به في أواخر عمره. وكان من صفاته الصبر والجلد في سبيل الوصول إلى الهدف العلمي المنشود. ومن الأدلة على ذلك ما قام به من أسفار داخل المملكة العربية السعودية للتحقق من دقة المواضع وصفاتها، وما تحمّله من مشاق الترحال إلى بلدان كثيرة عربية وغير عربية للاطلاع على خزائن مكتباتها والتنقيب عن تراث الأمة العربية الإسلامية فيها. وما دوّنه في كتابه «سوانح الذكريات» فيه الشيء الكثير المفصّل عن تلك المشاق. وكان من صفاته، رحمه الله، عشقه غير المحدود للقراءة والكتابة. وأوضح دليل على سعة ما قرأه من كتب مخطوطة ومطبوعة في مجالات متنوعة من التراث قراءة متدبّر ما دوّنه - نتيجة لتلك القراءة النوعية - من كتب، تأليفًا أو تحقيقًا، وما كتبه من مقالات يصعب عدّها، طرحًا لآراء أو نقدًا لدراسات، أو تصحيحًا لمعلومات جغرافية أو تاريخية أو لغوية.

وكان عشقه للقراءة والكتابة أقوى من أن يحدّ من عظمته ما كان عليه من ضعف بصر لازمه أكثر من خمسين عامًا بحيث كان يحتاج، أحيانًا، إلى استخدام المكبّر للقراءة. وقد عبّر عن ذلك العشق بقوله: «إنني أشعر بالحياة ما دمت أقرأ وأكتب». ولقد تجاوز ما دوّنه من كتب ومقالات وتعليقات ألفًا وخمسمائة عمل.

مكانته وتقديره:

لم يكن غريبًا أن يحتل علاّمة موسوعي اتصف بالصفات الذاتية والعلمية التي اتصف بها الشيخ حمد مكانة رفيعة بين الباحثين والدوائر العلمية المرموقة في الوطن العربي، ولذلك انتُخب عضوًا في المجامع العربية اللغوية والعلمية، وأدى من خلالها أدوارًا كبيرة لم يكن في وسع غيره أن يقوم بأمثالها، وبخاصة ما يتعلق بتراث جزيرة العرب، شعرًا ولهجات وأمكنة وتاريخًا وقبائل وأنسابًا. فقد انتخب عضوًا في المجمع العربي العلمي بدمشق (مجمع اللغة العربية فيما بعد)، سنة ١٣٧٠هـ/

١٩٥٠م، وفي المجمع العلمي العراقي سـنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، وفي مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م. وكان عضوًا في مؤسسة آل البيـت، التي تعنى بالحضارة العربية، إضافة إلى عضويته في مراكز ومؤسسات علمية أخرى.

ومادام عطاء الشيخ حمد المتميّز، فكرًا موسوعيًا أصيلاً، بتلك المكانة لدى الباحثين والمؤسسـات العلمية، فقـد كان أهلاً للتقدير من الجهات الرسـمية التي تقـدّر ذلك العطاء. ولذلك نال جائـزة الدولة التقديرية للأدب في المملكة العربية السـعودية) عام ١٤٠٤هـ، وجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٤١٦هـ، وجائزة سلطان العويس في مجال الإنجـاز الثقافـي والعلمي، ودرجة الدكتوراه الفخريـة من جامعة الملك سـعود في العام نفسه، ثم نال جائزة الكويت للتقدم العلمي ووسام الملك عبدالعزيـز سـنة ١٤١٧هـ، على أن الجائزة الكبـرى، التي يرجو تلميذه كاتب هذه السـطور - وقد رحل علامتنا الكبير إلى دار البقاء - هي أن يتغمده الله بواسـع رحمته ورضوانه، ويجزيه حسن المثوبة على ما قدّمه لتراث أمته وحضارتها وقضاياها من خدمات جليلة.

أما بعد مرّة أخرى

ماذا عن مجلة العرب ودورها فـي إثراء البحث التاريخي والجغرافي للجزيرة العربية؟

من حسـن حظ الضعيف الماثل أمامكم، وعون الله له، أن ندوة عملية عقدت عن الشـيخ حمد في جامعة الملك سـعود عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وألقـى فيها بحوثًا عنه، وعن عطائـه الفكري من جوانب مختلف علماء أجلاء تشـهد لهم بحوثهم القيّمة بطول الباع وسموّ المكانة. وإضافة إلى ذلـك كتبت شـهادات وبحوث - هذا العام - عن مجلة العرب بمناسـبة مرور أربعين سنة على صدورها. ومن هذه البحوث بحثان عن هذه لمجلة الرائدة في مجالها بالذات. أحدهما بقلم الأستاذ حجاب الحازمي عضو مجلس الأمناء بمؤسسـة الشـيخ حمد الجاسـر الخيرية، وقد نشر في العدد الخاص الذي أصدرته المجلة بعنوان «العرب... وقد بلغت أشدّها». وثانيهما بقلم الأسـتاذ الدكتور يحيي الجبوري، الذي كان صديقًا حميمًا للشـيخ حمد، وقد ألقي في نـدوة أقامها النادي الأدبـي في الرياض،

وعنوانه: «الشـيخ حمد الجاسر مجلة العرب ومسـيرة أربعين عامًا من العطاء الفكري المتميّز». فكان ذلك كله مما شجّع ذلك الضعيف على أن يكتب ما كتب آملاً رأفتكم به ساترة لضعفه.

من الأعمال الرائدة للشـيخ حمد الجاسـر، رحمه الله، إنشـاؤه دار اليمامة للبحث والترجمة والنشـر، سـنة ١٢٨٣هـ، وقـد أصدرت هذه الدار الخصبة سلسلة كتب تشمل بحوثًا جغرافية وتاريخية عن الجزيرة العربية، ومن رحابها العامرة انطلقت مجلة العرب شهرية.. تعنى بتاريخ العرب وآدابها وتراثهم الفكري»، كما حدّد طبيعتها صاحبها تحت اسمها، ابتداء من شهر رجب عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

وممـا ورد فـي افتتاحية العدد الأول، منها قول الشـيخ مشـيرًا إلى بعـض أهدافها: «العودة إلـى الماضي بأصالته وعراقتـه وخباياه، ففي بعثه ما يوقظ الأحاسـيس والمشـاعر وينبّه الغافلـين، ويجدد الاهتمام ببناء المسـتقبل الذي سيستفيد من دروس الماضي وعبره. ولقد أصبحت مبعث راحة اطمئنان لنفسـه بما تحقق عن طريقه من تحقيق للأهداف، التي أصدرت من أجل تحقيقها. فقد قال بمناسـبة بلوغها الثلاثين من العمر: «إنني أحس بشـيء من الراحة والاطمئنان مبعثهما الاعتزاز بما تحويـه من آراء وأفكار هي عصارة عقلي وثمرة تفكيري وخلاصة جدّي واجتهادي في البحث والدراسـة في الموضوعات التي طرقتها خلال تلك الحقبة من الزمن، التي أعدّها أحفل أيام حياتي بالعمل».

لقد كانت مجلة «العرب» درّة في جواهر مشـروع الشيخ حمد الثقافي العلمـي. وكانت الأثيرة لديه، فتغلّب في سـبيلها على جميع الصعوبات والعقبات، التي اعترضتها. وكان من تفانيه في اسـتمرار أداء رسـالتها أن كان يحرر الكثير من موادها بنفسه، ويراجع تجارب طباعتها، ويدقق في مشاركات الآخرين فيها، وهم من خيرة الباحثين والمحققين من داخل الوطن العربي وخارجه. وانسجامًا مع الهدف التي أصدرها الشيخ حمد، رحمـه لله، من أجل تحقيقه، جاءت الموضوعات المنشـورة فيها شـاملة لكل ما يتصل بالجزيرة العربية بالذات، مواقع وأمكنة، وقبائل وأنسـابًا، وتاريخًا وآثارًا، ولغات ولهجات، وشعرًا وشعراء، وكتبًا وكتّابًا، إضافة إلى دراسـات عن علوم القرآن الذي كانـت الجزيرة مهبطًا لنزوله على نبيّنا

محمد، صلى الله عليه وسلم، وما يتعلق بالحج الذي هو الركن الخامس من أركان الإســلام، والطرق المؤدية إلــى مكة والمدينة، وما كتبه الرحالة عنهما بخاصة، وعن الجزيرة العربيــة بعامة، وما له صلة بالمخطوطات وتحقيقهــا، ونقد ما حقق منها، والاســتدراك على مــن حققها. بل لم تقتصر على ذلك كله، وهو واســع وعظيم، وإنما شملت، أيضًا، دراسات عن الخيــل العربيــة وأصولها وأســمائها والكتب عنهــا، ومقالات عن الســفارات عند العرب والعلاقات الثقافية بين دولهم، وتراجم الرجال، وعروضًا لكتب صادرة حديثًــا مما ذكر من موضوعات، ومقالات أخرى عن وجوه النشــاط الثقافــي والعلمي، التي تحدث هنــا أو هناك، وعن بعض القضايا المعاصرة. وهكذا كانت مجلة العرب موسوعة علمية وافية بكثيــر من جوانب الحياة العلمية، ماضيًا وحاضــرًا، تليدًا وجديدًا، كما كانت منبــرًا للثقافة وملتقى للآراء والأفــكار العلمية تجد فيها الصدر الرحــب الذي يتقبّلها، هــي بتلك الطبيعة الجميلة قــد أدّت دورًا كبيرًا في نشــر الوعي الثقافي والحضاري لدى الكثيرين من قرّائها في سائر أقطــار الوطن العربــي، وتعريف غيرهم من خارج هــذه الأقطار بتراث الأمة العربية المسلمة المجيد. وإذا كانت قد نشأت وترعرعت، وأصبحت وارفة الظلال في عهد منشــئها طوال ستة وثلاثين عامًا، فإن من حسن الحظ أن نفرًا من تلاميذه ومحبيه ومقدّري جهوده واهتماماته ســعدوا بتســلم زمام إصدارها بعد انتقاله إلى جوار ربه. وهؤلاء هم: الأســتاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب رئيسًــا للتحرير، والأســاتذة الدكاترة عبدالعزيــز المانع وعبدالعزيز الهلابي وعبدالله العثيمين أعضاء. فرحم الله ذلك العالم الموســوعي العملاق، وأعان من ســعدوا بتحمّل مسئولية مواصلة مجلته العرب طريق رسالتها على أداء تلك المسئولية. ومن حسن الحظ، أيضًا، أن هذه المجلة وضعت الآن - من بداية عددها الأول - على قرص مدمج لتيســير الاطلاع عليها والاستفادة منها. وفّق الله العاملين في حقول الخير لكل ما فيه نفع لأمتهم العربية المسلمة.

مجلتا «الكويت» و«البعثة» ودورهما الريادي في الإصلاح الثقافي الاجتماعي

أحمد الديين *

إنّ الإصلاح تراكم كمي وإضافات جديدة وتحسين للواقع القائم، بهدف معالجة اختلالاته وحلّ مشكلاته والعمل على تطويره وتغييره نحو الأفضل، وليس نبذه تمامًا والعمل على نقضه. ولا يمكن الفصل بين مداخل الإصلاح السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإن كان الإصلاح الثقافي يمثل المدخل الأهم لمحاولات الإصلاح الأخرى، حيث إنّه يؤسس الأرضية المناسبة لتقبّل المجتمع إحداث بقية أنواع الإصلاحات وتعزيزها وترسيخها، بمعنى أنّ الإصلاح الثقافي يشكّل الخطوة الأساسية نحو الإصلاح الشامل، لما يحدثه من وعي اجتماعي واستثارة ثقافية وانفتاح على العالم الحديث وتياراته وأفكاره.

أما الإصلاح الاجتماعي فهو يشكّل أيضاً مدخلاً بالغ الأهمية أمام حركة الإصلاح الشامل، لأنّه يفتح الباب أمام تقدم المجتمع،

* كاتب من الكويت

ويسهم في إزالة عوائق التقاليد ورواسب العادات الجامدة، ويحسّن أوضاع القوى الاجتماعية المهمشة، خصوصا المرأة والفئات الفقيرة ويشركها في عملية التطور الاجتماعي.

وقد لعبت المجلات الثقافية الأولى دورًا رياديًا بارزًا في انطلاقة الإصلاح الثقافي والاجتماعي في مجتمعاتنا العربية، وبينها مجتمعنا الكويتي. ولعلّ اختيار مجلتي «الكويت» و«البعثة» كنموذجين للمجلات الثقافية الأولى في الكويت ودورهما في الإصلاح الثقافي والاجتماعي، يعود إلى أنّ هاتين المجلتين الرائدتين تمثلان مرحلتين متميزتين لبدايات انطلاقة الصحافة الكويتية، وفي الوقت نفسه تعبّر موادهما المنشورة عما شهده المجتمع الكويتي في هاتين المرحلتين من تحوّلات، وهما: مرحلة نهاية عشرينيات القرن العشرين ومشارف ثلاثينياته. والمرحلة الأخرى هي النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين والنصف الأول منه، فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وما شهدته من تطورات عالمية عاصفة، وكذلك بدايات تحوّل الكويت إلى بلد مصدّر للنفط، وما أحدثه فيها من آثار وتبدلات اقتصادية واجتماعية وثقافية كبيرة.

حيث صدر العدد الأول من مجلة «الكويت»، وهي أول مجلة كويتية، في رمضان من العام الهجري ١٣٤٦ الموافق لفبراير ومارس من العام الميلادي ١٩٢٨، وكان ناشرها ومحررها الشيخ عبدالعزيز الرشيد، الذي كان يتولى تجهيز مادتها للنشر، ثم يرسلها إلى الخارج لطباعتها، بسبب عدم وجود مطبعة في الكويت، وكانت هوية مجلة «الكويت» وتعريفها أنّها مجلة دينية، تاريخية، أدبية، أخلاقية، ثم انتقل مقر المجلة إلى البحرين، بعد اضطرار الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى الهجرة من الكويت، واستمرت في الصدور حتى العام ١٩٣٠.

وأدّت المجلة دورًا إصلاحيًا بارزًا، خصوصًا في التصدي لقضايا التطور، التي كانت مثار خلاف وجدل، بسبب تخلف التقاليد، وتزمت بعض المتدينين.

وقد أصدر الشيخ عبدالعزيز الرشيد مجلات أخرى خارج

الكويت، من بينها: مجلة «الكويت والعراقي» في أندونيسيا مع الرحالة العراقي يونس بحري، وجريدة «التوحيد».

أما مجلة «البعثة» فهي ثاني المجلات الكويتية، وإن كانت قد سبقتها مجلة «الطالب»، التي أصدرها بعض مدرسي المدرسة المباركية وطلابها، ولكنها لم تواصل صدورها بعد العدد الثاني، وقد صدرت «البعثة» كمجلة ثقافية شهرية عن «بيت الكويت» في مصر، الذي يضم المبعوثين إلى الدراسة فيها، واستمرت في الصدور بين شهر ديسمبر من العام ١٩٤٦ حتى شهر أغسطس من العام ١٩٥٤، وتولى رئاسة تحريرها الأستاذ عبدالعزيز حسين، وبعده الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري، وشارك في تحريرها الطلبة المبعوثون إلى مصر، وبعض الكتّاب الكويتيين والعرب.

وسأعرض بعض نماذج لما نشرته مجلتا «الكويت» و«البعثة» من مقالات تتصل بالإصلاح الثقافي، والنهوض بالحياة الثقافية في الكويت، والسعي لانفتاحها على الحضارة الحديثة، وكذلك ما اتصل منها بالدعوة إلى إحداث إصلاح اجتماعي، وتحسين نوعية الحياة في الكويت، والتصدي لقيود العادات وتزمت التقاليد، التي كانت تعوق تطلّع النخبة إلى تطوير المجتمع الكويتي وتقدمه.

فقد نشرت مجلة «الكويت» مقالاً للأديب الكويتي محمود شوقي الأيوبي يحمل عنوان «الشرق والغرب»، يدعو فيه إلى الاستفادة من الحضارة الغربية من دون انغلاق أو تزمت، مع الحفاظ على الهوية الحضارية، وهي قضية مهمة، كانت ولا تزال، محل جدل.

فكتب الأيوبي: «ليتعلم الشرق من الغرب وليظهر بمظهر شرقيته الصادقة، وليدرس منه صنائعه ومخترعاته، وليتعلم نوع قوته التي ساد بها العالم، ويدرسها درسًا دقيقًا، فيأخذها بحذافيرها لأن فيها السلاح القوي، الذي يقاتل به، وليتعلم من مناهجه في الثقافة والفنون على اختلافها، وليمزجها مزجاً مع الثقافة الشرقية القديمة الصالحة، مع تنقية الاثنين، ونبذ ما هو مضر منهما لمصالح الشرق الاجتماعية».

وأضاف بعد ذلك داعيًا للموازنة بين الاستفادة من الحضارة

الغربية والحفاظ علـى الهوية الحضارية الشـرقية: «ليس جديرًا بالشرق أن يأخذ كل ما أتت به مدنية الغرب ويترك مدنيته القديمة، وكما قدمنا لا يحق له أن يترك مدنية الغرب بحذافيرها ويعمل على تكوين نهضة من مدنيته القديمة، بل عليه أن يتخذ الحد الوسط، بين أن يأخذ من الغرب من جهة ويتمسك بشرقياته من جهة أخرى».

وتمثل هـذه الدعوة المتوازنة موقفاً متقدمـاً في مواجهة الموقف المتزمت الرافض للانفتاح على الحضارة الغربية، الذي كان يسـود كثيرًا من مجتمعاتنا العربية، وبينها الكويت.

وإلـى جانـب مثل هذه الدعـوات العامة للإصـلاح الثقافي في الكويت بـرزت دعوات لإحـداث إصلاحات ثقافية ملموسـة على أرض الواقع، تتمثل في الدعوة لإقامة مسارح، وللاهتمام بالموسيقى والفنون التشكيلية، وتنظيم الندوات، وتطوير المكتبة العامة، وإصدار الصحـف، وتطوير التعليم، وغير ذلك من مرافق ومناشـط ثقافية حديثة.

ولئـن كانـت البدايات الأولى للمسـرح في الكويـت قد ارتبطت بالمحـاورات التمثيلية والتمثيـلات، التي أدّاها طلاب المدرسـتين المباركيـة والأحمديـة، وهما أول مدرسـتين نظاميتين في الكويت، حيـث جرى أول عرض مسـرحي فـي العـام ١٩٢٢ يحمل عنوان «المحاورة الإصلاحية»، وبعدها المسرحية الشهيرة «إسلام عمر» في العـام ١٩٣٩، التي أداها طلاب المدرسـة المباركية، إلا أنّه لم يكن هناك في الكويت مسرح ولا فرق مسرحية، وهذا ما عُنيت به مجلة «البعثة»، التي نشرت مقالاً في عددها الثاني للفنان الرائد الأستاذ حمد الرجيب، تحت عنوان «المسـرح وأثره فـي المجتمع»، دعا فيه إلى تأسـيس مسـرح كويتي، مبينًا أثره في إصلاح أحوال المجتمع والنهوض به، حيث كتب:

«مـا أحوجنا نحن الكويتيين إلى مثل هذا المسـرح لمحاربة بعض التقاليد والعادات والمشكلات الاجتماعية الضارة بنفوسنا وأجسامنا وبلادنا، لأنه بمنزلة مدرسة يتلقى بها الشعب على اختلاف طبقاته ما هو صالح لنفسه وجسمه وبلاده».

كما اهتمت مجلة «البعثة» بالموسيقى، وتصدى كتّابها للموقف الاجتماعي التقليدي الرافض لهذا الفن، ومن بين ما نشرته مقال للموسيقار الكويتي الأستاذ علي زكريا الأنصاري تحت عنوان «نحن والموسيقى» يعرض فيه محاورة جرت بينه وبين صديق له ذي موهبة في العزف الموسيقي، ولكنه يخشى العادات والتقاليد الاجتماعية المتزمتة، فيخفي ميوله، حيث يحثّه الأنصاري على التصدي لهذا الرفض الاجتماعي، فيكتب:

«لو كنت مكانك يا صديقي ما ألقيت للمجتمع بالاً أو أعرته أهمية، لأن الذنب ذنبه هو ليس ذنبك أنت حينما نزل بالموسيقى من سمائها الرفيعة ومكانتها السامقة إلى المنزلة الوضيعة، فحقر من شأنها وأوكل أمرها إلى هؤلاء (...) الذين تحدثت عنهم. وإذا كان مجتمعك لا يقدر هذا الفن العظيم حقيقة ولا ينزله من نفسه المنزلة اللائقة، فأحرى بك ألا تراعيه أو تداريه أو تكون له عبدًا ليس لك إلا الطاعة العمياء، التي لا يوجهها تفكير ولا اتزان».

ومن بين ما عُنيت به مجلة «البعثة» في دعوتها للإصلاح الثقافي في الكويت، الاهتمام بالرسم وغيره من الفنون التشكيلية، فنجد على سبيل المثال مقالاً للفنان التشكيلي الكويتي معجب الدوسري يحمل عنوان «نشأة فن الرسم وتطوره» يبيّن فيه:

«إنّ هذا الفن الجميل متأخر عندنا في الكويت، فعسى أن يكون له نصيب من العناية، لأنه عنوان نهوض الأمة وتقدمها».

وفي إطار اهتمامها بالإصلاح الثقافي، نظمت مجلة «البعثة» ندوة «حول أهم الوسائل الثقافية، التي لا بد من توافرها لخلق جيل مثقف، وما الذي ينقصنا منها في الكويت؟»

وطالبت مجلة «البعثة» في العديد من مقالات كتّابها وعلى لسان عدد من الشخصيات العامة في الكويت بإصلاح وضع المكتبة العامة، التي كانت قائمة حينذاك وتحمل اسم «مكتبة المعارف»، حيث يصرح الوجيه الكويتي مشاري الحسن البدر في لقاء مع «البعثة» أنّ «مكتبة المعارف لا تحقق الغرض المرجو منها مادامت بوضعها الحالي، فيجب نقلها إلى مبنى يؤسس لها خصيصاً على غرار المكاتب الحديثة، وأن

يكون بعيداً عن الضوضاء وجلبة الشـوارع، وأن تسخو عليه الإدارة بالإنفاق في شـراء الكتب وغيرها من وسـائل التثقيف، وأن تيسر (...) الاتصال بالمكاتب ودور النشـر الكبرى في العالم العربي، لكي تواكـب النهضـة الحديثة وتقف على مظاهـر التطور، التي تحدث فيه».

كما دعا ذلك الوجيه في اللقاء الصحافي، الذي نشـرته «البعثة» إلى «إنشاء قاعة للمحاضرات وسيلة فعالة لتشجيع المثقفين ومحبي الإصـلاح في هذا البلد على معالجـة أحوالنا الاجتماعية والبحث في عوامل تأخرنا الأدبي، وعرض الأفكار الجديدة وطرق الإصلاح على الجمهور».

وتكرر انتقاد وضع المكتبة العامة والمطالبة بالنهوض بها وتأسيس قاعة للمحاضـرات في مقالات أخرى نشـرتها «البعثة»، من بينها مقـال ليعقوب الحمد يحمل عنوان «من مطالب التربية الشـعبية»، ينتقد فيه وضع المكتبة العامة بسبب «قلة عدد كتبها وعدم تزويدها بالكتـب الحديثة، وعدم وجـود الصحف المتنوعة فيهـا، وصعوبة الاسـتعارة منها.... ويطالب بمكتبة جديدة تنشئ إلى جانبها «قاعة ومسرحًا كبيرين يسعان ما لايقل عن ٨٠٠ كرسي، لأن الكويت بأشد الحاجة إلى قاعة ومسرح».

كما كتب الشيخ أحمد الشرباصي في «البعثة» مقالاً يدعو فيه إلى الاهتمام بالأدب الكويتي، يحمل عنوان «الكويت في موكب النهضة»، جاء فيه: «الناحية الأدبية في الكويت تحتاج أيضًا إلى عناية واهتمام، فيجب أن تكون هناك الندوات الأدبية التي تجمع الشعراء والأدباء للمدارسـة والمباحثة والإنتاج الفني الجميل، ويجب أن تكون هناك بجوار ذلك مطابع حديثة تنشـر آثار الكويتيين الأدبية، وتطلع على أهل الإمارة بكنوز العلوم والآداب والفنون».

ومع أنّ مجلة «البعثة» كانت تؤدي دورها كمجلة ثقافية كويتية، فإن صدورها خارج الكويت لم يكن ليغني عن تأسـيس صحف ومجلات كويتية تصدر داخل الوطن، وهذا ما أدركت «البعثة» أهميته، وأثره في إصلاح الحياة الثقافية والاجتماعية في البلاد، حيث نشرت العديد

من المقالات، التي تدعو إلى تأسيس صحف ومجلات أخرى، فيكتب الأستاذ عبدالله أحمد حسين مقالاً يحمل عنوان «نريد صحافة وطنية، يقترح فيه على الشباب الكويتي تكوين «شركة تتولى إصدار مجلة شهرية أو أسبوعية حسبما تحكم الظروف، وأن يتولوا الإنفاق عليها وأن يسهروا على إنتاجها. ففي هذه الحركة نواة لوثبة جبارة يثبها الشعب الذي قبع مدة طويلة رازحًا تحت أثقال الجهل».

وفي الاتجاه ذاته كتب الشيخ أحمد الشرباصي مقالاً في «البعثة» يتساءل فيه: «لست أدري متى يأتي اليوم، الذي تعرف فيه الصحف الكويتية طريقها إلى الوجود والحياة، فإن الصحيفة اليومية أصبحت اليوم من ألزم اللوازم وأوجب الواجبات، لا للشعوب الكبيرة والأمم الضخمة فحسب، بل لسائر الإمارات والجماعات... كما لا أستطيع أن أفهم السبب الذي جعل الكويت تتخلف إلى الآن عن الإكثار من المجلات الاسبوعية والشهرية، مع أن ذلك سهل ميسور؟!».

وتجاوباً مع هذا الاستحقاق الإصلاحي الثقافي نجد أنّه في العام ١٩٥٠، بعد تولي الشيخ عبدالله السالم مسند الإمارة في الكويت، وحدوث إنفراج سياسي في البلاد، فقد صدرت ثلاث من المجلات داخل الكويت، هي: «البعث»، التي أصدرها الأستاذان أحمد مشاري العدواني وحمد الرجيب، و«الكويت» في إصدارها الثاني، الذي تولاه الأستاذ يعقوب عبدالعزيز الرشيد، حيث استأنف إصدار المجلة الأولى في الكويت، التي سبق أن أصدرها والده الشيخ عبدالعزيز الرشيد بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٠، وكذلك مجلة «الفكاهة»، التي أصدرها الأستاذ عبدالله الحاتم، ورأس تحريرها فترة من الوقت الأستاذ فرحان راشد الفرحان، وهي مجلة ساخرة.

إلا أنّ المجلات الثلاث سرعان ما توقفت عن الصدور لأسباب مختلفة، فيكتب الأستاذ يوسف السيد هاشم الرفاعي مقالاً في «البعثة» يحمل عنواناً ذا دلالة: «لماذا فشلت الصحافة في الكويت؟» يذكر فيه: «لقد استبشرنا بمستقبل زاهر للصحافة في الكويت يتمشى وتقدمها العمراني والثقافي المحسوس عندما قامت نخبة من شبابنا المثقف في أوائل العام السابق بإصدار مجلتين ثقافيتين

هما «البعث» و«الكويت» ولكن هذه الحركة الصحافية المباركة كتب لها مع الأسف أن تموت قبل أن تولد، إذ سرعان ما احتجبت المجلة الأولى وتلتها الثانية، وعَدَّ البعض آنذاك هذا دليلاً على فشل الصحافة في الكويت».

وعزا الأستاذ يوسف السيد هاشم الأسباب إلى «عدم توافر آلات الطباعة الفنية الحديثة، والحاجة الماسة إلى مساعدة مالية من الحكومة، وعدم إقبال تجارنا على الإعلان عن بضائعهم ومستورداتهم في الصحف، وقلة عدد المشتركين، وعدم انتظام أوقات صدور المجلة وتأخرها في ذلك... عدم تفرغ القائمين على المجلة».

ولأن نشر الكتب كان محدودًا في الكويت، فقد وجهت «البعثة» «صيحة من الأعماق (...) إلى جميع أدبائنا وشعرائنا وكتابنا لكي يطبعوا مخطوطاتهم إذا وجدت».

ودار على صفحات مجلة «البعثة» جدل حول إنشاء دور للعرض السينمائي في الكويت، فكتب الأستاذ سليمان عبداللطيف المدير مقالاً تحت عنوان «الكويت والسينما»

«فنحن إذ ننشئ سينما في الكويت فإنما نساعد على تنمية المستوى الثقافي للشعب».

كما علّق أحد الكتّاب على مقال سابق نشرته «البعثة» للأستاذ عبدالله السيد عبدالمحسن لا يعدّ في تأسيس دار للعروض السينمائية من الأولويات، فكتب: «إنّ أعظم ما تشكو منه الكويت هو جفاف الحياة فيها، وخلوها من كل مبهج ممتع يرضي به الذوق وترتضيه المشاعر الرفيعة فالنفوس المجهودة والأعصاب المنهكة في الكويت أبدًا تفتش عن ذلك الجو البهج لتجد فيه الراحة بعد التعب، وتستنشق منه عبير البهجة بعد الكدر وانحراف المزاج، لكنها لا تجده. فكم أنت يا كويت مسكينة، مسكينة والله».

ويبرز في المقالة أهمية الدور التنويري للسينما والمسرح فيكتب: «إن القصص السينمائية والمسرحية إنما هي أداة فعالة في إقرار القيم والمعنويات السامية، وأنها وسيلة ناجعة في تهذيب النفوس

والسمو بمشاعرها، وأنها أداة طيعة لمعالجة الأدواء النفسية والمشكلات الاجتماعية، وأنها دروس يبسطها ذوو العقول الكبيرة لبيان ما فسد وتقوم ما أعوج، وأنه ليس أصلح ولا أفعل منها في نبذ ما استقر من عادات وتقاليد بغيضة مميتة للحس والذوق، وإنها سجل حافل يصور لنا التالد والطريف»، ليخلص في النهاية إلى أنّ «القصص السينمائية والمسرحية إذن من وسائل العلم الحديث للتنوير والتثقيف». وبالفعل فقد تأسست شركة السينما الوطنية الكويتية في الخامس من أكتوبر من العام ١٩٥٤، أي بعد نحو ثلاث سنوات من إطلاق تلك الدعوات لفتح دور للعرض السينمائي في الكويت.

وتكررت على صفحات مجلة «البعثة» دعوات كتّابها لتأسيس دار للإذاعة الكويتية، كأحد المرافق الثقافية والإعلامية، التي تحتاج إليها البلاد، فكتب الشيخ أحمد الشرباصي: «إن إمارة الكويت تستطيع أن تتخذ من محطة الإذاعة - لو استجابت لنداء الإصلاح وأنشأتها - وسيلة فعالة لتثقيف الشعب وإخراجه إلى باحات الحضارة الصحيحة والمدنية السليمة».

كما كتب حامد عبدالسلام: «إن أمل كل كويتي هو أن يكون في الكويت محطة إذاعية يستمع منها إلى أخبار وطنه الداخلية والخارجية، وإلى أغاني بلده». وبالفعل فقد تأسست إذاعة الكويت وافتتحت رسمياً في الثاني من فبراير من العام ١٩٥٢.

وحظيت قضية إصلاح التعليم باهتمام مجلة «البعثة»، حيث نظمت المجلة ندوة دارت حول سؤال محوري: «ما هي أوجه النقص التي نحسها في التعليم بالكويت وما هو العلاج؟» أشار فيها المشاركون إلى مشكلات من بينها: عدم تعاون البيت والمدرسة، عدم وجود مدرسة ثانوية للبنات، وتطوير مدرسة المعلمين، ، ومشكلة التعليم في القرى.

ودعا أحد كتّاب «البعثة» إلى إصلاح أوضاع المدارس الأهلية غير النظامية «أسأل دائرة المعارف أن تضع ما لا يزال موجودًا من هذه المدارس تحت إشرافها المباشر لكي تبطل هذه المهازل

وتجبر أصحابها على اتباع النظم التي تعمل بها دائرة المعارف، حتى تتعاون مع المدارس الحكومية على تخريج جيل ناهض يستطيع أن يخدم أمته ووطنه». وبالفعل فقد اضمحلت المدارس الأهلية غير النظامية، بعد انتشار مدارس التعليم العام الحكومية، أما المدارس الخاصة، التي تأسست بعد ذلك على أسس حديثة فهي خاضعة لإشراف وزارة التربية.

ونشرت «البعثة» مقالاً آخر تحت عنوان «خواطر في شئون التعليم» للأستاذ يعقوب الحمد، طالب فيه بإنشاء معهد صناعي للتدريب على العمل في صناعة النفط. وبمعاهد للمعلمين والمعلمات.

أما الأستاذ يوسف السيد هاشم فطالب في مقال آخر بـ «سنّ قانون يجعل مرحلة الدراسة الابتدائية إجبارية، وذلك لكي يقف في طريق الكثيرين من ضحايا الجهل والجشع المادي - خصوصًا من العمال - الذين يدفعون أبناءهم لهجر الدراسة للاستفادة من كسبهم المبكر».

ولم يتحقق مطلب سنّ قانون التعليم الإلزامي في الكويت إلا في العام ١٩٦٥ أي بعد نحو أكثر من خمسة عشر عامًا على نشر ذلك المقال!

وفي إطار الاهتمام بتطوير الحياة الثقافية في الكويت، نظمت مجلة «البعثة» ندوة دارت حول سؤال: «ماهي الوسائل، التي يمكننا بها أن ننهض بالمستوى الثقافي للكويتيين خارج المدرسة؟»، دعا فيها المشاركون إلى إقامة النوادي الثقافية والرياضية، وإصدار الصحف والمجلات، وتأسيس دور للعرض السينمائي، ونشر المكتبات العامة، في تلك الندوة اقترح الأستاذ محمد زكريا انتخاب «لجنة تتولى التفاهم مع أولي الأمر، وشرح المزايا التي تجنيها البلاد من وجود النوادي، والأضرار التي تعود عليها من عدمها».

مثلما حظيت قضايا الإصلاح الثقافي في الكويت باهتمام مجلتي «الكويت» و«البعثة» فقد حظيت قضايا الإصلاح الاجتماعي وتطوير مؤسسات المجتمع ومرافقه وخدماته الاجتماعية العامة باهتمامهما.

فعلى سبيل المثال، يعود السبب الأساسي في استحداث بلدية الكويت إلى مقال نشرته مجلة «الكويت» للشيخ يوسف بن عيسى القناعي بعد زيارته البحرين، حيث اطلع هناك على تجربة البلدية، واقترح الأخذ بها في الكويت، فقد نشرت مجلة «الكويت» رسالة بعث بها الشيخ يوسف إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد حول البلدية، وأرفق معها مقالة حملت عنوان «البلدية في البحرين والحكم الشرعي» جاء فيها: «ما كنت أظن أن البحرين تبدلت هذا التبدل العظيم، ووصلت إلى هذا الحد من النظافة وطيب الهواء، حتى ليخالها المرء قطعة من بلاد الهند، والفضل في ذلك كله راجع إلى البلدية، التي أنشئت فيها. نسأل الله أن ينبه أمراءنا إلى ما فيه الخير والصلاح».

ودعت مجلة «الكويت» في مقال بقلم الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى تأسيس «المشاريع النافعة» وبينها المستشفيات، أثار فيها الموقف السلبي المتزمت ضدها باسم الدين، حيث كتب: «يوجد إلى هذا اليوم أناس يتركون التداوي تورعًا، ويعتقدون أن تركهم له من الدين، بل من التوكل، الذي أمر اللّه به في كتابه العزيز».

وعُنيت مجلة «البعثة» بأوضاع المجتمع القروي الكويتي، الذي كان قائمًا حينذاك، ويعاني التأخر، ففي مقال ليوسف الشايجي نقرأ: «والآن وهذه القرى لا تزال بدائية البناء، لم تتسع رقعتها وتتعدد مرافقها ويكثر سكانها، إن علينا أن نستغل هذه الفرصة السانحة لتحويلها إلى قرى نموذجية، على ضوء ما نعرفه عن قرى الأمم المتقدمة»، مضيفاً «يجب أن نضع التعليم نصب أعيننا فرفع المستوى الثقافي في هذه القرى يرفع من شأن أهلها ويجعلهم في مأمن مما يجهلون، وسيكون التعليم وسيلة إلى إدراكهم معنى الحياة الصحيحة».

وبعد اكتشاف النفط في الكويت وبدء إنتاجه وتصديره، أخذت تتشكل طبقة عاملة مرتبطة بصناعة النفط بالأساس، وببعض المناشط الاقتصادية الجديدة، وكانت ظروف عمل تلك الطبقة العاملة بالغة السوء، في ظل سيطرة شركات النفط الأجنبية،

والتمييز ضد العمال الكويتيين، حيث تكررت التحركات المطلبية لتحسين ظروف العمل وشروطه، وهو أمر لم يكن بعيداً عن اهتمام مجلة «البعثة»، حيث كتب يوسف محمد الشايجي مقالاً عنوانه «مع الطبقة العاملة»، حدد فيه المطالب العمالية، جاء فيه: «يجب علينا أن نضع قانونًا خاصًا بالعمال يحدد لهم ساعات العمل كما هو متبع في الخارج حتى يتفرغوا لشئونهم الخاصة، وينص في هذا القانون على أن تكون أجورهم مناسبة لتكاليف المعيشة والجهود، التي يبذلونها، وحبذا لو خصص لهم وقت لتعليمهم وتوجيههم توجيهًا يساعدهم على تفهم المهن التي يزاولونها (...) وكذلك يجب عليها أن يساعدهم على تكوين نقابة خاصة من بينهم تسهر على مصالحهم ورفاهيتهم على أن نستمع إلى شكواهم ونجيب مطالبهم...».

وفي ذلك الوقت كان المجتمع الكويتي يمر بمرحلة انتقال من النشاطات الاقتصادية والانتاجية المرتبطة بالبحر كالغوص على اللؤلؤ وتجارته، والنقل البحري، التي بدأت تضمحل، للسير في طريق التطور الرأسمالي، الذي ارتبط بنشاط شركات النفط الأجنبية، وكان البحارة المشتغلون على سفن الغوص على اللؤلؤ وفي اسطول النقل البحري الكويتي يعانون الأمَرّين جراء ما كان يرهق كواهلهم من ديون فرضتها علاقات الإنتاج، التي أخذت في الاضمحلال، وهذا ما اهتمت به مجلة «البعثة» كجزء من استحقاقات الإصلاح الاجتماعي، فكتب الأستاذ يوسف السيد هاشم مقالاً طالب فيه «أن تقوم الحكومة بتسديد الديون التي لحقت البحارة عن طريق الغوص وغيرها خصوصًا بعد كساد سوق اللؤلؤ في السنوات الأخيرة. وهذه الديون قد جعلت كثيراً من البحارة كالرقيق عند أرباب السفن».

وفي مقال آخر للكاتب نفسه يحمل عنوان «كياننا الاجتماعي» حدد مسئولية الحكومة في أربعة بنود أساسية في مجال إصلاح الأحوال الاجتماعية، وهي:

«١- يجب عليها أن ترفع مستوى المعيشة وتكافح الأمية، وتحافظ محافظة تامة على الصحة العامة، لتقضي على الفقر وتستأصل الجهل والمرض بتاتاً من مجتمعنا.

٢- يجب عليها أن تنفذ ما فكرت فيه من إنشاء مصلحة للضمان الاجتماعي تكفل معيشة كريمة للمريض الذي لا يستطيع أن يعمل وللشيخ الفاني، الذي صيرته الشيخوخة إلى مثل حال المريض، ولليتيم الضائع، ولذلك الذي نزلت به الجوانح وقلبت له الحياة ظهر المجن.

٣- يجب على الحكومة أن توجد مصلحة للشئون الخاصة بالعمل والعمال، يكون واجبها إيجاد العمل لكل عامل، وترقية أحوال العمال، وحماية مصالحهم ومساعدتهم في حالة المرض أو التعطل ورفع أجورهم لتتناسب مع تكاليف المعيشة الباهظة.

٤- نحن في حاجة إلى إدارة للشئون الاجتماعية لتنظيم الجهود المبذولة في سبيل إسعاد المجتمع، ولنشر الرعاية الصحية، ومحاربة الآفات الاجتماعية...».

وفي مقال ثالث للكاتب نفسه دعا إلى «تعميم نظام التأمين الاجتماعي».

وهذه المطالب تحققت تباعًا بعضها في وقت مبكر، وبعضها الآخر في وقت لاحق.

وكذلك دعا كتّاب مجلة «البعثة» إلى استحداث قيام نظام الجمعيات التعاونية الاستهلاكية، لما فيه من مصلحة لذوي الدخول المحدودة، وللحد من ارتفاع الأسعار، حيث كتب محمد عبدالله الدرويش مقالاً تحت عنوان «حاجة الكويت إلى جميعات استهلاك تعاونية»، جاء فيه: «الكويت في وضعها الحالي بحاجة ماسة إلى هذه الجميعات تفادياً لما يفرضه التجار من أسعار باهظة على المواد المستهلكة من قبل الجمهور، واجتناباً للغش في المنتجات (...) فمن الواجب إذن أن يكوّن الشباب النابه في البلاد جمعية استهلاكية تعاونية يتكون رأس مالها من إصدار أسهم أو حصص تكون قيمتها زهيدة كي يتمكن من شرائها أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب والانتماء إلى هذه الجمعية».

وبالفعل فقد تأسست في العام التالي ١٩٥٥ أول جمعية تعاونية استهلاكية في الكويت لموظفي الحكومة.

ولا يمكن فصل التوجه نحو الإصلاح الاجتماعي عن جانبين آخرين مهمين هما الإصلاح الاقتصادي، والإصلاح السياسي، وهذه نماذج من تلك الكتابات الداعية لإحداث إصلاحات اقتصادية وسياسية في الكويت خلال تلك الفترة.

فمثلما كانت مبادرة طلعت باشا حرب رائد التحرر الاقتصادي في مصر لتأسيس «بنك مصر» علامة فارقة في تطور الاقتصاد الوطني المصري وتحرره من التبعية، فإنّ الدعوة لتأسيس مصرف وطني في الكويت، كانت هي الأخرى بدايات بلورة مثل هذه الفكرة في الكويت، التي تحولت إلى واقع، فكتب الأستاذ يعقوب الحمد مقالاً في «البعثة» جاء فيه: «يزاول العمليات المالية، الخارجية والداخلية في الكويت، مصرف أجنبي وحيد، فهو المسيطر على العمليات المالية، وفيه تضع الحكومة ماليتها، وكذلك التجار والأغنياء وأصحاب الأعمال، وباقي طبقات الشعب.

والكويت في مركزها التجاري الحالي، تستطيع خمسة مصارف أو أكثر أن تشتغل وتنتج فيها بحرية تامة، وبذلك تخدم التاجر الكويتي، ولكن هذا المصرف قد احتكر عمليات المصارف في البلاد لمدة ليست بالقصيرة، وأخذ يتحكم في هذا الميدان حسب هواه ورغبته».

واختتم مقاله بالاستنتاج التالي، الذي ثبتت صحته، وهو أنّ «أهم وأنجح مشروع في نظري اليوم في الكويت هو إنشاء مصرف وطني».

وعلى صفحات «البعثة» زفَّ الخبر السعيد حول تأسيس أول مصرف وطني كويتي، وهو «بنك الكويت الوطني»، الذي تأسس في العام ذاته، الوجيه محمد عبدالمحسن الخرافي بمقال يحمل عنوان «المصرف الكويتي الأهلي» نُشِرَ في العدد الثامن - أكتوبر ١٩٥٢.

وفي إطار الإصلاح الاقتصادي وتطور الاقتصاد الوطني كانت الدعوة إلى تأسيس شركات مساهمة على صفحات مجلة «البعثة» تمثل فكرة ريادية للنهوض الاقتصادي في الكويت، وقد نشرت «البعثة» مقالاً للأستاذ يعقوب الحمد جاء فيه: «الشركات المساهمة

في الكويت قليلة جداً، وكذلك معلوماتنا عنها، لعدم وجود إحصائيات أو ميزانيات لها تقدم للجمهور».

أما دعــوات الإصلاح السياســي على صفحات مجلــة «البعثة» فقد ارتبطت بالمطالبة بالأســاس بتحديث النظام الانتخابي المعمول به لتشــكيل المجالــس المتخصصة في مجالات البلديــة، والمعارف، والصحــة، والأوقاف، وتعميمــه لقيام مجلس تشــريعي، وارتبطت كذلك بالتبشــير لفكرة وضع دستور للبلاد، وهو أمر كان قائماً في العام ١٩٣٨، ولكن تم التراجع عنه بعد حلّ مجلس الأمة التشــريعي في مارس من العام ١٩٣٩، وهذه نماذج مما نشرته مجلة «البعثة»:

فقد نظمت «البعثة» ندوة حول انتخابات المجالس، ندوة للمبعوثين للدراســة في بريطانيا وبعض الشــخصيات الكويتية، التي صادف وجودها هنــاك، وذلك في بداية العام ١٩٥٢، شــارك فيها ســمو الأمير الوالد الشــيخ سعد العبدالله السالم، والشيخ خالد العبدالله الســالم، والشــيخ مبارك العبدالله الجابر، والســيد يوسف أحمد الغانم، والأســتاذ عبدالعزيز حســين، وغيرهم، وطُرِحَت في الندوة أفكار جريئة، عبّر عن بعضها أفراد من الأســرة الحاكمة نفســها، بينهم الشــيخ مبارك العبداللّه الجابر، الــذي دعا بالحرف الواحد إلى «تأليف مجلس تشــريعي استشــاري من وجهاء البلد والأســرة الحاكمة للتشاور في شــئون البلاد الداخلية والخارجية»... مؤكداً بــأن يتم هــذا «عن طريق الانتخابات، التي يتقــدم لها من يرى في نفســه المقدرة من أبناء البلاد بمن فيهم أفراد الأسرة المالكة»، و«أنّ الانتخابات أصلح من التعيين».

وفي سياق التبشــير بالفكرة الديموقراطية نشرت مجلة «البعثة» مقــالاً بعنــوان «الدولــة الحديثة» وقعّه كاتبه باســم مســتعار هو «مواطــن»، جــاء فيه: إنّ «أهــم الصفات المميزة للدولــة الحديثة، القوانين العادلة: وبالطبع فإن القوانين ضرورة بشــرية واجتماعية، وبهذه القوانين يســتطيع الفــرد أن يعرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات، فالقوانين تحدد علاقة الفرد بالدولة، والدولة بالفرد، والقوانــين مهما اختلفت وتنوعت فإنها تخضــع لقانون أعلى يطلق

عليه الدستور. فالدستور يعلو كل القوانين، فهو سيد القوانين، والحكام دائماً يراعون ويضعون نصب أعينهم الدستور وما يشتمل عليه من مبادئ وأصول، فهم يجب عليهم أن يتصرفوا وفق أحكام الدستور».

أما الأستاذ حمد يوسف بن عيسى فقد كتب مقالاً يحمل عنوان «حول الانتخاب»، أعلن فيه بوضوح لا لَبس فيه: «إن الديموقراطية لا تتحقق مطلقًا إلا ببرلمان يمثل إرادة الشعب وتكون له الكلمة الأولى والأخيرة».

تجربة مجلة إسلامية في الكويت «الوعي الإسلامي» نموذجاً

د. نواف عبد العزيز الجحمة *

1 أما وقد بلغت المجلة الإسلامية في الكويت اليوم هذا الشأو البعيد من التقدم والانتشار والتأثير في الرأي العام العربي والإسلامي، وقد رأينا من الواجب وضع هذه الدراسة، تحدونا إلى ذلك رغبات شتى، أهمها تلبية حاجة المكتبات والندوات إلى مثل هذه الرؤية النقدية التي توخينا فيها العرض والتحقيق قدر الإمكان، ثم ننبه المسلمين إلى فائدة المجلة الإسلامية باعتبارها خير وسيلة للتوجيه الإسلامي ونشر الشريعة الغراء في شتى أنحاء المعمورة. وإن هدفاً من هذا النوع وبهذا الحجم، لا يتأتى إدراكه إلا من خلال إمعان النظر الموضوعي في تتبع المسارات والمآلات المختلفة التي مرت بها مجلة إسلامية كـ (مجلة الوعي الإسلامي نموذجاً).

انطلاقاً من هذه الاعتبارات، جاء اختيارنا لهذا الموضوع الذي يتلخص هدفه الأساس في توضيح نوع الإسهامات والتأثيرات

---

* كاتب من الكويت.

التي كونتها مجلة الوعي الإسلامي في الساحة العربية الإسلامية انتشاراً وقراءة. فالمجلة الإسلامية ما زالت منبرا مفتوحا أمام كل من يشاركها انشغالاتها الفكرية، ومستعدة للإنصات إلى توجيهات وتوصيات الدارسين من مختلف التخصصات.

أولاً : مجلة الوعي الإسلامي:

إحدى وأربعون سنه من الريادة لصحافة إسلامية متميزة

١- في معنى الوعي الإسلامي:

● في اللغة:

ليس هناك أي التباس في مادة «و - ع - ي» فالمعجم الوسيط يحددها «الحفظ والتقدير، والفهم وسلامة الإدراك وفي علم النفس: شعور الكائن الحي بما في نفسه وما يحيط به» أما ابن فارس فيقول: «كلمة تدل على ضم الشيء. ووعيت العلم أعيه وعياء، وأوعيت المتاع في الوعاء أعيه» وهذا ما نجده في قوله تعالى ﴿وتعيها أذن واعية﴾وقوله تعالى ﴿وجمع فأوعى﴾

● في الاصطلاح:

فالتحديد يستعصى والمصطلح ينفلت لحظة الإمساك به.فعندما نحاول التعريف نجد أنفسنا أمام مركب إضافي: «الوعي الإسلامي». والالتباس ينتج عن هذه العلاقة المولدة بين كلمة «الوعي»، وكلمة «الإسلامي». فالموضوعات الموضوعة بـ «الوعي الإسلامي، لا تتضمن فقط ما هو عقيدة، تاريخ، فقه، وسيرة، وعلوم، وفنون وعمارة إلى آخر النظائر. ولكن ما هو دور الوعي الحضاري، وأثر فقده على واقع أزمتنا الراهنة التي تعيشها البلاد الإسلامية، ومن خلال غياب الأمة عن الشهود الحضاري، وتخلفها وانحطاطها في عدد من الميادين، هذا التوصيف الواقعي لعله يقودنا لنعرف حقيقة الخلل ولا نتشاغل بالعرض عن توصيف المرض. لذا من المعتقد أن أزمتنا الراهنة في جميع المجالات الحياتية، سواء كانت فكرية أو سياسية أو اقتصادية أو أمنية أو غيرها هي - أزمة وعي - في فهم الدين وفقه التدين، وخلل في معرفة الفرد بواجبات وحقوق الانتماء للمجتمع. بالإضافة

إلــى تلك الغشــاوة المزمنة التــي أفقدتنا رؤية المدخــل الحضاري، بالولــوج في أزقة الوهن والولوج في ملذات الوهم، والعيش في وهدة الحضارات.

مع مجلة الوعي الإســلامي، الوعي كان فعلاً إدراكا فكريا واضحا بالواقــع الراهن واحتياجات المرحلة، بعيــداً عن المؤثرات والعوارض الصارفة، كل هذا يتم تقديمه لنا بلغة تعتمد وسائل أدبية كثيرة.

يذكــر رئيس التحرير في افتتاحية العدد الأول من المجلة ما نصه: «وقد رأت وزارة الأوقــاف أن نقوم بعبئها في هذا المجال، فأصدرت مجلة (الوعي الإســلامي) التي يصافحــك الآن أول أعدادها، إيماناً منهــا بأن هذه الأمة لا يصلــح آخرها إلا بما صلح به أولها، وأن بناء أية نهضة لابد أن يتم على الأســاس الذي قامت عليه النهضة الأولى للمسلمين.. لنصل حاضرنا الطريف بماضينا التليد.

و«العقليــة الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد، أو أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال.

«وأصبــح الباحثون الإســلاميون يؤمنون بضــرورة الاجتهاد – ولو بشكل جماعي – لمواجهة أساليب الحياة الحديثة وتكييفها من الوجهة الدينية، فأين الاجتهاد إذن، وأين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الجديدة؟ ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا وما أريد أن أفتح صدر المجلة له، وأعرضه للمناقشة لعلنا نصل بذلك إلى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو».

٢- في ميلاد الوعي الإسلامي.

أعلــن اســتقلال الكويت فــي يونيو عام ١٩٦١م، وقــد واكب ذلك ظهــور نوع جديد من الدوريات الصحفيــة، بالرغم من قلة العناصر الإعلامية في الكويت. والملاحظ أن الظروف العامة في الســتينيات تغيــرت، فقد قدمت الدولة من المنح، والمعونات للصحف والدوريات، فــور منحهــا إذن الصدور.وكانت نقطة الانطــلاق لمفهوم الصحافة الإسلامية بشكلها العصري، ففي غرة محرم عام ١٣٨٥هـ الموافق ١٥ مايو ١٩٦٥م، أصدرت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت

العدد الأول من مجلة الوعي الإسـلامي لتقـف إلى جانب زميلاتها من المجلات الإسـلامية في توعية المسـلمين والدفاع عن قضاياهم بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية، وقد نأت المجلة بجانبها عن الجدل العقيم وأمسـكت عن مناقشة الذين لا يقفون عند منطق ولا يقتنعـون ببرهان، وقد كان لهذا الالتزام والنهج الأثر في رواج المجلة وانتشارها في سائر أقطار الوطن العربي والإسلامي.

وقد دونت هذه اللحظة التاريخية في افتتاحية العدد الأول للمجلة حديثًا في غاية الأهمية عند ميلاد أول مجلة دينية رسمية في الكويت، وذلك بإجراء حوار مع السيد/ خالد الجسار - وزير الأوقاف الأسبق -يقول: «سكرتير التحرير: كنتم أول من عمل على إصدار مجلة دينية في الكويت فما الدوافع التي أوحت إليكم بهذا العمل؟

قال وزير الأوقاف الأسـبق: «عندما عينـت وزيراً للأوقاف أخذت أسـتعرض ما تؤديه الوزارة من رسالة للمجتمع، فتبين لي أن أعمالها منحصـرة داخـل نطاق «روتينـي» يمكن إيجازه في الإشـراف على الأوقـاف وتحصيـل ريعها وإحالتهـا بدورها للجهـة المختصة.. مع الإشـراف على المسـاجد.. مما حـدا بانطلاق كثير مـن الأصوات المناديـة بجعلها إدارة تابعة لوزارة العـدل، ولكن كانت هناك أصوات أخرى تؤمن بالإصلاح وتنادي بضرورة بعث الروح في وزارة الأوقاف لتنهض برسالتها الحيوية في مجتمعنا.

«فوزارة الأوقاف في البلاد أمر تحتمه الضرورة للحفاظ على قيمنا الروحية.. فوزارة الأوقاف تأتي في المرتبة الأولى من ضرورات البلد، لأنها ذات رسالة روحية تعمل على نشر الثقافة الإسلامية وخلق جيل قوي من الشباب المسلم المؤمن بربه ووطنه».

«وعالمنا اليـوم عالم تغزوه الأفكار الدخيلـة، وتتصارع فيه مبادئ طارئة، وهي وإن كانت غريبة علينا باعتبارنا أمة الإسلام أصيلة، إلا أنها تعمل عملها بلا شـك في بلبلة الأفـكار وزعزعة العقيدة، ما لم يكن هناك مجهود لصد تياراتها وتبديد آثارها ...».

«والأمـة العربية - كما نعلم - دينها الإسـلام، وهـو روحها الذي لا يمكن أن تعيش بدونه، وهو مصدر سـعادتها وسـبب نهضتها من

كبوتهـــا، وهو الذي فتح أمامها الآفاق، ودفع بها إلى أقصى المشـــرق والمغرب تحمل رسالة السماء إلى الأرض، رسالة الحق والعدل والإطار والمساواة..».

«وهـــذا هو الذي دفعني، حين أســـندت إلي هذه الوزارة، إلى وضع مخطط شـــامل لأجهزتها، مهمتها النهوض برسالتها كما يجب، وفي طليعة هذه الأجهزة جهاز «الدعوة»، فنشـــأت إدارة الدعوة والإرشاد وجعلت في مخططها إصدار مجلة تحمل رســـالتها وتوضح أهدافها، وتساهم في نشر الثقافة الإسلامية في الداخل والخارج...

ســـكرتير التحرير: «وهذا يدعونا إلى أن نســـألكم عن المنهج الذي تختارونه لها وقد اطلعتم على الكثير من المجلات الدينية التي تصدر في البلاد الإسلامية...، فقال الوزير: «وأنا أعرف أن كبار الكتاب في العالم الإسلامي قد لبوا الدعوة للمساهمة في الكتابة بها مشكورين.. وآمل أن يكون النهج الذي تنتهجه مجلتنا الجديدة «الوعي الإسلامي» بعيـــداً عن كل ما يعكر صفو رســـالتها، وأن يكون رائدها الحق ترفع صوته، وتذود عنه بكل صراحة ووضوح، وأن تعرض الإسلام في ثوب قشيب محبب للقراء، وأن تساهم في النهضة الفقهية التشريعية التي يتطلبها مجتمعنا، وأن يعالج كتابها مشكلاتنا الجديدة على هدى من الشريعة حتى يمكن إيجاد حل لهذه المشكلات».

ســـكرتير التحريـــر: هل راعيتـــم في مخططكم حـــين فكرتم في إخراجها أن تقوم بنصيب في تثقيف المســـلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية؟

قـــال الوزير: «نعم - ومـــن واجبنا أن نلبي حاجـــة هؤلاء الإخوان، مـــن أجل هذا راعيت في مخططي للمجلـــة ولإدارة الدعوة، أن تقوم بنصيبهـــا فـــي هذا المجال، وآمـــل أن يتحقق هـــذا المخطط على يد المســـئولين الآن في الوزارة، وأن تتم ترجمة بعض الموضوعات المهمة التي بين دفتيها تعميماً للفائدة، وتحقيقاً للهدف المنشـــود، حتى تكون الكويت قد ساهمت بقسط في هذا المجال..».

سكرتير التحرير: «هذا أمر طبيعي لابد للمجلة أن تقوم به..وذلك بالإضافة إلى ما يقوم به قســـم النشر والترجمة بالوزارة من ترجمة

بعض الكتب للغات الحية، وقد بدأ بترجمة كتاب «شبهات حول الإسلام «للأستاذ محمد قطب، وقطع شوطاً كبيراً في الترجمة».

قال الوزير: «هذا ما نرجوه وأسأل الله العلي القدير أن يحقق لهذا (الوليد الجديد) التقدم والاستمرار والتوفيق..».

٣ - سياسة تحريرية أم تحرير سياسي:

من الملاحظ أن جل من تولى رئاسة تحرير المجلة من سنة ١٩٦٥ إلى ١٩٩٠م(٨)، كانوا من الصفوة الممتازة، من علماء جامعة الأزهر، فقد تركوا لنا مجموعة كبيرة من المقالات الصحفية والأبحاث العلمية والفقهية التي تعالج قضايا الأمة الإسلامية، أضف إلى الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية ومجموعة من الفتاوى الشرعية.وهذا ما يعطينا بعض التفسير للمنطق الفكري الذي حكم نشأة المجلة وحددت وظيفتها من خلاله. فمن كتاباتهم المتوالية خلال عمر المجلة قيد الدرس – يمثل انفتاحا واسع الطيف على الاتجاهات والتيارات الإسلامية المختلفة، ومما يؤكد على صحة هذا الخبر – المقال المعنون «تحية الأمام الأكبر شيخ الأزهر إلى مجلة الوعي الإسلامي» في العدد الأول للمجلة يقول الإمام:

«فقد سررت أبلغ السرور حينما علمت عزم الكويت – ذلك البلد العربي الشقيق – إصدار مجلة (الوعي الإسلامي)، وأن الأمل في هذه الدولة الشقيقة التي تعتز بعروبتها وإسلامها أن تصدر مجلة إسلامية واعية تحمل إلى العالم الإسلامي الفكر الإسلامي في أرفع مستوياته، كما أصدرت من قبل مجلة (العربي) تحمل إلى البلاد العربية الفكر العربي في أنبل أهدافه.

«وليس مصدر سرورنا أن مجلة إسلامية جديدة تضاف إلى عشرات المجلات الإسلامية التي تنتشر في سائر البلاد الإسلامية، ولكن لأن رجاءنا كبير في أن تصدر (الوعي الإسلامي) – جديدة في منهجها فتعرض الفكر الإسلامي الخصيب النابض بالقوة والحياة معا، ومن جانب آخر تواجه موجات الإلحاد والانحراف التي زحفت إلى عقول بعض الشباب في العالم العربي الإسلامي لتغزو الإسلام

والعروبة في عقر ديارهما، وتناوئ عقيدة الإسلام ومبادئه ونظمه بأفكار دخيلة مستوردة يمولها الاستعمار عن طريق أذنابه وأبواقه المسخرة».

المستفاد .لقد التزمت المجلة منذ عددها الأول سياسة تحريرية واسعة الأفق بعيدة، عن المحلية، ويلاحظ هذا أن المجلة حرصت على حضور أقلام مختلفة الاتجاهات من مختلف الأقطار الإسلامية، تقديراً لها وانتفاعاً بها، وجذباً للقراء الذين يحبون أن يقرأوا لكتابهم الذين نشأوا في بيئتهم، كما يحبون أن يقرأوا للأقلام البعيدة عنهم.

ومن بين كتاب العدد الأول نستطيع أن نعثر على أقلام معروفة، لكن الأعداد التالية شهدت أقلام علماء كبار، فهم بين فقيه وأديب وحقوقي ومؤرخ وصحفي ونقابي. وغيرهم.

ويلاحظ أن هذا التنوع قد انخفض في السنوات الأخيرة، بسبب صدور مجلات أخرى لا تقل قيمة وأهمية عن مجلة الوعي الإسلامي (مجلة الحج والعمرة نموذجاً).

٤ - حول استراتيجية الأهداف:

حرصت رئاسة تحرير المجلة طوال عهدها على أن تكون واقعية، فهي لا تفقد تواصلها مع العالم الإسلامي وأخباره من جهة، وتحاول أن تتناول موضوعات ذات أهمية عامة، خصوصاً فيما يتعلق بالقضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية، وفي مواجهة التيارات المخالفة.

كما حرصت المجلة على التركيز على الجوانب المشرقة في التأريخ الإسلامي، مع عدم إغفال بعض الإخفاقات ومعالجتها وفق منظور علمي يستقي منه العبر والفوائد المتصلة بواقع الأمة اليوم.

ووقفت المجلة خلال مسيرتها على إبراز الرأي الشرعي المتسق مع معطيات العصر ومستجداته بما يكفل تمسك الأمة بدينها، وبما لا يؤدي إلى وقوعها في حرج شرعي يفضي إلى المحظور، هذا مع التركيز على أهمية مؤسسية وعلمية، هيئة الإفتاء وتشجيع المجامع

الفقهيـــة على مواكبة المســـتجدات وإدراك ظروف الأمة بما يحقق – «فقه الواقع» –.

واعتمدت المجلة على فن المقال الإسلامي ســـواء كان على شـــكل (المقال الخبـــري) أو (الخبر المقالي) – بمعنى أنهـــا لا تكتفي بإيراد الخبر، وإنما تصبغه على شـــكل مقالي، موضحـــة أبعاده ومغزاه من خـــلال وجهة نظر إســـلامية. ولكن لا يكاد يخلو عـــدد من أعدادها من أحد البحوث المتخصصة في العلوم الإســـلامية. وكل ذلك يعطي انطباعا بأن المجلة ذات حس دعوى، وليســـت مجلة دينية تخصصية بالمعنـــى الذي نتداوله اليوم، على الرغم من أنها تعرف نفســـها على الغلاف بأنها (شهرية إسلامية ثقافية).

٥ – نافذة على الأبواب:

من الصعوبة بمـــكان حصر موضوعات المجلة، ذلـــك أنها متنوعة بتنوع موضوعات الحياة العامـــة، ومتعددة بتعددها. غير أن الأبواب وبعض العناوين التي وردت أو نشرت في المجلة ذات دلالة خاصة، إذ تكشف في الوقت ذاته عن اهتمامات وتفكير القائمين على المجلة:

فقد دأبت المجلة على إيراد أبواب ثابتة لا يخلو منها أي من أعدادها، والأبـــواب على الترتيـــب هي: الافتتاحية، كلمة العـــدد، بريد القراء، أنشـــطة الوزارة، البيت المسلم، الســـاحة الأدبية، الوعي الاقتصادي، نافذة على العالم، قطوف إسلامية، الفتاوى، مسك الختام.

كمـــا أن المجلة تضم أبوابـــا متغيرة، ويتضمن فـــي الغالب قضايا ومســـائل تتعلق بـــ (الفكر السياســـي، والاقتصـــادي، والاجتماعي، والفكري، والديني) من منظور إسلامي، مثل:

تاريخ وحضارة، أحكام، قضايا معاصرة، قضايا اجتماعية، دراسات أدبية، فنون وعمارة، شـــخصيات، دراسات قرآنية، فقه وتشريع، طب وعلوم.

وهنـــاك أبواب يمكن وصفها بأنها «ظرفيـــة» – وهي أبواب تنقطع أحيانـــاً لكنهـــا حاضرة فـــي الأذهان – مثل: مسع الصحافة، قصص ومسرحيات، موسوعات ومعاجم، كتاب الشهر.

فـي كل الأحوال - تتداخل موضوعات الأبـواب ومنطق معالجتها للمـواد التي تتناولها، حتى لنجد في بعض الأحايين أن بعض الأبواب تقوم بنفس الوظيفة.

٦ - قراءة في العناوين:

المتتبع لمجلة الوعي الإسـلامي منذ نشأتها يلاحظ أنها استقطبت خلال مسـيرتها عددا مهما من الكتاب المتميزين من مختلف الأقطار الإسلامية نذكر منهم مثلاً:

د. عبد العزيز كامل، د. عبد المنعم النمر، الشـيخ محمد الأباصيري، الشـيخ محمد الغزالي، حسـنين محمد مخلوف، البهي الخولي، رشدي فكار، د.يوسف القرضاوي، د. محمد عمارة، فهمي هويدي.. من مصر.

د. سـعيد رمضان البوطي، على الطنطاوي، د. وهبة الزحيلي، د. مصطفي الزرقاء، د. خالص جلبي من سوريا.

مالك بن نبي، احمد عيساوي من الجزائر.محمد الصالح بن عزيز من تونس

د. حسـن عزوزي، محمد الحجوي، عبد الله كنون، أحمد بن سودة من المغرب..

عبد العزيز المطوع، أحمد الخميس، بدر القصار، د. عجيل النشمي، يوسف الحجي من الكويت...

ومن أبرز العناوين التي كان لها صدى إيجابي، وأثارت القارئ على سبيل المثال لا للحصر:

- الكويت تمنع الخمر، أحمد الخميس، عدد ٤، ص ٤٩.
- التصوف الذي نريده، محمد الغزالي، عدد ٢٨، ص ٥٢.
- حاجتنا إلى الإيمان، د. يوسف القرضاوي، عدد ٢٩، ص ٥٠.
- بين الفكر الإسـلامي والفكر الوضعي، د. محمد سعيد رمضان البوطي، عدد ٤٤، ص ٤٨- عدد ٤٦، ص ٢١ -عدد ٤٨، ص ٢١.
- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، مالك بن نبي، عدد ٤٩، ص ٣٠ -عدد ٥٢، ص٢٨.
- الإسـلام في أصوله الأولى والأخيرة، د. وهبـة الزحيلي، عدد

١٠٢، ص ٦٤.

● الفكر الإسلامي بين المنهج الرباني والفلسفي، أنور الجندي عدد ١٥، ص ٧٧.

● أزمة الفكر وفكر الأزمة جمال سلطان، عدد ٢٨٠، ص ٢٨.

● التيارات الإسـلامية والديمقراطيـة، فهمي هويدي، عدد ٣٢٤، ص ٧١

● أزمة عقل أم أزمة في طريقة التفكير، أ. محمد الصالح بن عمر عزيز، عدد ٣٣٠، ص ٧٢.

● إنسـانية واحدة وتعددية في الأمم، د. محمد عمارة، عدد ٣٨٨، ص ٥٤.

● عبثية الحرب، د. خالص جلبي، عدد ٤١٠، ص ١٣.

● توصيـف الواقع عند الجامعات الإسـلامية، غازي التوبة، عدد ٤٧٠، ص ٣٤.

● أشـوري أم ديمقراطية، د. عبد العزيز الخياط، عدد ٤٧٧، ص ٣٤.

وبشـكل عام يلاحظ أن المواضيع التي تثير قضايا علمية أو فكرية بروح اجتهادية وتجديدية هي التي تثير القارئ أكثر.

وهنـاك مواضيع أخرى كذلك يهتم بهـا القارئ وتجذبه كثيراً مثل المواضيع التي تتناول قضايا الفن عموماً وموقف الإسـلام منه، وقد نشـرت المجلة ملفات خاصة حول هذه المسـألة وناقشتها في أعداد مختلفـة وطرحت المسـألة في افتتاحية العـدد ٤٥٩ مثلاً وعنوانها: «حاجتنا إلى الفن الملتزم».

ومن الملاحظات العامة كذلك نذكر:

أن قضايا المرأة كانت غائبة تماماً عن اهتمام المجلة في العشـرين سـنة الأولى، وبـدأ الاهتمام بها يـزداد منذ منتصف التسـعينيات وخصصت لها ملزمة (١٦ صفحة) تحت اسم «البيت المسلم»، يلاحظ كذلـك قلة الموضوعات التي تهتـم بالاقتصاد في الفترة الأولى، وقد بدأت المجلة في أعدادها الأخيرة تتدارك هذا الأمر.ونفس الشـيء يلاحظ في القضايا المتعلقة بالإعلام.

والمجلة تبقى أسـيرة كونها مجلة حكومية خاضعة لإشـراف وزارة الأوقاف ورؤيتها وهو ما يجعلها فاقدة للاستقلال في الطرح والتوجه العام.

ثانياً: مجلة براعم الإيمان:

التخييل الطفولي والحاجة إليه

يقول الرسـول صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» حديث صحيح.

من المتفـق عليه بين رجال الإعلام والتربيـة أن مجلة الطفل أداة ثقافية وإعلامية وتربوية وترفيهية يمتلكها الطفل وتعبر عن عصرها وزمانهـا، وتقوم بمهمة نقل وغرس القيم والمبادئ ومعايير السـلوك، وتدعمها إيجابياً وسـلبياً من خلال التعبير اللغوي، والصور الذهنية، وشـغل الطفل بالأفكار والقيم والفضائل التي تؤكدها له، ونقنعه بها من خلال قصصها وموضوعاتها وأبطالها، وتتميز أيضاً بقدرتها على تشكيل ذوق الطفل والمساهمة في تكوين شخصيته بل وتعتبر مسئولة إلى حد كبير عن تحديد نوعية القراءات في المسـتقبل، والجاد منها أو التافه والرخيص، وبذلك فإنها مسـئولة إلى حد كبير عن تحديد نوعية وملامح هذه الشخصية مستقبلاً».

يبـدو لي أن مضمـون مجلات الأطفال الإسـلامية من المتوقع أن يكون مصاحبـاً للتربية الدينية الخاضعة لأوامـر الله ونواهيه، وأن تكـون بمجملها مستسـلمة لشـريعة الله عز وجل، فهـذه المضامين الكتابية هدفها شخصية الطفل المسلم، ومما لا شك فيه أن مرجعية هـذه المضامـين قديمة قد وردت في شـذرات نصية فـي مدونات تاريخية وسـيطة فعلى سبيل المثال: «رسـالة أيها الولد» لأبي حامد الغزالي، «تحفه المولود بأحكام المولود» لابن القيم الجوزيه، «وسياسة الصبيـان وتدبيرهم» للقيرواني، وما يتعلق بكتاتيب الصبيان (مقدمة ابن خلدون).

وفي هذا الصدد يذكر لنا ابن سـينا ما نصه: «ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيـار الصنعة أن يـزن أولاً طبع الصبي، ويسـبر قريحته ويختبر ذكاءه، فيختار له الصناعات بحسـب ذلك فإذا اختار إحدى

الصناعـــات، تعرف قدر ميله إليها ورغبته فيها، ونظر هل جرت منه علـــى عرفان أم لا، وهل أدواته وآلاته مســـاعدة له أم خاذلة، ثم يبت العـــزم.. فإن ذلك أحزم في التدبير، وأبعد من أن تذهب أيام الصبي فيما لا يؤاتية ضياعًا».

أمـــا المضامين الحديثة والمعاصرة فقد ارتبطت بخصائص متطورة تعتمد تارة على تصوير المعاني وتجسيدها من خلال الكلمة المطبوعة النابضـــة بالحياة، عن طريق تحويل الصفحات إلى لوحات فنية ذات جمال ومعنى، وتارة تعتمد على الصوره باختلاف أنواعها (ســـاخرة، توضيحيـــة) ، مع مـــا تميز به الصورة من لغة يســـتطيع الطفل مهما اختلفت قدرات ذكائه وتعلمه. فهماً وتأثراً.

فعلى ســـبيل المثال لا الحصـــر: مجلة «ســـعد» (١٩٦٩م)، «براعم الإيمـــان» (١٩٧٥م)، «افتح يا سمســـم» (١٩٨٠م)، «العربي الصغير» (١٩٨٦م)، «كويتنا» (١٩٩١م) «أزهار» ١٩٨٨م، «شاهين» (١٩٩٨م).

١ - أضواء على مجلة براعم الأيمان:

تصدر المجلـــة كهدية عن مجلة الوعي الإســـلامي التي تصدر من وزارة الأوقاف والشـــئون الإسلامية، في غرة كل شهر عربي - صدر العـــدد الأول في رجب ١٣٩٥هـ، الموافـــق يونية ١٩٧٥م، بهدف الأخذ بأيدي الأطفال إلى ميادين العلم والمعرفة، وغرس قيم الإسلام وآدابه، ومثلـــه العظيمة في القلـــوب، يقول رئيس التحريـــر: «إن الهدف من إصدار» «براعم الإيمان» - توعية وتعليم أبناء المســـلمين أمور دينهم قولاً وفعلاً، وغرس القيم الإسلامية، التربوية، وتوسيع دائرة المعارف من العلوم الشـــرعية والأدبية والعلمية، وهي تخدم شـــريحة الأطفال من سنة ٦ إلى ١٠ سنوات». وكان عدد صفحاتها في بداية صدورها (١٦) صفحـــة، وتطورت تدريجياً لأكثر مـــن الضعف، فوصلت نهاية ١٩٩٨م إلـــى (٣٦) صفحة من الحجم الكبير (١٧-٢١ســـم)، وتطور عدد نســـخها من خمسة آلاف شـــهرياً إلى مائه ألف عام ١٩٨٦م، ثم انخفض بســـبب تقليص الموازنة إلى ٧٠ ألفًا، ثم ٥٠ ثم ٣٥ ألفًا، وفي نهاية ١٩٩٨م وصل إلى ٣٢ ألف فقط.

ورغم هذا التراجع في الإعداد ورغم التناقص، حافظت المجلة على مستواها وأهدافها، ورفعت من مستوى إخراجها وطباعتها، وخطابها لتواكب العصر، ولم تضع نفسها في بوتقة ضيقة، حيث نلاحظ أنها تمكنت من تقديم مجموعة من الموضوعات القيمة مضموناً وشكلاً. ولعلها واحدة من مجلات الأطفال التي تنشر من الوزارة التي تؤكد أنها غير مسئولة عما ينشر في المجلة من آراء، فهذه العبارة لا تذكر عادة في مجلات الأطفال، خاصة الديني منها.

٢ - آراء واهتمامات:

قام قطاع الشئون الثقافية التابعة لوزارة الأوقاف باستطلاع آراء الجمهور من داخل وخارج الكويت حول عادات وأنماط قراءة كل من مجلة الوعي الإسلامي، ومجلة براعم الإيمان، حيث يلقي الضوء على الكثير من النتائج والمقترحات، يجب عدم إغفالها في أي دراسة تتناول مجلتي الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان، ولكن تجدر الملاحظة أنه استطلاع غير منشور، وقد صدر في سنة ١٩٩٨م.

كما تأتي أهمية الاستطلاع الأخير، والذي قام به الباحث طارق البكري عن عادات قراءة مجلة براعم الإيمان وأنماطها في سنة ١٩٩٩م وذلك بتحليل عينة البحث وبذل جهده الواضح في مراعاة الدقة في أثناء عملية الإحصاء الكمي للموضوعات عبر جداول ونسب إجمالية ومئوية .

وعليه، فإننا نود أن نستعرض أهم ما جاء من نتائج تحليلية في الدراسة الميدانية المذكورة للباحث. هذا إلى جانب بعض الملاحظات العامة على مستويين (الفني والأدبي)، وهي النحو التالي:

- أن أكثر اهتمامات المجلة تكراراً، القصص المصورة، حيث حازت أعلى النسب (٢٣,٧٪) بفارق يفوق النصف عن الاهتمام التالي، وهو القصص السردية (١٠,٢٪) وربما ذلك يرجع إلى أن القصص المصورة هي من أبرز الأشكال الصحافية وأكثرها جاذبية بالنسبة إلى الأطفال. ويرى الباحث أنه يجب ألا يطغى هذا الشكل الصحفي على الأشكال الأخرى، وقد يكون اعتماد المجلة بشكل رئيس على

القصص المصورة دليل ضعف، لأن كثرة القصص المصورة لربما أدت إلى محاذير، مثل الشعور بالملل السريع بالقراءات الأخرى، والتعود على الواجبات الفكرية الخفيفة.

- يبدو أن القصص الحوارية تجذب الطفل، لأنها أكثر تشويقاً وحماسة وحركة، وتفتح الباب لانطلاقة أخيلة الطفل في عوالم القصص الحوارية لتمثيل شخصياتها.

- يجب ألا يطغي النمط القصصي على جميع الأنماط الأخرى. فالباحث يذكر أنه عند جمع نسب القصص المصورة والسردية والحوارية وجد أنها تقارب نصف العينة (٤٣,١٪)، وهذا خلل بيِّن يجب على المجلة أن تتداركه، بالرغم من أهمية القصة وأثرها في شخصية الطفل المسلم.

- لا شك في أن مشاركة القارئ الصغير في تحرير مجلة، تحفز في نفسية الطفل دافعية القراءة والكتابة والاطلاع والابتكار، وهذا يشكل اتحاداً ضمنياً وفعلياً بين الطفل ومجلته، وبين الطفل وكل أنواع القراءة الخاصة بالصغار.

- الجدير بمجلة ذات أهداف ووسائل إسلامية ألا تقدم التسلية لمجرد التسلية، بل بإمكانها أن تستغل انجذاب الطفل إلى هذا الباب المسلي، بأن تركز عليه بشكل كبير، وألا تعتبره مجرد صفحات متأخرة.

- يفضل الباحث أن تزداد الجرعة العلمية، والمهارات الأدبية (الحوارات الشعرية، المسرحيات الشعرية)، وبذلك تظهر «المجلة» عناية مثلى بهذين الجانبين، لما لهما من أهمية في تنمية شخصية الطفل العلمية، وتنمية الذوق الحسي والجمالي واللغوي في نفسية الطفل.

- بالرغم من إقرار الباحث بأهمية توضيح الصفات (باب صفات براعم الإيمان) بشكل مباشر، فإن هذه الصفات برأيه - كانت مبثوثة في معظم أبواب المجلة، حيث وجدها في القصص والأناشيد والمسرحيات والحوارات.

- يلاحظ من خلال الأبواب والمحتويات، غياب عنصر مهم، وهو

محاولة جذب الأطفال غير المسلمين إلى الإسلام، وتوضيح الحقائق لهم بعيداً عن التزييف والتشويه بأسلوب ممتع وجذاب.

- يغلـب على المجلة طابـع الإعداد، لا التأليـف والتوجيه، وليس الدعوة إلى الابتكار، لذا تضم المجلة أقل عدد من التسالي والمسابقات، والكلمـات المتقاطعة وإمعان الفكر ولعبة الحـروف، والمطلوب تعزيز هذه الصفحات بكل ما هو ممتع ومفيد وجديد.

- ليس هناك شـعار للمجلة سوى اسـمها وليس هناك فهرس أو إشارات على الغلاف لما يتضمنه العدد. وبسبب قلة الصفحات وكونها شـهرية اقتصر عدد الكتاب في المجلة على أفراد معدودين، فأخذت المجلـة طابعاً ضيقاً فـي الطرح ونوعية الموضوعـات المقدمة، بينما المفروض هو اسـتكتاب عدد كبير من المهتمين في هذا المجال، ودفع مكافآت مجزية لهم لحثهم على الكتابة ونشر أفضل المعروض وليس كل المعروض.

- عدم وجود سياسـة عامة تحدد الموضوعات المنشورة، إذ يلاحظ وجود اضطراب وعدم تجانس وتناسـب وتنسـيق، وكأن الهدف هو وضـع كم من الموضوعات الخاصة بالطفل يكفي لإتمام كل عدد كيف اتفق، دون دراسة كل جانب من هذه الجوانب ومعرفة حاجات الطفل وميولـه ورغباته وتطلعاته وآماله من مواد المجلة التي يتابعها. كما أن خطاب المجلة لم يـراع التنويع الجذاب، حيث جاءت الأبواب كقوالب متكـررة نراها في مختلف الصحف والمجـلات وهذه الأمور أفقدت المجلـة الكثير من الخصائص التي كان ممكنا لها أن تحقق أكبر قدر من الإيجابية المطلوبة.

- إن ربـط ميزانية مجلـة البراعم بميزانية مجلـة الوعي لا يفي بمتطلبات المجلتـين، والأفضل تخويل رئيس التحرير حرية التصرف بميزانية مستقلة تلبي احتياجات خطته في التطوير والإبداع.

مـن صفوة القول. يقول الباحث طارق البكري ما نصه: «إن مجرد التفكيـر بإصدار مجلة إسـلامية للأطفال، قد يكون أمـراً مرعباً، ولاسيما بالنسبة إلى الذين خبروا الإعلام ومارسوا المهنة، ولم يكونوا مجـرد متطلعين إليها، لأن الحديث عن المعاناة من الداخل لا يشـبه

مطلقاً من يــرى المعاناة ويتحدث عنها دون تجربة حقيقية، لكن ذلك يجب ألا يؤثر في مســيرة الإعلام الإســلامي، فسلاح الكلمة أصبح في عصرنا الحديث من أخطر الأســلحة فتكاً وتدميراً، لما يستوجب مزيداً من الإصرار والمثابرة لتحقيق أعلى مستويات النجاح في مجال الإعلام الإسلامي عامة، ومجلات الأطفال الإسلامية خاصة».

ثالثاً: من أجل استئناف النظر:

المعوقات والتوصيات.

أما بعد - فإن الكلام عن تجربة مجلة الوعي الإسلامي في الكويت لم يبدأ بعد، وما هذا البحث إلا محاولة أولى لتدشــين نوع من القول فيه ضمــن أنواع أخرى من الــكلام مازالت كلها ممكنــة تنتظر من يفــك العقال عنها والحصار، من أجل هذا ســنعمد هنا إلى نوع من استئناف النظر فيما سبق. واستئناف النظر هو وجهة نظر يراد منه الارتفاع بالنقاش إلى مســتوى أعلى، كان النظر منصرفاً في مدخل هذا البحث إلى مســائل الرؤية والمفاهيم والتصورات التي نعتقد أن توظيفها نوع من التوظيف قد يساعدنا على رؤية موضوعنا عن قرب من موقع أفضل. إن هذه المفاهيم والتصورات التي مكنتنا على الأقل، من الانتظار إلى النظر على كثير من المعوقات التي تقيد تطوير العمل وتمنعه من اكتشــاف الطريق إلى تاريخه: إلى إماطة اللثام عن كيفية تكوينه وتتبع مساراته.

● المعوقات:

- مجلة الوعي الإسلامي لا تعامل معاملة خاصة تتناسب، وطبيعتها ومهمتها الصحفية، حيث إنه لا توجد لوائح مالية تعتمد نظامًا ماليًا خاصًا بالعمل الصحفي.

- لا توجد سياسات واضحة تمكن المجلة من التعاقد مع مؤسسات صحفية لإجراء التحقيقات والاستطلاعات اللازمة.

- لا توجد هناك لائحة تمكن المجلة من تعزيز شبكة المراسلين في دول العالم الإســلامي، وفتح مكاتب للمجلة في بعض الدول العربية (مصر والمغرب نموذجا).

- لا توجد بالمجلة سياسة تضع خطة سنوية وشهرية للمواضيع التي يجب تغطيتها بالمجلة، مما يجعل المجلة خاضعة لما يصل من الكتاب، أو تكرار بعض المواضيع.

- لا يوجد بالمجلة نشاط إعلامي واسع وملحوظ داخل المجتمع الكويتي، حيث إن المجلة على سبيل المثال لا تقوم بتنظيم ندوات متخصصة حول القضايا الساخنة تدعو فيها المتخصصين، وبصفة دورية، ثم تنشر وقائع الندوة بالمجلة.

- المجلة تعاني قصورًا حادًا في الكوادر الصحفية المؤهلة والمدربة والمتخصصة في فنون التحرير الصحفي.

- مقر المجلة الحالي لا يتناسب مع الطموحات والأهداف المرسومة لها.

- اللائحة المالية للمجلة تبين قصور المكافآت المخصصة للكتاب، كما لا يوجد بالمجلة نظام الحوافز التشجيعية.

- لا يوجد هناك خطط تسويقية لترويج المجلة وانتشارها.

- غياب بعض الفنون الصحفية المهمة كالتقارير الصحفية، والتحليلات الإخبارية، والتعليق على الأحداث، وندرة الأحاديث الصحفية، وكذلك التحقيقات بصورة واضحة، وإن كان هذا الغياب هنا مرتبطا بكونها مجلة حكومية.

- أسلوب التحرير الصحفي المستخدم يغلب عليه السطحية مع طغيان أسلوب السرد التقليدي ولا تستخدم المجلة الأساليب الحديثة في تحرير المواد المنشورة فيها.

- من المعوقات التي تقف حجر عثرة أمام تطوير مجلة براعم الإيمان موضوع الرسوم والصور، حيث تحتاج إلى فتاوى ثابتة تتيح للمصور أو الرسام أن يعمل دونما خوف أو ريب.

- هناك خلط واضطراب في صفحة المحتويات، إذ لم نجد تصنيفا مبرمجا للعناوين بدءاً من الافتتاحية إلى مسك الختام، هذا وقد بلغ عددها (٩٨) عنواناً.

- عدم التركيز على القضايا المحلية مثل: البدون، العمالة الأجنبية، ووضع المرأة وحقوقها السياسية، وغير ذلك من الأمور التي لم يتم

التعامل معها.

- ما يؤخذ على المجلة عدم وجود ذكر للمساهمات البرلمانية الكويتية إزاء القضايا التي تهم الأمة الإسلامية كـ (المشاركات في المؤتمرات الإسلامية، وإصدار البيانات السياسية المتعلقة بالقضايا الإسلامية على الساحتين العربية والإسلامية، هذا فضلاً على أثر المساهمات البرلمانية في لجان الصداقة بين البرلمان الكويتي والبرلمانات الإسلامية.

من هنا يتجلي واضحاً أن إعادة تأصيل. استراتيجية التطوير في المجلة ضرورة ملحة ويجب أن تنطلق من استراتيجية التطوير التي تؤسس النموذج الذي نريد، ولكن هل يكفي ذلك وحده لتجديد المجلة وإصلاحها؟ هذا ما سنذكره في أهم المقترحات والتوصيات بشأن تطوير عمل المجلة والتي جاءت على النحو الآتي:-

● التوصيات:

- تحديد الهوية المطلوبة للمجلة بشكل واضح، ومن خلالها طبيعة المخاطب المستهدف: فالمجهود المبذول حالياً كبير جداً لتغطية مجالات عديدة بالمجلة، لكن الحقيقة أنه لا يمكن أن نقول كل شيء عن كل شيء في فضاء محدود مثل «المجلة».

- من الأهمية بمكان إطلاق حملة لاستقطاب الأقلام الجادة بمراسلة المفكرين والكتاب واستكتابهم، وربما الاتصال بهم شخصياً، والذين يشهد لهم الرأي العام بالموضوعية والنظر المعتدل.

- التوسع في مجال الاستطلاعات السكانية والتي تمثل الجوانب المعيشية، وعادات وتقاليد الشعوب المسلمة والخلفيات التاريخية لكافة الشعوب المسلمة.

- الاهتمام بالجاليات الإسلامية في الغرب الأوربي والولايات المتحدة، وتيسير الاتصال الفكري والثقافي معهم عبر المجلة وأبوابها.

- العهد إلى المختصين بترجمة الدراسات التي ترد من قبل مفكرين غربيين، أو تلك التي ترى الوزارة أهمية ترجمتها، ثم فحص الترجمة وتوظيف الهامش للتعليق والاستدراك على ما يخالف النظر

الإسلامي.

- إبـراز دور نشـاطات وزارة الأوقـاف والمؤسسـات التابعة لها، والاستفادة من الكفاءات الوطنية المتخصصة.

- تنظيم ندوات دولية على فترات حول القضايا الإسـلامية ودعوة المفكرين والباحثين ثم تفريغها في إصدارات خاصة تابعة للمجلة.

- تعزيز شـبكة المراسـلين وزيادة عدد المحرريـن المتفرغين ورفع مستواهم وتجديد مهاراتهم من خلال الدورات التدريبية.

- فتـح مكاتب للمجلة في بعض الـدول العربية، وذلك لتعزيز قوة المادة المنشـورة وتنوعها وسـهولة تحديد هيئة التحريـر للمواضيع المطلوب تغطيتها مع ضمان الاستمرار.

- انتقاء كفاءات تحريرية وقيادية وإدارية قادرة على التمازج مع كل الأحداث، والتناغم مع المستجدات.

- من الأهمية بمكان اسـتقلالية المجلة في صنع قراراتها، وهذا لا يتم إلا من خلال تبعية المجلة لمجلس استشـاري يتبع لمعالي الوزير أو من ينيبه.

- يجب أن يكـون موقع المجلة متميزاً وظاهـراً للعيان مع مواقف خارجية، وأن يتناسب التقسيم الداخلي مع الهيكل الإداري.

- تقتـرح أن تكون زيـادة المـوارد الحالية للمجلة بزيـادة الدعم الحكومي لها، أسوة بالدعم الحكومي المقدم لمجلة «العربي».

- زيادة طباعة نسـخ مجلة براعم الإيمان وبيعها بشـكل منفصل لزيادة الموارد مع الاحتفاظ بالبرعم المرفقة كهدية مع المجلة.

- ارتيـاد آفاق جديدة تتصل بمسـتقبل الجاليات الإسـلامية في البلاد العربيـة، وتمثل المخيـال الجماعي الغربي لصورة الإسـلام والمسـلمين بعد خفوت أصوات التصعيد والتوصيف السلبي لهما في وسائل الإعلام المتنوعة.

- التوسع في عرض رسائل بريد القراء خصوصاً فيما يتعلق بالآراء المؤيـدة والمعارضة للأحداث والقضايا المطروحة فيما لا يتعارض مع سياسات النشر بالمجلة.

- الاهتمام بتحرير ملف لكل عدد يتناول أهم قضايا الأمة يشارك

فيه المحررون، والمفكرون، وأساتذة الجامعات.

- الاتفاق على مصادر محددة للفتوى كـ (مجمع الفقه الإسلامي المنبثق من مؤتمر الدول الإسلامية)، والبعد عن الفتاوى الشاذة التي تخالف جمهور الفقهاء.

- الاستعانة بفريق استطلاعي مجهز يعنى بتغطية المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في أنحاء العالم، بحيث يتم تغطية المؤتمر كالاستطلاع عن الحضور البرتوكولي لقادة الدول الإسلامية، وملخص عن الأوراق المقدمة كقادة رأي في بلادهم والعالم الإسلامي. والاستطلاع يجب أن يكون جذابا ويكون في الوقت ذاته غنيا فكرياً.

- إيجاد ملحق لها بالإنجليزية يوسع دائرة التوزيع ، خاصة في البلدان الإسلامية الناطقة بالإنجليزية، ويبدو أن الأقلام القادرة على الكتابة بالإنجليزية في مجال الفكر الإسلامي، وإن كانت قليلة إلا أنها موجودة.

- عمل دراسة متكاملة وتاريخية عن مجلة الوعي الإسلامي من ناحية الإخراج والشكل العام لمعرفة واقع المجلة، وتحديد الهوية المطلوبة للمجلة بشكل واضح، ومن خلالها طبيعة المخاطب الملائم للفئة المستهدفة، وبناء على هذه الدراسة يتم إعادة تصحيح المجلة إلى«الشكل» الذي يعطيها المكانة المرموقة التي يجب أن تكون عليها.

المجلّات الثقافية العراقية دورها ومكانتها

د. محسن الموسوي*

دائمًا يُختلف بشأن مكانة المجلات الثقافية في تكوين النخب الثقافية، وكذلك في تنشيط المناخ الثقافي ورفده بشتى التيارات والاتجاهات، التي قد لا تتسع لها الكتب، وكلما برز موضوع المجلات الثقافية في البلدان المتطلعة للاستقلال، أو تلك التي نالت استقلالها خلال العقود العشر الأخيرة، بدا هذا الدور أكثر وضوحًا لطبيعة العلاقة الوثيقة بين هذا التطلع وبين الوعي الثقافي الذي تشكل المجلات والصحافة والكتب ملمحه البارز، بالإضافة إلى الركيزة التعليمية، متمثلة بالجامعات ومراكز الأبحاث. ولما كان المثقفون يشكلون واجهة عريضة في البلدان المستقلة حديثًا، لنا أن نتصور الكيفية، التي تتشكل بموجبها الأولويات الثقافية في هذه البلدان، فمَن منا يمكن أن ينسى دور المجلات النهضوية كالمقتطف والجامعة والهلال، والرسالة، والكاتب المصري؟ ومَن منا ينسى الدور اللاحق للأديب، ثم الآداب بسعتها وريادتها، والثقافة الجديدة، والبيان النجفية، قبل أن تحل مجلات أخرى كثيرة، صغيرة

* أستاذ الدراسات العربية - جامعة كولومبيا في نيويورك.

وكبيرة، كالمعرفة السورية والطليعة والكاتب وغيرها؟

والأمر الذي يستحق الإشادة قبل الشروع في تقديم المجلات الثقافية العراقية، أن هذه المجلات غالبًا ما شكلت المنابر الفعلية لاستجماع الرأي وتحريـك الاتجاهات، أو حتى توليدهـا ودفعها، كما أن هذه المجلات لا يمكـن أن تدرس على أنها ولادات متشـابهة، متماثلة الحضور والعلاقة بالجمهـور، فما يقـال عن الآداب مثلاً، قد لا ينطبـق على الأديب، وما يقال عن مجلة (العربي) قد لا يتماشـى مع (عالم الفكر) أو (فصول) أو (فكر) التونسـية في الثمانينيات. وهناك مجلات صغيرة، أو هامشـية، تخرج من التخوم بمجهود شخصي، قد يكتب لها النجاح، ولكنها غالبًا ما تمنى بالإخفاق. أما قيمة المجلة الصغيرة، فتكمن في التدليل على وجود هاجس ما، نبض خفيض لم يكتب له بعد أن يشـغل الصدارة، أو لا يراد له أصلاً أن يكون متصدرًا في ظل ثقافة أخرى مهيمنة وقوية. إن ساحة الثقافة ليسـت أمرًا واحدًا، علـى الرغم من وجود مجموعة من العوامل المشـتركة التي قـد تفوق حضورها فـي مجالات أخـرى تعتمد مبادئ المنافسـة، وصراع القوة والنفوذ. فما نقوله عـن مجلة الكلمة العراقية، التي أخذت بالظهور في النجف قد لا ينطبق على الأقلام، التي سـبقتها بعامين، على الرغم من اشتراك بعض الكتّاب في الكتابة للمجلتين. لكن تكرار أسـماء بعض الكتّاب لا يعني اختفاء الفوارق، التي تجعل المجلات الثقافيـة متفاوتة حضورًا وتأثيرًا ونفوذًا علـى صعيدي الدولة الوطنية والمجتمع.

ومن جانب آخر، لكل مجال ثقافي سلالة نسب لا يمكن تجاهلها: فهل كان ظهـور مجلة الأقلام في أيام حكم الأخوين عارف في العراق - مثلاً - مقطوعًا عن سلالة المجلات، التي ظهرت أثناءحكم الزعيم عبدالكريم قاسـم، وتحت تأثير اليسـار العراقي النشـيط حينذاك مثلاً؟ ماذا عن الثقافـة الجديدة وكتّابهـا المبرزين من بين الوسـط الجامعي العراقي كالدكتور مهدي المخزومي وإبراهيم السـامرائي وصلاح خالص ونزيهة الدليمي وغيرهم؟ وكيف نقارن هذه الأسماء بالأسماء، التي ستشغل مجلة الأقلام - مثلاً - من على شـاكلة ناجي معروف وجمال الدين الألوسـي وخيـري العمري وفيصل الوائلي وجميل سـعيد ونعمان ماهر وعبدالله

الجبوري والشيخ جلال الحنفي ونوري حمودي القيسي وعبدالوهاب الأمين؟ وهي أسماء قد لا تظهر فيها منذ منتصف السبعينيات!

لقد ظهرت الأقلام عام ١٩٦٤عن وزارة الثقافة والإرشاد، ويرأس تحريرها الوزير حينذاك عبدالكريم فرحان. ومن هيئة التحرير: نازك الملائكة ومصطفى جواد وجميل سعيد، وعبدالهادي محبوبة وأحمد شاكر شلال ويوسف عزالدين وخالد الشواف ونعمان ماهر. وعهدت سكرتارية التحرير إلى عامر رشيد السامرائي.

وعندما نريد أن نقرأ حضور الأسماء في ضوء المواقف الفكرية والانتمائية للمثقفين والجامعيين يمكن أن نرى الفرق بين مجموعة الثقافة الجديدة - مثلاً - ومجموعة مجلة الأقلام، وهو فرق كان يمكن أن نتبينه في إصدارين آخرين طيلة نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات بين كتّاب مجلة الأديب المعاصر لسان حال الأدباء العراقيين في ظل اليسار العراقي، والشيوعي تحديدًا، ومجلة الكتاب والمؤلفين، التي يرأسها الدكتور يوسف عزالدين، والتي تنطق بلسان الكتّاب القوميين، أو غير المحسوبين على أحد. لكن هذا الفرق الظاهر يخفي فروقًا أخرى تخص مادة الثقافة المنشورة: فالمحافظة أو الاستقرار هي صفة الجناح القومي أو المستقل عن اليسار، والابتكار والثورية والاختلاف والتحزب صفة الطرف اليساري. لكن الأقلام تبقى حلقة في سلالة نسب، وهي سلالة سرعان ما تتوزع في فروع حسب النمو الذي لابد منه لأطراف هذه السلالة.

فالأقلام ورثت عن الثقافة الجديدة، التوجه نحو الجامعة للاستحواذ على الأقلام المؤهلة للكتابة، والتي تدفعها الرغبة والحاجة إلى النشر والتأليف والتأثير. وكان لابد لها أن تؤكد هوية النظام الذي تنتمي إليه، على الرغم من أن سكرتير التحرير كان يتصل بنا، ونحن لم نزل طلبة للتأليف والمشاركة والاتيان بالأفكار والتيارات الجديدة. كما أنها كانت تدرك حجم المنافسة، التي أخذت بالتزايد بعد إطلاق سراح مجموعة من المثقفين الشيوعيين الذين شغلوا الصحافة الأدبية، ونشروا مقالات ومسرحيات وقصصًا لكتّاب لم تتمكن الأقلام من بلوغهم بعد. وبعضهم خاض في مناقشات مهمة تخص الثقافة الثورية ومفاهيم غرامشي

وآراء علي الوردي في المجتمع والشخصية العراقيين. ومثل هذا التنافس سيكون له أثره في انفراط السلالة، سلالة النسب، في مجموعة سلالات تبنى على أســاس التخصص بديلاً عن انتمــاءات الكتّاب. وهذه قضية مهمة جدًا عندما نريد البحث في موضوع المجلات الثقافية.

ولكن هل يتم هذا الانفراط في ســلالة النســب على نحو عشــوائي؟ دعونــا نحدد معنى الانفراط على أنه توزع العائلة الأم إلى مجموعة من العوائل حسب التخصص. فإذا كانت الأقلام في بداياتها (١٩٦٤) تجمع التراث والمعاصرة، المســرح والقوالب القديمة في الشــعر، والتاريخ مع الجغرافيا، والعروبة والإســلام، وألفاظ البنان مع دراســة في الفحولة، وتســعى لضمان مشاركة اســم عربي على الأقل في كل عدد تماشيًا مع رايتها القومية، فإن هذا الجمع لا يمكن أن يســتمر طويلاً. وحالما حلت ١٩٦٨، ومعهــا انقلاب الأفكار والنظام اثــر ١٩٦٧، وظهور قيادة البعث لمجموعة الجبهة الوطنية، تغيرت خارطة المجلات، وانبعثت سلالات عدة من داخل السلالة القديمة، أي سلالة الأقلام:

فظهرت مجلة المورد ســنة ١٩٧١، والتراث الشــعبي ١٩٧١، والطليعة الأدبيــة ١٩٧٥، وآفــاق عربية ١٩٧٥، والثقافــة الأجنبية ١٩٨٠. ويمكن أن يكــون ظهور المجلات محض مصادفة، أو عبارة عن اســتجابة لرغبة مجموعة من الأدباء أو مبادرة شــخص ما. ولكننــا نخطئ كثيرًا عندما نتحدث عن (الوعي) الفردي، أو (الجماعي) على أنه مقطوع عن تعددية الســلالة في لحظة تاريخية ما. وما يســميه بيير بوردو بالطباع المؤلفة، لا يعــدو أن يكون وليد مجموعــة من العوامل، التي تلعــب فيها التربية والثقافة والظروف العامة دورًا حاســمًا تكوينًا وتمثيلاً ودورًا: فالانقلاب الجــاري أراد فعلاً مجموعة من التغييرات علــى أصعدة الحياة العامة، وهي تغييرات رآها النظام وثيقة العلاقة بثقافة غير دينية وغير تقليدية: أي أنها ثقافة علمانية أولاً ترعى التراث الشعبي و(الرفيع) حسب مبادئ أخرى، كما نتبين بعد حين: وليس غريبًا أن ينصب التفكير على تشــكيل وإصــدار مجلتين تســتكملان الأقــلام وتتيحان لها اختطــاط (حداثة) ثقافية، علمانية طلائعية أولاً. وهكذا كان صدور المورد كتأســيس تراثي رصين يستكمل أيضًا ما تقوم به مؤسسة الآثار من إصدار متمثلاً بمجلة

سومر، أما (التراث الشعبي) فتمثل إصداراً رغبة (ثورية) مزدوجة لمجاملة (الجماهيــر) ورغباتها وفنونها، واحتواء هذه الرغبات وتمثيلها وعرضها على أنها مخزون قابل للانقراض، أو على وشــك ذلك في ظل التغييرات المرتقبــة على صعيد التحولات الداخلية. إن التراث الشــعبي تســتكمل المتحف العراقي بالنسبة للآثار القديمة: إنها خزين مدوّن للموروث.

لكــن المورد تمتلك دورًا آخر. إنها الجســد الموصــل لأطراف التاريخ الثقافي العربي. فهي لا تخص العراق وحده، كما تفعل التراث الشــعبي، وعنايتها بالموروث تشــمل التاريخ واللغة والأدب، وهي عناية لا نهاية لها لأنها تفتح أفقًا واســعًا أمام تحقيق النصوص، لاســيما القصيرة منها، والتـــي قد لا يجد المحقق مجلة مســتعدًا للعناية بها، أو دارًا متخصصة لنشرها وتوزيعها.

ولكن دعونا نرى رســالة المــورد في عددها الأول لنـــدرك آفاق هذه الرسالة ومداها وطموحاتها وأهميتها.

كان رئيس تحرير المورد ســنة ١٩٧١، أي ســنة تأسيسها، هو الوزير، الشـــاعر شفيق الكمالي، والذي كتب (مع المورد) في تقديم المجلة لنخبة معينة من القراء. وكتابته عبارة عن إيضاح لمعنى العناية بالتراث وتوظيفه ليصبح رافدًا حياتيًا. وهو في ذلك يمثل أيضًا تفضيله الشخصي لمفهوم التراث على أنه امتزاج ووســطية بين فاعلين. يقول: (في كل عطاء أدبي أو فكري جديد بعد زمني وصدى تاريخي يشير إلى جذور عميقة، ويربط بينه وبين تراثه. وتتحقق هذه العلاقة بين الماضي والحاضر، بين القديم والجديد، ســواء أكان موقــف المحدثين إيجابيًا أو كان موقفهم ســلبيًا، فالإيجار استمرار، والســلبية تحدد. والحضور... حضور الأسلاف في كليهما وارد في كليهما، ذائب كذوبان الســكر في قدح من الماء - ص٣/ العــدد الأول). أما اهتمامات المجلــة وموضوعاتها فهي (تعميق العلاقة الجدلية بين التراث والفكر المعاصر)، ولهذا فالوزارة (تعتبر إصدار مجلة غنية تعنى بالمخطوطات والدراســات القديمة، وتتخصص بها، مساهمة لابــد منها للدفاع عن شــخصية المواطن الحديث وحمايــة أصالته من التبعية والاهتزاز - ص٤).

هذا الموقف الأيديولوجي - إذن - يرى حضور المجلة لابد منه للحيلولة

دون انحرافات محتملة تأتي بها الأفكار والمناقشـــات في مجلات أخرى، وبضمنهـــا الأقـــلام. ولهذا يمضي حميد العلوجي، الذي ســـيكون العلم الرئيســـي في إغناء المجلة وتحريكها، في تقديم رأي مكمل يفســـر على الأقـــل هنا التراث على أنه غنى فعلي يســـتحق أن يوفر (الحماية)، التي نـــوه بها رئيس التحرير بحماس المبشـــرين. فيكتـــب حميد العلوجي عن دور المجلة كأنها ســـلاح (هذه المجلة... وعتادهـــا). ويصف تركة العرب كما يلي:

(وراء تلـــك التركـــة عقلية ثقافيـــة ثاقبة اســـتطاعت أن تتغلغل حتى الأعمـــاق وأن تتشـــامخ على القمـــم: عقلية ولدت ما يســـمى بالتجربة الشـــعرية، وكشـــفت عن طبيعة الواقع الجمالي، وتمادت في التخاشـــع الصوفي، وعايشـــت الفن والعلم والأخلاق، وجادلت بالتي هي أحســـن، وغنت للإنســـان في غـــده الضاحك، وهذا كله جدير بـــأن يكون للمورد عتـــادًا في حياتـــه، التي أرجو ويرجو معي مـــن أدرك ضرورة الارتباط بالتراث أن تكون عريضة مديدة حافلة بما ينفع ويفيد - ص٥).

ولتقـــديم تصوّر أدق عن المورد، والذي سيســـم أغلب أعدادها، دعونا نختـــر محتويات العدديـــن الأول والثاني من مجلدهـــا الأول، والعددين المماثلـــين من مجلدها الثاني، لنرى شـــخصية المجلة: فالمحتويات تحوي بابًـــا للأبحاث والدراســـات، وبابًا للنصـــوص التراثيـــة، وآخر لفهارس المخطوطات، ثم يأتي باب العرض والنقد والتعريف، والنتاج الجديد.

المحتوى

العددان الأول والثاني ١٩٧١/ المورد

مع المورد... للأستاذ شفيق الكمالي ٣ - ٤

هذه المجلة وعتادها... عبدالحميد العلوجي ٥ - ٦

الأبحاث والدراسات

الكاتب العربي الطوبائي... الدكتور منذر البكر ٩ - ١٢

مقدمة في الشعر الصوفي... طراد الكبيسي ١٣ - ٢٦

الدرهم الحمداني... مهاب درويش البكري ٢٧ - ٤٦

هل يعـــزف النغم الدفين في كتاب الأغاني.. الدكتور داود ســـلوم ٤٧ - ٥٠

وستأخذ الأبحاث والنصوص المحققة مجالاً أكبر في السنوات

القادمة مع انتشــار التعليم الجامعي وكثرة الرســائل الجامعية، وتعاون المجلة مع الدارســين العرب. لكن الذي لا بد من ذكره، أن انفتاح العراق في الســبعينيات والثمانينيات على المثقفين العرب صادف آمرين مهمين آخريــن يخصان تقهقر الوضع الثقافي والسياســي في عدد من البلدان العربيــة ممــا أدى إلى حرص المثقفــين العرب على ضمــان حضورهم الثقافــي في رقعة أخرى، تمثلت بالمجــلات الثقافية التي فتحت آفاقها وصفحاتها لمشاركاتهم.

وينطبق هذا الأمر بشــكل آكيد على الأقــلام والمورد والطليعة الأدبية وآفاق عربية والثقافة الأجنبية.

أما العامل الآخر فيخص سياسة العراق السياسية التي أتاحت مثل هذا الانفتاح الثقافي: فالعراق السبعيني والثمانيني كان يسعى لضمان ساحة عربية واســعة وإيجابية متفاعلة مع تطلعاته لأحكام الثقافة القومية من جانب وتعزيز الصفة الإسلامية الشكلية لهذه التطلعات استعدادًا لحربه مع إيران. وما كان غائبًا عن الثقافة القومية سرعان ما أخذ يظهر بشكل أختام ســريعة متفرقة في الكتابات (التراثية) والدراســات (القرآنية) وغيرهــا كلما جــرى ضرب الجماعات الدينية في الداخل أو اســتخدم ذلك تباعًــا لتحجيم الظواهر الدينية والطقوس الشــعبية وكذلك لهدم الانتمــاءات العاطفيــة الدينية لبعض الأفراد داخــل دفة الحكم تمهيدًا لطرحهم خارج الواجهات الرسمية.

ويتضــح هذا الأمر بجلاء أكبر في إصدارين آخرين، يتفاوت أحدهما كثيرًا مع بقية المجلات، أي إصدار آفاق عربية، والذي سيكون آخر هذه المجلات قراءة وذكرًا في هذا العرض.

فالطليعة الأدبية التي صدرت عام ١٩٧٥ مثلت أيضًا خروجًا من رحم الأقلام، ذلك لأنها تعنى بنتاجات الشــباب أولاً. وكان رؤســاء تحريرها، لاسيما أمجد توفيق، ينتمون إلى شريحة الأدباء الشباب. وعلى الصعيد الحياتــي/ الثقافي كانت الدولة تبذل عناية خاصة بالشــباب. كإصدار نائب رئيس الدولة، ورئيســها بعد حين، كرأســين لهــذا الغرض بعنوان (نضمن الشباب لنكسب المســتقبل) وعدا الحقيقة السكانية التي تشير إلى أن الشــباب يشــكلون حينذاك قرابة ٥٥٪ من الفئــة العمرية ١٢ -

٣٠ سنة، وأنهم يمكن أن يكونوا النواة الفعلية لعمل الدولة السياسي الاجتماعي، فإن الشباب يمكن أن يكونوا الخميرة المستقبلية للمجتمع في ظل الحركة الجديدة التي مثلتها اتجاهات ثورة تموز (يوليو) ١٩٦٨.

إنهم يمكن أن ينتفعوا من فرص التعليم والعمل ويستقلوا عن اتجاهات مجتمعاتهم المختلفة ليكون عجينة محتملة. وعلى الرغم من أن السنوات التالية، لاسيما سنوات الحرب، أفصحت عن تقاطعات كثيرة في قطاعات الشباب، إلا أنهم أصبحوا فعلاً مادة الدولة ومجالها الأساس للتأثير والاستخدام وفي مجال الآداب والثقافات تمثل تطلعاتهم وتجريباتهم مخاضًا آخر مختلفًا عما درج عليه الكبار في المجلات التي اتخذت خطًا أكثر استقرارًا واحترافًا وتوافقًا مع ما هو سائد.

وما لا يمكن أن يظهر في الأقلام أو في المورد يمكن أن يجد مجاله في الطليعة الأدبية، وكذلك في سعي محرريها للتعديل والتشذيب والتحرير وملاقاة الكتاب الشباب والتحاور معهم حول قضايا مختلفة تخص الأسلوب والمادة. وظهرت مهارات شابة كثيرة من داخل الطليعة الأدبية، وكان بعضها قد فاز بجوائز عديدة وأصبح لامعًا بعد حين، بينما انشق آخرون، كجنان جاسم حلاوي وحيدر الكعبي، وغادروا البلاد ضمانًا لاستقلالية ينشدونها.

والطليعة الأدبية لهذا السبب لسيت محطة اعتيادية بين المجلات العراقية، فقد كانت نافذة شابة متطلعة إلى النتاجات الجديدة التي يكتسبها الشباب.

لكن مجلة آفاق عربية لها شأن مختلف. إنها تمثل أولاً استجابة لرغبة المرحوم شفيق الكمالي الذي رحل عن الوزارة ليحل السيد طارق عزيز بديلاً عنه. ولم يزل السيد أحمد حسن البكر رئيسًا للبلاد حينذاك. وبحكم العلاقة التي تربطهما استجاب الرئيس البكر لهذه الرغبة في أن يقيم مؤسسة مستقلة، بمطابعها وعدتها وموظفيها، لها قانونها الخاص، ويحتفظ رئيس مجلس إدارتها بصلاحيته الخاصة التي لا تربطه بالوزارة. وستستمر هذه الحالة لحين رحيل الرئيس البكر وإعادة ربطها بقانونها بالوزارة ضمن علاقة استمرت غائمة لاعتقاد الوكلاء المتعاقبين أن المؤسسة تشبه المديريات العامة داخل الوزارة. والقانون الذي تشكلت

آفاق عربية بموجبه هو قانون جريدة الثورة كمؤسسة مستقلة، مع بعض التعديلات التي تتوافق مع طموحات السيد شفيق الكمالي، شاعرًا ورسامًا وهاوٍ أيضًا!

وجمع رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير نخبة حسنة من الفنانين كضياء العزاوي والطباعين كهاشم سمرجي، والشعراء كيوسف الصايغ، وآخرين.

وسعت المجلة أن تستجيب لرغبات رئيس التحرير فنًا وشكلاً وتوجهًا أيضًا: فهي مجلة تعنى بالشكل الطباعي، والدراسات، والفنون، وتقيم علاقة باليسار، لكن عمادها الفعلي قومي أولاً. وهويتها التاريخية قومية أيضًا.

وكما أشير من قبل لا يمكن أن يكون توجه شخص ما، أو المجموعة المحيطة به التي شجعت مشروعًا ما وشاركت فيه، ضربًا مستقلاً من التطلعات. فكل رغبة تطمح إلى بلوغ (المجال العام) وتريد لنفسها مثل هذا المجال تنطلق من وعي بحاجة ما. فلم تكن هناك مجلات كثيرة منافسة إلا مجلة واحدة نشيطة وجيدة، هي مجلة المثقف العربي التي كان سكرتيرها (لطيف السعدون) ثم (أرشد توفيق) يحرصان على جعلها مثيلة للكاتب المصرية التي يرأسها أحمد عباس صالح. وأدرك السيد شفيق الكمالي أن هذه المجلة تتقاطع مع مشروعه فألغى امتيازها بصفتها مجلة تصدر عن الوزارة. ومجرد الوعي بهذا التقاطع يعني أن آفاق عربية لم تكن مجرد رغبة شخصية طارئة. إنها رغبة تمثل استجابة لظرف راهن، واحتوت داخلها فئات اليسار والبعث والقوميين العرب وبعض الأسماء التقليدية أيضًا. واعتمدت لوحات الفنانين العراقيين أيضًا، وجعلت حضورهم فيها شرطًا من شروط هويتها، لكنها سرعان ما اصطدمت بمشروع آخر خرج من رحم دائرة المخابرات، هو مشروع مجلة كانت فنون عربية تريد أن تكون بديلاً عصريًا لمجلة حوار البيروتية التي اتهم رئيس تحريرها توفيق صايغ بالعمالة للمخابرات الأمريكية. وليس غريبًا أن تستعين فنون عربية بطاقات خمسينية معروفة وكفاءات نادرة كجبرا إبراهيم جبرا وبلند الحيدري وعشرات الأسماء الفنية والأدبية والمعمارية التي تمتلك رهافة ما وذوقًا رفيعًا. إنها تسعى لتكون محطتها

لبلوغ الثقافة الأرســتقراطية واختراقها. لا ســيما وسطها اللندني، وهو أمــر لم يكن واضحًا ضرورة في أذهــان العاملين. وإذا كان كذلك فإنهم ليســوا بصدد مناقشته أو الاختلاف معه، وليس غريبًا أن ينشأ التصادم بين المرحوم شفيق الكمالي وبرزان التكريتي حول هذه المنافسة وعشرات غيرهــا. لقد أخذت فنــون عربية من حصة آفاق عربيــة، بين الفنانين والمؤرخين والأدباء.

لكن آفاق عربية تأخذ منذ ١٩٨٣ اســتقطاب جماعات أخرى لم تكن خــلال العقــود الثلاثة المنصرمة شــريكة في الحياة العامــة: ومن هذه الجماعات ثوار ١٤ تموز ١٩٥٨، وواجهات الأحزاب في العهد الملكي. وكما استقطبت أســماء عربية كثيرة، ووظفت أرباحها منذ ١٩٨٣ لاستضافة الأدباء العرب ونشــر نتاجاتهم ودعم ندواتهــم. ولكن أرباحها الطباعية دفعت الوزارة إلى توريطها بإصدار بقية المجلات عن موازنتها الخاصة، وهو أمر مريك لمشــروعها وكذلك لخطتها الأســاس لتركيز اهتماماتها الثقافية والتاريخية والمعرفية.

ومهما يكن، فإن المجلات العراقية مثلت واجهة عربية نشيطة، لاسيما في فترة تعرضت فيها مناطق الإصدار الثقافي إلى شلل نسبي في مصر ولبنان، وكان حضور المجلات وكثرة استقطابها الثقافي رافدًا مهمًا، ليس للوعي الثقافي العراقية والعربي فحسب ، ولكن أيضًا للتطلعات المختلفة داخل الفئات العراقية المنظمة كالقوات المسلحة التي احتوت عددًا كبيرًا من الخريجين الذين خضعوا للخدمة الإلزامية.

وعلى الرغم من أن الحصة (الأيديولوجية) المتفقة مع الشروط الرسمية تأخذ حيزًا في بعض الأحيان لضرورات مختلفة لا تمثل سياسة الإصدار ضرورة إلا أن ميل المجلات إلى شــراكة فكرية وتعبيرية واســعة جعلتها واجهة معرفية ليســت اعتيادية. وهي بالإضافــة إلى الكتب والمؤتمرات والندوات تمثل النشاط الثقافي لا للدولة الوطنية فحسب ولكن للمثقفين أيضًا الذين يسعون إلى تقديم ما هو جديد أو تحريضي أيضًا تحت شتى العروض والدعاوى. ولهذا ظهرت مجموعة من السمات الكتابية المتكررة في المجلات العراقية، يمكن إجمالها كما يلي:

١ - اســتخدام المداخل وعبارات الاســتهلال كتبرير لما هو تحريضي

أو انتقـــادي ضمنًا كما هو حـــال ندوات ١٤ تموز في آفاق عربية (١٩٨٣ - ١٩٨٥)، أو الملفات الخاصة في مجلة الأقلام عام ١٩٨٩ - ١٩٩٠.

٢ - الإكثار من الترجمة والعروض الفلسـفية التي تتيح منفذًا أوسـع للثقافة خارج الحدود التي يرسـمها بعض الدعـاة حبًا بمضايقة بعض المشـرفين على المجلات أو الواجهات الثقافية. وتتعزز هذه المناقشـات كالتي حفلت بها آفاق عربية عن ميشيل فوكو ودريدا مثلاً بما تتخصص به مجلة الثقافة الأجنبية (١٩٨٠) التي تركزت عنايتها على الترجمة.

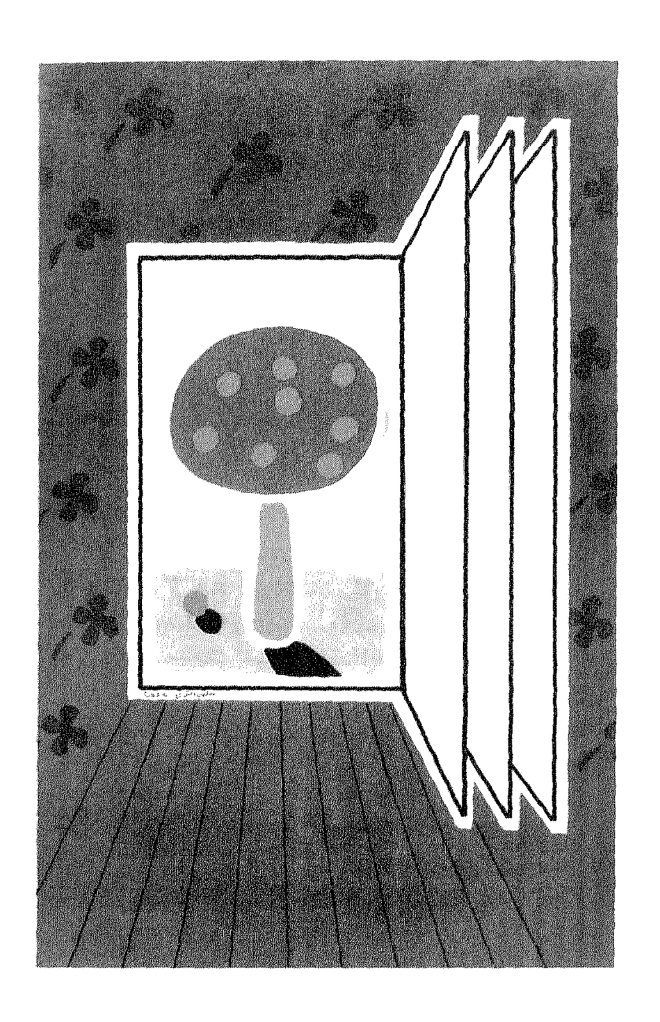
٣ - التوسع في نشر الكتب المحققة، لاسيما تلك التي تنتج أفقًا تراثيًا أوسع، كما فعلت المورد طيلة الثمانينيات.

٤ - تأكيـد دور الثقافـة الخمسـينية مجددًا لما فيها مـن قدرة فنية وانتقادية عالية.

٥ - دعم أدباء القصة القصيرة الذين اختطوا جادة فريدة على أصعدة الكتابة الفنية والاختراقية لمتاريس البلاغة الإعلامية.

٦ - الإكثـار من الندوات لضمان تعددية صوتية تتيح الاجتهاد وتبادل الرأي واختراق واجهة الصوت العليم الواحد.

وبمقدور المرء أن يمضي في ذكر مواصفات أخرى تفصيلية، ولكن لكل مقام شأنه من مقال.



المحور الثاني

المجلات الثقافية النوعية

- د. قاسم عبده قاسم
- أشرف أبو اليزيد
- خالد عزب

المجلات التاريخية في الوطن العربي

د. قاسم عبده قاسم *

هل أسـهمت «المجلات التاريخية» في إثارة الوعي وشاركت في تحريك السـاحة الفكرية التي عانت الركود زمنًا طويلاً في العالم العربي؟

هذا السـؤال أول ما يطرأ على الذهـن عندما يرد الحديث عن المجـلات التاريخية في العالم العربي. ويسـتدعي هذا السـؤال، بالضرورة، أسـئلة أخرى جوهرية عن مدى ما حققته هذه المجلات والدوريات المتخصصة في الدراسـات التاريخيـة في مجال تقدم هذه الدراسـات على المستوى الأكاديمي، ومدى ما قدمته للباحثين والمؤرخين من خدمات لتطوير مجال دراسـتهم. المهم أن نشير هنا إلى عدة حقائق أساسـية تتعلق بهذه المجلات: أولها أن «عمر» هذه «المجلات التاريخية» في الحيـاة الفكرية والثقافية العربية عمومًا قصير بالقياس إلى «السوابق» و«النماذج» الأوروبية التي حاولت هذه المجلات تقليدهـا، وثانيتها: أن التوزيع المحدود جدًا لهذه المجلات

* أكاديمي من مصر

والدوريات كان مقصورًا، في أحســن الأحوال، على الدوائر العلمية والأكاديميــة في مجال البحث التاريخــي، وثالثة هذه الحقائق، أن هذه المجلات والدوريات - حتى بعد تكاثرها - ظلت رهينة المحبين: ضعف الإمكانات المادية وضآلة عدد الجمهور الذي يطلبها.

وإذا كان مــن المتفق عليه بصفــة عامة أن مهمة المؤرخ أن يحاول العثور على إجابة الســؤال الذي يبدأ بالكلمة السحرية «لماذا؟» فإن محاولــة تطبيق هذه الفكرة أيضًا تســتوجب النظــر إلى المجلات والدوريــات ذاتها في الوطن العربــي من ناحية، ومدى وعي الناس بحقائــق تاريخهم - في خطوطها العريضة على الأقل - من ناحية أخرى. بيد أن الإجابة على الســؤال المطروح، والأسئلة التي تولدت عنه، تســتحق منا أن نلقي نظرة على المسرح الذي ولدت فيه أولى «المجــلات التاريخية» فــي العالم العربي، والتي باتت «الســابقة»، و«النموذج» الــذي قلدته المجلات التاريخيــة الأخرى التي ظهرت وكأنها من أفراخ المجلة الأم، مع استثناءات قليلة هنا وهناك.

كان ذلــك المســرح الــذي وُلدت عليه فكــرة «المجلــة التاريخية المصرية»، وتجسدت على خشبته واقعًا حيًا ملموسًا، يتسم بالإثارة والصخب من حيث الأحداث التي تجري ومن حيث الإطار العام أو المشهد العام الذي جرت فيه هذه الأحداث على السواء. وكان ذلك كله من نتائج الظروف التاريخية الموضوعية التي جرت على العالم العربي طوال القرن التاســع عشــر وفي بدايات القرن العشــرين. إذ كانت حركة الاســتعمار الأوربي قد أحكمت قبضتها على ســائر مناطق العالم العربي وأقاليمه إبان ذلك القرن. واقتسمت عدة دول استعمارية أوربية كعكة العالم العربي فيما بينها، وأعادت تقسيمها وتوزيعها فيما بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية.

لقــد كان الاحتلال واقعًا جديــدًا غريبًا ومثيرًا بالنســبة لأبناء الوطن العربي، وكان الأمر بالنســبة لهم يختلف بشــكل جذري عن الواقــع الذي ألفوه فــي ظل الحكم العثماني منذ القرن الســادس عشــر. إذ إن قوى الاحتلال الأوربي كانــت «العدو» التاريخي الذي عرفه التراث التاريخي العربي متراجعًا ومهزومًا إبان حركة الفتوح

الإسلامية، وفي غمار أحداث الحروب الصليبية، وكان انتصاره في الأندلس قريب العهد، وفي مناطق نائية. ومن ناحية أخرى، كان ذلك الاحتلال الأوربي حدثًا غير مسبوق بالنسبة لأبناء المنطقة العربية، ومنذ بداياته الأولى في القرن التاسع عشر حرّك المياه الراكدة في بحيرة الثقافة العربية. وقد تمثل صدى هذا في شتى صنوف الاستجابات الثقافية والفكرية. ولم يكن التاريخ استثناء من ذلك الحال، بل ربما كانت الكتابات التاريخية هي الأبرز من بين هذه الاستجابات بسبب طبيعة التاريخ ذاته، وعلاقة الإنسان بالتاريخ.

فالتاريخ ممارسة ثقافية مفتوحة أمام الجميع. ودراسته لا تحتاج إلى تدريب خاص أو تمرينات معقدة، وإنما تحتاج إلى مهارات بسيطة يمكن لأي إنسان اكتسابها بقليل من الجهد الذاتي، ودون مساعدة خارجية متخصصة (ويبقى أن ما يميز مؤرخًا عن آخر هو الموهبة والقدرة على تلمس الحقائق من بين المصادر».

ولعل هذا كان السبب في أن الكتابات التاريخية التي ظهرت آنذاك كانت كلها مكتوبة بأقلام مفكرين لم يتخصصوا - بشكل أو بآخر - في الدراسات التاريخية.

وهكذا، كانت أحداث الاحتلال في كل بلد من البلاد العربية، وما أدت إليه من نتائج والمقاومة التي كانت ردود أفعال لممارسات الاحتلال، وللاحتلال ذاته، والأفراد العاديون والقادة والزعماء الذين انخرطوا في أعمال المقاومة، والإدارة الاستعمارية، وما جرى في شتى مجالات الحياة من جراء وجود الاحتلال الأوربي، وما إلى ذلك - كلها فتحت مجالات جديدة للكتابة التاريخية العربية، وأفرزت موضوعات جديدة لم يعرفها تراث التدوين التاريخي في العالم العربي من قبل. بيد أن أهم ما حدث في هذا المجال تمثل في «الدهشة» و«الصدمة» التي عبّرت عنها كتابات عبدالرحمن الجبرتي عن الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١م)، وعلى الرغم من المبالغات المتكررة عن تأثير الحملة الفرنسية على الجانب الفكري والثقافي في مصر، فإن استمرار الهجوم

الاستعماري النشط، ثم نجاح الاحتلال منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشـــر في المغرب العربي (فرنســـا)، ثم ما حدث في بلدان المشرق العربي (إنجلترا وفرنسا وإيطاليا)، كان هو الذي ترك الأثر الثقافي الخطير في العالم العربي ضمن التأثيرات الأخرى.

من جهة أخرى، كان النشـــاط الصهيوني المحموم في فلســطين منذ بدايات القرن التاسع عشــر على الأقل، وثورات الفلسطينيين المتكررة، وممارسات ســلطات الانتداب البريطاني لصالح المشروع الصهيوني، طوال الفترة السابقة على «النكبة الكبرى» وإعلان قيام دولة إســـرائيل علـــى الأرض العربية في فلســطين - كل هذا كان من عوامـــل حفز البحث التاريخي ضمن الحركة الفكرية والثقافية العامة التي هبّت رياحها على كل مناطق العالم العربي.

باختصار، كانت الظـــروف التاريخية الموضوعية التي تعرض لها العالم العربي منذ القرن التاسع عشر وراء الحركة الفكرية والثقافية التي أفرزت في نهاية الأمر - ضمن إفرازات أخرى كثيرة على عدة جوانب - الدراســـة التاريخية الأكاديمية التي اســتوجبت بدورها ظهور المجلات التاريخية في معظم مناطق العالم العربي. فقد كانت الدولة العثمانية «الرجل المريض» في العيون الأوروبية الاســتعمارية النهمة، ولم تنتظر القوى الأوروبية وفاة المريض لاقتســام تركته، بل استولت على أملاكه قبل الوفاة بزمن طويل. ومن هنا جاءت «صدمة الاحتلال» موازية لصدمة أخرى على المســتوى الثقافي تعرض لها العرب الذين تم احتلال بلادهم في مشـــرق العالم العربي ومغربه. وقد تمثلت أهم نتائج هذه الصدمة الثقافية والفكرية بشكل إيجابي عندما انتبه العرب إلى أن هزيمتهم العســكرية والسياســية كانت نتيجة للفارق الحضاري الذي يفصل بينهم وبين الدول الاستعمارية الأوروبية التي احتلت بلادهم.

كما أدركوا أن العالم الذي ألفوه وعاشــوا في رحابه تحت الحكم العثماني قد ولّى زمانه إلى غير رجعة، وأن الأوروبيين ســبقوهم في مضمار الحضارة والتقدم بفارق كبير.

كان طبيعيًـــا أن يحاول أبناء النخب العربية في المشـــرق والمغرب

سدّ الفجوة الحضارية بينهم وبين الغرب الأوربي، مستفيدين من تجارب مهمة في هذا السبيل جرت في مصر والشام في عصر محمد علي باشا، ثم محاولات حفيده الخديو إسماعيل، والمحاولات الأخرى الموازية التي جرت في تونس أو سورية ولبنان أو العراق... أو غيرهما. ولأن أبناء النخب العربية أدركوا أن موازين القوة العسكرية، والتوازنات السياسية، والقدرة الاقتصادية، لم تكن في مصلحتهم (على الرغم من أن ذلك لم يمنع حركات الكفاح المسلح، ومحاولات تنمية القدرات الاقتصادية، ومناورات الحركة السياسية) فإن فريقًا منهم اختار النضال في مجال الفكر والثقافة والعلم. وعلى الرغم من أن النضال السياسي والكفاح العسكري كان الأعلى صوتًا، فإن نضال أبناء النخب العربية في مجال الفكر والثقافة والعلم كان أبقى أثرًا من ناحية، كما كان دعمًا وسندًا للكفاح المسلح والنضال السياسي من ناحية ثانية، فضلاً عن أن نتائجه ظلت قائمة على الأرض العربية حتى بعد رحيل الاستعمار من ناحية ثالثة.

لقد كان النضال الثقافي والفكري والعلمي من جانب أبناء النخب العربية في جوهره بحثًا عن الخلاص، وسعيًا وراء الحل لأزمة التخلف العربي. ولكن اللافت للنظر أن هذا البحث وهذا السعي وراء الخلاص من السيطرة الأوربية كان في رحاب الفكر والثقافة الأوربية ذاتها. لقد كان بحث «المغلوب» عن حل أزمته عند «الغالب». فالمغلوب دائمًا مولع بتقليد الغالب، وهذه سنة تاريخية راسخة وحقيقية أيضًا. وكان طبيعيًا أن يحاول الباحثون عن الحل لأزمتهم أن يجدوا هذا «الحل» لدى أوربا. ومن هنا ذهبت البعثات، والأفراد، وأقيمت المؤسسات العلمية والثقافية - بل والسياسية - على غرار مثيلاتها في أوربا. فقد كانت المجلات والصحف، والمسارح ودور السينما، والندوات والمؤتمرات والاجتماعات، والجمعيات العلمية بشتى أنواعها، والجامعات - كلها تقليدًا محمودًا لنماذج أوربية. وتشهد مذكرات الرواد من المفكرين والباحثين والأدباء والفنانين العرب، ويومياتهم، عن الرحلة إلى أوربا بهذا القدر

الكبير مــن الافتتان بالحضارة الأوروبيــة، وتجليات الحياة الفكرية والثقافية هناك، ومدى الولع بتقليدها باعتبارها طريقًا للخلاص. كانت هناك - بطبيعة الحال - مظاهر سـلبية عديدة لتقليد أوربا، ولاســيما في مجال الســلوك الاجتماعي لأبناء الشرائح العليا في المجتمعات العربية، ولكن هذا ليس مجال اهتمامنا في هذه الورقة على أي حال.

كان أهــم هذه التجليــات الفكريــة والعلميــة والثقافية لنضال الشعوب العربية، إنشاء الجامعة المصرية في العقد الأول من القرن العشرين. وفي ظني أنه كان أهم حدث في التاريخ الفكري والثقافي فــي العالم العربي في العصر الحديث (لأن الجامعة المصرية كانت بــؤرة التفاعلِ الثقافي العربي، كمــا تربت فيها أجيال من المفكرين العرب، فضلاً عن أنها صارت نموذجًا أنشئت على مثاله الجامعات العربية الأولى في بغداد ودمشــق وغيرها، كما أنها خرجت أجيالاً من الأساتذة والمفكرين الذين ساعدوا على إنشاء جامعات كثيرة بعد ذلــك في مصر وغيرها من البلاد العربية) لقد تأسســت الجامعة المصريــة، بمبادرة أهليــة وباعتبارها أداة نضال ضد الاســتعمار البريطاني في مصر ســنة ١٩٠٨م، ثم تحوّلت إلى جامعة حكومية ســنة ١٩٢٥م، ويهمنــا هنا أن نركز على مــدى تأثير الجامعة على الدراســات التاريخية بصفة خاصة، مع اعترافنا بأهمية ما قدمته في المجالات الأخرى بطبيعة الحال.

كانــت كلية الآداب في الجامعة المصريــة، ثم جامعة فؤاد الأول، من أولى الكليات التي قامت الجامعة عليها، ومنذ بداية هذه الكلية حظيت الدراسات التاريخية فيها بحظ وافر، فقد كان قسم التاريخ واحدًا من الأقســام الخمسة التي ضمتها الكلية عند نشأتها. فقد ضمت كلية الآداب خمســة أقسام: التاريخ، واللغة العربية، واللغات الشرقية، واللغات الأوربية والفلسفة.

ويهمنــا في هذا المجال أن نشــير إلــى أن الدراســة التاريخية الأكاديميــة، بمعناها الحديث قد نشــأت للمــرة الأولى في العالم العربــي، بقســم التاريخ بالجامعة المصرية (جامعــة فؤاد الأول ثم

جامعة القاهرة)، وهو ما جعل الدراسات التاريخية تتعطف منعطفًا جديدًا في القرن العشــرين. بيد أن أهم نتائج هذا التحول الجديد في اتجاه الدراســات التاريخية، فــي رأيي، تمثلت في ظهور المؤرخ المحتــرف (أي الــذي يتخذ من البحث التاريخــي وتدريس التاريخ مهمة يكرّس حياته لها، ويكســب عيشه منها)، وعلى الرغم من أن هــذا لم يمنع ظهور مؤرخين موهوبين ممن لم يتخذوا التاريخ مهنة لهم، فإن ظهور «المؤرخ المحتــرف» للمرة الأولى في الحياة الفكرية العربية أدى إلى نتائج غاية في الأهمية. فقد بدأ يظهر بين صفوف المؤرخين المحترفين شعور بالذات جعلهم يتطلعون إلى تأكيد هويتهم من خلال الجمعيات التاريخية، والمجلات التي تحمل ثمار عملهم في مجال تخصصهم، رغبة منهم في التمايز عن زملائهم المتخصصين في فروع المعرفة الأخرى.

وربما يكون من المهم أن نشــير هنا إلى أن ظهور المؤرخ المحترف فــي الفضاء الفكري العربــي لا يعني بالضــرورة أن المؤرخين من خــارج الأكاديمية كانوا من الهواة حســبما ظن البعض. فالمؤرخ هو المؤرخ بغض النظر عن مهنته، وقدراته العلمية ومواهبه هي المعيار الوحيد لتميزه عن غيره.

مــن ناحية أخــرى، كانت إســهامات المؤرخين العــرب، من غير المحترفين (بالمعنى الذي أشــرنا إليه في الســطور الســابقة) في النصف الأول من القرن العشــرين، والمصريون منهم بوجه خاص، قــد حملت بصمــة المؤثرات الأوروبيــة في الفكــر التاريخي. ولكن كتابات أولئك المؤرخين لم تخضــع تمامًا لهذه المؤثرات لأن أنفاس التــراث العربي في مجال الكتابة التاريخية كانت مازالت تتردد في ثنايــا كتابات أولئك المؤرخين، الذين كانوا بمنزلة الجســر الواصل بين أصحاب الكتب والمؤلفات التاريخية في القرن التاســع عشــر، من أمثال عبدالرحمن الجبرتي، وعلي مبارك، ورفاعة الطهطاوي، وفيليب جلاد، ويعقوب آرتين، وســليم نقاش (في لبنان)، وميخائيل شارويم، ونقولا الترك.. وغيره من ناحية، والمؤرخين الذين تتلمذوا على أيدي الأوروبيين من ناحية أخرى.

وربما يكون مفيدًا في هذا السياق أن نشير إلى أن بداية الدراسة الأكاديميــة للتاريخ في العالــم العربي كانــت موصومة في بعض الفترات بتبعية هذه الدراسة لفكرة التاريخ الأوربي، وتقسيم الزمن التاريخي حســب الرؤية الأوربية. فقد ظل قســم التاريخ بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) تحت رئاســة الأســاتذة الأجانب، وتوجيههم، حتى ســنة ١٩٣٦م، وإن ظلت بصمتهم باقية حتى الآن في تقســيم العصــور التاريخية، وتنظيم مناهج الدراســة. ومــا نتج عن هذا، بطبيعة الحال، من مشــكلات مازالت الدراســات التاريخية تعاني منها في شتى أنحاء العالم العربي.

ومن ثم جاءت الدراســة التاريخية في مصر، وفي العالم العربي عمومًا، وكأنها فرخ من أفراخ الدراسات التاريخية الأوربية. وبغض النظر عن النتائج والآثار السلبية العديد لهذه الحقيقة «التاريخية»، فإن تأثير الأساتذة الأجانب كانت له جوانبه الإيجابية أيضًا.

فقد ظهرت في الأجيال التالية محاولات جادة لتعريب «التاريخ»: أي محاولــة «قراءة» التاريخ من وجهة نظر عربية ومصرية أســهم فيهــا المؤرخون المحترفــون وغير المحترفين معًــا. وظهر عدد من المؤرخين الذيــن كان طموحهم يدفعهم إلى محاولة بناء «مدرســة تاريخيــة» عربية يكون قوامهــا ذلك العدد المتزايــد من المؤرخين العرب «المحترفين» الذين تخرجوا من أقســام التاريخ في الجامعة العربيــة المتزايدة في كل قطر من أقطــار العالم العربي إلى جانب نفر من المؤرخين الذين كانت كتاباتهم تجديدًا مثيرًا ومفيدًا أفادت منه الدوائر الأكاديمية في مجال الدراســة التاريخية كثيرًا. وحاول الكثير من المؤرخين العرب تصحيح الأخطاء والخطايا الناجمة عن اتبــاع خطى المؤرخــين الأوربيين، والأخذ بمفاهيمهــم، وعدم فهم انحيازاتهم التاريخية.

كان إنشــاء الجمعية المصرية للدراســات التاريخيــة (الجمعية التاريخية الملكية) في النصف الأول من القرن العشــرين بالقاهرة أولى الخطوات الجادة والناجحة في هذا السبيل. وقد كان الفضل في إنشاء هذه الجمعية راجعًا إلى عدد من رواد الدراسات التاريخية

المصريين ولقوا مساندة مهمة من أبناء النخبة المصرية ولاسيما من أبناء الأسرة الملكية الحاكمة آنذاك. وكانت أهم أهداف هذه الجمعية ترقية البحث التاريخي، والعمل على تطور الدراسات التاريخية في العالـــم العربي. ومن الطبيعي أن تضم هذه الجمعية في عضويتها، على مدى أجيال متعاقبة، عددًا كبيرًا من المؤرخين العرب، والمهتمين بالدراسات التاريخية العربية. ومن ناحية أخرى، أصدرت الجمعية المصرية «المجلة التاريخية المصرية» لتكون أول مجلة مصرية عربية تحتضـــن جهود المؤرخـــين العرب في تطوير البحـــث التاريخي في العالم العربي من ناحية، ونشـــر ثمار الدراسة الأكاديمية من ناحية ثانيـــة، وإثارة وعي النخبة بتاريخها من ناحية ثالثة. وقد لعبت هذه المجلة دورًا مهمًا في ميدان الدراســـة التاريخية وفتحت صفحاتها للدراســـات الجديدة في فروع الدراســـات التاريخية الجديدة التي ارتادها المؤرخون والباحثون العرب.

ويكشـــف أي جهد إحصائي في فهارس الأعداد التي صدرت من «المجلـــة التاريخية المصرية» عن أن كتّابها من الباحثين العرب، على مرّ الأجيال، قد طرقوا أبواب البحث في التاريخ السياسي، والتاريخ الاجتماعي، والتاريخ الاقتصادي، والتاريخ العسكري، وتاريخ الفن، والتاريـــخ الفكري.. وهلم جرا. بل إن صفحات المجلة اســـتضافت البحـــوث التي تتنـــاول الآثار على اعتبار أن مجـــال التاريخ ومجال الآثار مرتبطان ارتباطًا عضويًـــا. وبالإضافة إلى هذا التنوع المثير فـــي الموضوعات التي ضمتها صفحات المجلـــة المصرية التاريخية، فإنها كانت تقيم في كل ســـنة حلقة نقاشية حول أحد الموضوعات المهمة ويتم نشرها في كتاب مستقل، ومن أهم ما أصدرته «الجمعية التاريخية المصرية» في هذا الصدد تلك المجموعات من الدراسات عن المؤرخين العرب عن الكتابة التاريخية العربية بشـــكل عام: فقد صدرت مجلدات مهمة عن ابن عبدالحكم، والمقريزي، وابن إياس.. وغيرهم. كما أن الدراسات التي تتناول مناطق التداخل بين التاريخ وغيره من فروع المعرفة، مثل الاجتماع، والسياسة والاقتصاد والفن والآثار وغيرها، لقيت المزيد مـــن اهتمام المجلة التاريخية المصرية

بحيــث ضمــت أعدادها على مر الســنين بحوثًا ودراســات كثيرة في هذه الميادين، بل إنها ضمت دراســات عن العلاقة بين الشــعر والتاريخ، والأدب والتاريخ بشكل عام بدأت تظهر على استحياء في هذه المجلة العريقة.

ولأن «المجلة التاريخية المصريــة»، تحمل جزءًا مهمًا من «تاريخ» الدراســة التاريخية في مصر، وفي العالم العربي بشكل عام، فإنها عكست التطورات الفكرية التي جرت على الساحة المصرية والعربية في النصف الثاني من القرن العشرين. إذ كان من الطبيعي بعد ثورة ١٩٥٢، وتصاعد المــد القومي العربي من ناحيــة، وبروز الاهتمام بالشــعب وطبقاته الفقيرة بشكل خاص من ناحية أخرى، أن يتجه البحث التاريخي بعيدًا عن المدرســة الليبرالية القديمة التي كانت تمجد الفرد الحاكــم، وتأخذ بنظرية البطل في التاريخ. وبدأ جيل المؤرخين الذي برز في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين يبحــث في أحــوال العمال والفلاحــين، وبدأت دراســات التاريخ الاقتصــادي والتاريخ الاجتماعي لأبناء هذه الطبقات تنتشــر على صفحات المجلة. ومن ناحية أخرى، أدى تصاعد المد القومي العربي إلى إعادة النظر في الكثير من المســلمات التي كانت سائدة بشأن التاريــخ العربي القديم، والحضارة العربية الإســلامية، والحروب الصليبيــة... وما إلــى ذلك. كما تنوعت الدراســات التاريخية من حيث الكيف تنوعًا كبيرًا، واقتحمت مناطق عديدة لم تكن مطروقة من قبــل. فقد ظهرت فروع الدراســات التاريخيــة واضحة جلية على صفحاتهــا وانعكس دورها الإيجابي علــى التنوع المذهب في موضوعات الدراســات التاريخية التي تناولتها رســائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات المصرية والعربية.

وقد شــهدت فترة السبعينيات من القرن العشرين تغيرات هائلة في البنى السياســية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في العالم العربي على اتساعه، إذ إن تلك الفترة التي بدأت بحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م شــهدت تحولات أيديولوجية عميقة، وظهور قوى سياسية واقتصادية منافســة للقوى السياسية القديمة في المنطقة العربية،

إلى جانب الانتعاش الاقتصادي الذي شهدته سنوات النصف الثاني من السبعينيات وما تلاها في جميع أنحاء العالم العربي، ومنطقة الخليج العربي على وجه الخصوص، وما أدت إليه من مشروعات تنموية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. وكان إنشاء الجامعات العربية بكثرة من أهم تجليات تلك التغيرات التي شهدتها المنطقة العربية منذ السبعينيات. وكانت النتيجة الحتمية لهذه الطفرة في أعداد الجامعات العربية، التي كانت حتى ذلك الحين محدودة العدد، ومقصورة على بعض البلاد العربية دون البعض الآخر، أن زادت أعداد مجال الطلاب في مرحلة ما قبل التخرج، وأعداد طلاب الدراسات العليا على السواء. ولم يكن مجال الدراسات التاريخية استثناء من ذلك بطبيعة الحال. ففي مصر، مثلاً، لم يعد الأمر مقصورًا على جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية، وإنما انضمت إليها جامعة الأزهر بفروعها العديدة - بعد تطويرها في ستينيات القرن العشرين - بالإضافة إلى الجامعات العديدة، التي تم إنشاؤها في العديد من المحافظات المصرية طوال الربع الأخير من القرن العشرين.

وعلى مستوى العالم العربي، شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن زيادة كبيرة في عدد الجامعات العربية في العراق، وسورية، ولبنان، وفلسطين، والأردن بالمشرق العربي، وجامعات المغرب وتونس والجزائر وليبيا في المغرب العربي، فضلاً عن جامعات السودان واليمن. أما منطقة الخليج العربي، التي كانت جامعة الكويت من أوليات جامعاتها الكبيرة والمتقدمة، فقد شهدت توسعًا هائلاً في إنشاء الجامعات بالسعودية، وسلطنة عمان، ودولة الإمارات، والبحرين، وقطر.

ولم تكن هذه الزيادة في أعداد الجامعات العربية مجرد زيادة كمية فحسب، بل أفرزت النتائج الكيفية الحتمية عندما بدأ خريجوها يدخلون الفضاء الفكري والثقافي والعلمي العربي، فاعلين ومتفاعلين في شتى نواحي الممارسات الفكرية والثقافية. وكان الباحثون في التخصصات التاريخية المختلفة من أبناء هذه

الجامعات هم الذين دفعوا بعرية الدراسات التاريخية العربية قدمًا في بلادهم. ومع تزايد عدد المؤرخين ودارسي التاريخ في هذا البلد أو ذاك من البلاد العربية تصاعد شعورهم بأهمية الدراسة، التي كرّسوا حياتهم لها، كما تصاعد شعورهم بالحاجة إلى رابطة ما تجمعهم في نوع من الوحدة العلمية أو الأكاديمية. ومن هنا ظهرت «الجمعيات التاريخية». وأخذت تصدر «مجلة» أو «حوليات» خاصة بها تتضمن بعض الدراسات التاريخية، ولكن هذا لم يكن كافيًا في نظر المؤرخين العرب في كل بلدٍ عربي (تجدر الإشارة هنا إلى أن جامعة الكويت كانت الأوفر حظًا في إصدار عدد من الإصدارات، التي حملت صفحاتها الدراسات والبحوث، التي أسهم فيها الباحثون العرب من كل مكان، ومنهم المؤرخون بطبيعة الحال).

فمن اليمن إلى دمشق، ومن الخليج إلى المغرب، كانت هناك إصدارات بعضها تم تخصيصه للدراسات التاريخية الخالصة، على حين كانت بعض الإصدارات تضم كل الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

وهنا، يجدر بنا الوقوف قليلاً أمام تجربة المغرب العربي، ومنطقة الخليج العربي، باعتبارهما نموذجين دالين في موضوع المجلات التاريخية في العالم العربي.

فمن المغرب بدأت في أوائل سبعينيات القرن العشرين عملية تعريب كلية الآداب في الرباط. وكانت تلك الفترة مناسبة تمامًا لكتابة تاريخ المغرب بحيث بدأت آثار الميراث الاستعماري تزول (بعد أن ظلت البلاد تحت الاحتلال، أو الحماية. الفرنسية والإسبانية من عام ١٩١٢ إلى عام ١٩٥٦م حسبما يقول نيقولا ميشيل، الباحث بالمعهد الفرنسي للآثار الرقية بالقاهرة «نشأة المدرسة التاريخية المغربية». ١٩٩٥م. ص٤٧ وما بعدها). ولكن المغرب استطاع بفضل عدد من أبنائه الذين درسوا في فرنسا وضع أسس المدرسة التاريخية المغربية. بيد أن الثمانينيات من القرن العشرين، هي التي شهدت الازدهار الحقيقي في أحوال الجامعات. وانتشار كليات الآداب، وصار لكل كلية آداب وعلوم إنسانية مجلة خاصة بها، وقد

يضم كل عدد من هذه المجلات مقالاً أو مقالين في التاريخ.

بيد أن مـــا يلفت النظر حقًا، أن المجلـــة التاريخية المغربية حتى منتصف العقد الأخير من القرن العشـــرين، كانت تحمل اسمًا غير عربـــي Hesperis-Tamuda، وأكثر مقالاتهـــا مكتوبة باللغات الأجنبية، وعلى الرغم من حداثة المدرســـة التاريخية المغربية، فإن «المجلة» التي تحمل صوتهـــا لا تخاطب العالم العربي، ولا تتواصل معه (بشـــكل ملموس حتى الآن علـــى الأقل)، وهي في هذا الصدد تختلف عن تونس والجزائر. فالأولى قطعت شوطًا كبيرًا في تعريب مدرســـتها التاريخية مـــن ناحية. كما أن الجهـــود الباهرة للدكتور عبدالجليل التميمي في تونـــس، جعلتها تتفرد باثنتين من المجلات التاريخية المتخصصة في العالم العربي: إحداهما عن الدراســـات العثمانية، والأخرى عن الدراسات الموريسكية.

والمثـــال الثانـــي من منطقـــة الخليـــج العربي. فعلـــى الرغم من الإصدارات الكثيرة، التي تصدرها كليات الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بالجامعات الخليجية. فإن المؤرخين والأثريين من أبناء هـــذه المنطقة، نجحوا في تكوين جمعية علمية تضمهم هي «جمعية التاريـــخ والآثار بدول مجلس التعاون لـــدول الخليج العربية». وقد نجحـــوا أيضًا في إصدار مجلة تحمل اســـم «مجلة التاريخ للتاريخ والآثـــار». وقد صـــدر منها عددان حتى الآن بتمويـــل ذاتي تقريبًا. وعلـــى الرغم من أن الوقت لايزال مبكـــرًا للحكم على مدى فعالية هذه المجلة، فإنها يمكن أن تكون صوتًا حقيقيًا للبحث والدراســـات التاريخية في هذه المنطقة من العالم العربي.

ولست أظن أن هذين المثالين على جناحي العالم العربي يجسدان حقيقـــة ما يجري فـــي القلب، حيـــث المجلات التاريخيـــة العربية العريقة، ولكني لا أشك في أنهما علامتان على بداية يمكن أن تكون لها تداعياتها الإيجابية القوية على إثارة الوعي بالتاريخ من ناحية، والتواصل مع الأصـــوات التاريخية الأخرى في المنطقة العربية من ناحية أخرى.

وإذا كنـــا قد تحدثنا حتى الآن عن المجـــلات التاريخية الصادرة

عـــن جمعيات المؤرخين بشـــكل عام. فإننا يجب أن نشـــير إلى تلك المجالات التاريخية، التي تصدر عن العديد من أقســـام التاريخ في الجامعـــات المصريـــة والعربية.كما أن مراكز البحوث والدراســـات التاريخيـــة. (التي لايزال بعضها مســـتمرًا وتوقف بعضها الآخر)، أصـــدرت مجلات خاصة بهـــا. ومـــن ناحية أخرى، فـــإن «اتحاد المؤرخـــين العرب» (الذي كان مقره في بغداد، ثم انتقل إلى القاهرة بعد عدوان صدام حســـين على الكويت)، مازال يصدر مجلة بعنوان «المـــؤرخ العربي». وخلاصة القول إن المجلات التاريخية العربية قد شـــهدت نوعًا من «التكاثر» الشديد في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، والسنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين. وقد أدى هذا «التكاثر» إلى نتائج إيجابية على المستوى الكمي من حيث إتاحة الفرصـــة لمزيد من الباحثين والمؤرخين العرب لنشـــر نتائج بحوثهم ودراســـاتهم. كما أتاح مساحة أرحب للدراسات في الفروع المتنوعة للدراســـات التاريخية. بيد أن الســـؤال يطرح نفسه عن مدى نجاح هذه المجلات في التواصل مع عامة المثقفين وأبناء النخب الفكرية، فضلا عن نجاحها في الوصول إلى القارئ العربي العام.

وإذا كنّـــا قد بدأنا حديثنـــا بالمجلة التاريخيـــة المصرية، فإن ما حققته هذه المجلة من نجاح طوال مسيرتها يكاد أن يتوقف الآن لأن هذه المجلة العريقة لاتزال حتى الآن تســـير على الخطوط نفسها، التي قامت عليها منذ إنشـــائها، فلم تتغير بنيتها التحريرية، وعلى الرغم من أن «المجلة التاريخية المصرية»، نشـــرت بحوثًا قيمة على مدى تاريخها الطويل، فإن حركتها العلمية ظلت أسيرة الفلك الذي أراده لها مؤسسوها منذ أكثر من نصف قرن مضى.

ولأن العدد الأكبر من المجـــلات التاريخية العربية قد صدر على غرار «المجلة التاريخية المصرية»، ســـواء المجـــلات، التي تصدرها أقســـام التاريخ في مصر، أو المجلات التاريخية الصادرة عن اتحاد المؤرخين العـــرب (القديم والجديد) والجمعيات التاريخية العربية. فإنها ظلـــت تدور في فلكها، ولم تســـتطع أن تخرج مـــن جلبابها. وتفسير ذلك أن البنية التحريرية لهذه المجلات ظلت قائمة على نشر

البحوث والدراسات في مختلف فروع الدراسات التاريخية: سواء على أساس التقسيم المصطنع للزمن التاريخي وعصوره: العصور القديمة، والعصور الوسطى، والعصور الحديثة والمعاصرة)، أو على مستوى التقسيم النوعي (التاريخ السياسي، والتاريخ الاجتماعي، والتاريخ الثقافي... وما إلى ذلك)، ثم أخبار الندوات والمؤتمرات وعرضها. وربما دراسة أو عرض لبعض الكتب.

وأبادر إلى القول إن هذا ليس عيبًا، ولكن تكراره في جميع المجلات هو العيب العلمي. إذ يلفت النظر في هذه المجلات جميعًا أنها نسخ تكرر بعضها بعضًا، ولو أنك نزعت العنوان الدال على جهة إصدارها لما وجدت فروقًا، جوهرية أو ثانوية بينها. فكلها تقريبًا تنشر الموضوعات نفسها. والبحوث والدراسات في شتى فروع الدراسات التاريخية. وفي مختلف العصور التاريخية. في مزيج يشبه المزيج الذي بدأت به «المجلة التاريخية المصرية»، منذ عشرات السنين، وليست هناك مجلات أو دوريات تاريخية متخصصة في فترات تاريخية معينة (باستثناء حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، التي أصدرتها مجموعة من المؤرخين المصريين في ثمانينيات القرن العشرين، ولاتزال تصدر بجهود عدد من شباب المؤرخين، ومجلة الدراسات العثمانية، ومجلة الدراسات الموريسكية اللتين سبقت الإشارة إليهما)، ولا توجد حتى الآن مجلة عربية متخصصة في أحد فروع العلم التاريخي. إذ يمكن للمرء أن يعدد عشرات المجلات المتخصصة في التاريخ الاجتماعي أو التاريخ الاقتصادي، أو غيرهما في أوربا والولايات المتحدة وكندا، وهناك مجلات ودوريات متخصصة في تاريخ الحروب الصليبية، أو الدراسات البيزنطية، أوالتاريخ الديني، أو في التاريخ المحلي لأحد البلاد في هذه المناطق.

ويلفت النظر هنا، أن الدراسات التاريخية في الوطن العربي قد تقدمت بالفعل وصار هناك تراكم كمي، وثراء، نوعي أيضًا، في فروع الدراسات التاريخية، في العالم العربي، لم يكن يوازيه تقدم في المجلات التاريخية العربية. وفي ظني أن هذا الموقف

الغريب (تقدم الدراسات التاريخية، وزيادة عدد المؤرخين العرب المتخصصين في مختلف فروع الدراسة التاريخية من جهة، وجمود المجلات التاريخية العربية في قالب واحد متكرر من جهة أخرى) ناتج عن ضعف التمويل، وانعدامه أحيانًا.

ومشكلة توزيع هذه المجلات، التي لاتزال محصورة داخل نطاق ضيق تمامًا (بعض هذه المجلات لا يطبع أكثر من مائتي نسخة). كما أن عددًا كبيرًا من هذه المجلات والدوريات قد صارت مجرد أداة لنشر البحوث والدراسات، التي يتقدم بها أصحابها إلى الترقية في الوظائف الأكاديمية. وهو ما يعني أنها صارت «وسيلة مهنية». أكثر من كونها «وسيطًا علميًا» للعمل على تطور الدراسة التاريخية بشكل عام. وتجديد الفكر التاريخي في فروع الدراسات التاريخية، ذلك أن شباب الباحثين الذين يكتبون في هذه المجلات (بسبب عزوف الكبار لأسباب عدة عن الكتابة في هذه المجلات)، يميلون عادة إلى الالتزام بالقواعد الراسخة، والتي لا تثير الجدل، ويبتعدون عن «المغامرة» بدخول مجلات جديدة خوفًا من إغضاب «الشيوخ» الذين يميلون عادة إلى تصديق أنهم «الأفضل»، وأن الأفكار والرؤى التاريخية التي عملوا في إطارها هي الأحسن. ويؤدي ذلك بالضرورة إلى جمود المجلات التاريخية في المضمون زيادة على جمودها في الشكل.

ومن المثير أن هذه الحقيقة لا تنطبق إلا على معظم الدوريات المنتظمة، على حين أن بعض الإصدارات الخاصة حول مشكلات البحث التاريخي، أثبتت أن هناك قدرًا كبيرًا من الحيوية في مجال البحث التاريخي «تعجز» المجلات التاريخية عن أن تستوعبه. فقد عقدت ندوات ومؤتمرات لمناقشة الجوانب المختلفة للبحث التاريخي في العالم العربي. ونشرت أعمالها (منها المائدة المستديرة التي عقدتها مجلة «فكر» في ١٩٨٥م، واستضافت عددًا من المؤرخين والمفكرين، والندوة الموسعة التي عقدها المعهد الهولندي للدراسات العربية في القاهرة تحت إشراف المرحوم الدكتور أحمد عبدالله سنة ١٩٨٧م، والندوة التي عقدها «مركز الدراسات والوثائق

الاقتصاديـــة والقانونية والاجتماعية»، التابع للســـفارة الفرنســـية بالقاهرة (الســـيداج) بعنوان الدراســـة التاريخية المصرية ١٩٧٠-١٩٩٥م، بإشـــراف الدكتور محمد عفيفـــي، وغيرها من الندوات)، على حين ظلت المجلات التاريخية العربية قانعة بدورها التقليدي.

وربما يكون من الإنصاف أن نحاول تبرير ذلك القصور «الظاهري» الذي تبدو عليه المجلات التاريخية العربية، وبداية نقرر أن المسئولين عن هذه المجلات عادة ما يكونون من أكثر الباحثين حماسة ونشاطًا، ومن ثم فإن معظم المجلات تصدر بمثابرة شـــخصية منهم، كما أن مشكلة تمويل هذه المجلات تقف عائقًا حقيقيًا دون صدورها بشكل منتظم وعلى نحو لائق، وتحول بالضرورة دون «المغامرة» ســـواء في تطوير المضمون أو الشـــكل أو طباعة عدد كاف لطرحها على عامة القرّاء، ومن هنا يتحمل الباحثون عبء التمويل حين يدفع كل منهم «تكاليف» نشر البحث!!!

حقًـــا، إن المجـــلات التاريخيـــة العربية - فـــي معظمها - رهينة المحبســـين: ضعف التمويل وضعف التوزيع، فهل يمكن بعد هذا أن نتحدث عن «تأثير» خارج نطاق الدوائر الأكاديمية؟

لقد كان من حســـن حظ التاريـــخ والمؤرخين في العالم العربي أن الدراسات والكتابات التاريخية لم تكن وقفًا على المجلات التاريخية العربية. فقد كانت جميع المجلات الثقافية والأدبية العربية تخصص مســـاحات محترمة للدراسات التاريخية، بل إن الصحف والمجلات الســـيارة أســـهمت في هذا المجـــال بقدر وافر. وشـــاركت الإذاعة والتلفزيون والســـينما أيضًـــا بالكثير، ثم جاءت شـــبكة المعلومات الدولية لتقدم ما لم تســـتطع أي من الوســـائط الأخرى تقديمه في مجال المعرفة التاريخية.

وهو ما يؤكـــد الحقيقة القائلة إن الرغبة في المعرفة «التاريخية» البســـيطة تكاد تقترب من الغريزة عند الإنسان العادي، فلكل امرئ تاريخـــه الخاص، أي ماضيه، الذي يحـــب أن يعرفه، وكل منا يريد أن يعـــرف «ماذا كان»، و«لمـــاذا كان». وأصول ما هو ماثل أمامه من حقائق وظواهر وعادات وتقاليد، وعلى مســـتوى العقلية الجماعية

ترغب الجماعة الإنسانية عامة في معرفة حقائق ماضيها، ليس في الشكل الأكاديمي الجامد بطبيعة الحال، وإنما في قالب سردي حكائي يلعب فيه الخيال دوره، وهو ما نجحت فيه مجلة، الهلال، مثلا منذ تأسيسها قبل قرن من الزمان، وقد لعبت المجلات الثقافية الدور الأكبر في هذا الصدد.

أما المجلات التاريخية العربية فقد عجزت، حتى الآن. عن الوصول إلى القارئ العادي، ولست أظن أنها تستطيع. بيد أن هذا ليس دورها، وليس مطلوبًا منها. ولكن هذه المجلات بحاجة إلى كسر الطوق الأكاديمي للوصول إلى النخبة المثقفة، التي يقوم أفرادها دائمًا بدور الوسيط بين الأكاديمية والجمهور العام.

xxx

ربما لم تستطع هذه الورقة أن تجيب عن الأسئلة المطروحة في بدايتها، ولكنني حاولت أن أعثر على الإجابة من خلال عرض «تاريخ» هذه المجلات التاريخية والفضاء الفكري الذي ظهرت فيه، وعلى الرغم من أنني لم أتمكن من العثور على الإجابات، فإنني خرجت ببعض الملاحظات.

أولاً: أن الظروف التاريخية الموضوعية التي أفرزت أولى «المجلات التاريخية العربية» قد تغيرت بشكل جذري - أكثر من مرة - ولكن البنية التحريرية للمجلة العريقة لم تتغير على الرغم من تنوع محتواها تنوعًا هائلاً.

ثانيًا: أن المجلات التاريخية العربية، التي صدرت بعد ذلك لم تكن سوى تكرار في الكل والوظيفة والمحتوى للمجلة الأولى - باستثناءات قليلة جدًا - بحيث يمكن أن تكون «ملاحق» لها.

ثالثًا: أن المشكلات والمصاعب، التي واجهت المجلات التاريخية، التي تكاثرت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، والتي صدرت غالبيتها بمبادرات فردية وشخصية من جانب المسئولين عنها، حالت دون تحقيق طموح المؤرخين الذين أصدروا هذه المجلات.

رابعًا: إن حال التراجع العام في العالم العربي قد تركت تأثيراتها

بالضـــرورة على كل نواحي الحياة العربية، وكانت النواحي الثقافية والفكرية أولى ضحايا هذا التراجع، لاســيما أن الحكومات العربية اهتمـــت بتأمين نفســها، وأنفقت معظـــم موارد البـــلاد على هذه الجوانب البوليسية.

خامسًا: إن الصورة التي تبدو قاتمة صورة خادعة، تخفي الكثير من الملامـــح الحيوية، التي تشـــي بأن التراجـــع الثقافي والفكري الظاهـــر ســببه حال «المنع» التي تســود الكثير مـــن مناطق العالم العربـــي، وتحول دون ظهور الفعاليـــات الثقافية والفكرية الجديدة إلى العلن.

هذه «الملاحظات» تقودنا بدورها إلى وجوب مراجعة الدور الذي تقـــوم به المجلات التاريخية العربيـــة، ولكي يمكن لهذه المجلات أن تـــؤدي دورها بشـــكل فعال، لابد مـــن أن تتوافر لها مـــوارد الدعم الثابتة والمستمرة (على غرار ما حدث للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ومجلتها من دعم قدمه الشيخ القاسمي، وما قدمته دولة الكويـــت من دعم لاتحاد المؤرخـــين العرب في القاهرة والمجلة التي يصدرها).

ولاتـــزال الحاجـــة قائمة إلـــى مجلات تاريخيـــة متخصصة في فروع الدراســـات التاريخية، وفي الفكر التاريخي، ونظريات تفسير التاريخ، ومشـــكلات البحث التاريخي بجوانبهـــا المختلفة، ومتابعة كيفية تدريس التاريخ في المدارس والجامعات العربية. ولأن الوعي التاريخي شـــرط من شـــروط المواطنة الحـــرة الواعية، فإن المجال مفتـــوح أمام مجلات تاريخية عربية مـــن نوع جديد: مجلات تكون مهمتها «تبسيط» التاريخ، على غرار «تبسيط العلوم». وتكون مهمتها «تبســـيط» التاريخ، على غرار «تبسيط العلوم»، وتكون مهمتها نشر الوعي بالتاريخ من خلال ما يمكن أن نســـميه «التاريخ الشـــعبي»، أي الدراســـات والبحوث، التي تخاطب عامة الناس بأسلوب سهل ســـلس لتعريفهم بحقائـــق تاريخهم دونمـــا تعقيـــد أو إفراط في الشـــكل الأكاديمي (الذي يجب أن يبقى أيضًا داخل دوائر البحوث والدراســـات الجامعية والأكاديمية). ودونما ذلك التعالي الذي نراه

في خطـــاب بعض الأكاديميين. إن مثل هـــذه المجلات «التاريخية» البسيطة موجودة بالفعل في أوربا وأمريكا وبعضها موجه للأطفال والشباب والصغار على هيئة شـــرائط spirtS. وتؤدي دورًا مهمًا، ويمكن أن يكون هناك الكثير في هذا المجال.

إن نظرة على التنوع والتطور الذي شـــهدته الدراسات التاريخية فـــي العالم العربي فـــي أثناء العقـــود الثلاثة الأخيـــرة من القرن العشرين ونصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. تكشف عن حجم ومدى ما حققته الدراســـات التاريخية في العالم العربي. كمـــا أن نظرة موازية على المجلات التاريخية العربية، التي صدرت في الفترة ذاتها، تكشـــف عن أن عدد هـــذه المجلات قد زاد حقًا، ولكنها تكشف أيضًا عن أنها كثرة «التكرار»، وليست كثرة «التنوع».

مجلات الفن التشكيلي
ملامح الحضور وأسباب الغياب

أشرف أبو اليزيد *

ليس أدلَّ على أهمية الفن التشكيلي في رصدِنا لسيرة المجلات ومسيرتها أهم من كون ذلك الفن وحده هو من يحوِّل الكتابَ إلى مجلة، ويضع ما يُسطره الحبر في مصاف ما ترسمه الرِّيشة. فمن دون أساليب الفن الإبداعية لا تكتسب المجلة سمتها وصفتها، وتبقى بضع أوراق مرصوفة بكلمات صماء بين غلافين صامتين.

وتلك هي الخطوة الأولى في ارتباط كلٍّ منهما بالآخر. المجلة والفن التشكيلي - منذ بواكير صناعة الصحافة.

ويمكن في البداية، أن نحدد ملامح حضور الفن التشكيلي في أي مجلة مطبوعة، لنجد الآتي:

---

* كاتب من مصر

ملامح حضور الفن التشكيلي - التشكيل الخطي

تبدأ ملامح هذا الحضور التشكيلي بفن الخط العربي، وسينسحب ذلك على تشكيل اسم المجلة وشعارها (LOGO)، واختيار أسلوب عرض العناوين الداخلية الرئيسية والفرعية، ورسم أسماء الأبواب، وتحديد أنماط الحروف الطباعية، وألوانها، واستخدام الخط اليدوي (Calligraphy) أو الحرف الآلي.

وحين ندرس هذا الحضور التشكيلي بالرجوع إلى أسماء المجلات التي اخترناها بشكل عشوائي، لأن العيِّنة بيِّنة، كما يقول العامةُ، سنجد ارتباط هذه القيمة بالمحتوى ارتباطا كبيرًا.

● ففي مجلة هدى شعراوي «المصرية» التي خصت جُلها للثقافة والفنون، سنجد ذلك النزوع إلى الحرف الكوفي المعماري في تشكيل الاسم باللغة العربية، أما الاسم باللغة الفرنسية، فقد عمد الخطاط إلى خداع بصري، شكَّلَ به الاسم الفرنسي برسم كوفي مرونق ومتأنق، محليا أطرافه بأوراق نباتية، إمعانا في الإيهام البصري بـ «عروبة» الإسم والمحتوى رغم «لاتينية» الحرف واللغة.

● والأمر نفسه - فيما يخصُّ تشكيل الاسم - يقال عن مجلة «GOHA» التي صدرت بالفرنسية وظهر عددها الأول في مصر مطلع شهر نوفمبرسنة ١٩٣١، وكان صاحبها الرسام الإسباني المتمصر خوان سانتيز، الذي يُعدُّ رائد فن الكاريكاتير في مصر، لذا كانت موضوعاتها تشرح للأجانب بالبلاد أحوال السياسة، وظروف الاقتصاد، وألاعيب السلطة، ومواجع الشعب. والمهم في هذا الصدد أن الحروف الأربعة التي تشكلت منها كلمة «جحا» باللاتينية رسمها بتشكيل عربي، يخدع الناظر إليه، فيحسبه القراء - على اختلاف ألسنتهم - من لغتهم.

● أما مجلة «صباح الخير» التي قدمتها مؤسسة «روز اليوسف» في ١٢ يناير ١٩٥٦، لتكون مرآة للعقول الشابة المتحررة ونهرًا للقلوب الجريئة، فلم تجد أكثر ملاءمة لقيمة «الحرية» التي تدعو إليها من أن يكون الاسم بخط حر، وريشة مغموسة في حبر سخي لم يجف، فلا قيد على الاسم، ولا قيد أيضا على الرَّسم، ولا حجْر على المحتوى الذي قدَّم - كما سنعرض فيما بعد - فنونا تشكيلية بشكل مغاير.

● وحين نقـرأ «العربي» اليوم، نجد كيف احتفظت بالخط الكوفي المبسَّـط في تشكيل اسمها، رغم أنه تطوّر أربع مرات، منذ صدورها فـي ديسـمبر ١٩٥٨، لأن ذلك الخط هو الأكثر شـيوعا على المحك الثقافي، حتى أصبح لصيقا بالفن.

وقد سـار على درب اختيار الحرف الكوفي مجلات فنية تشكيلية متخصصـة مثل الدوريـة الفصلية «فنون عربيـة» التي صدرت في ١٩٨٢، و«فنـون مصرية» التي صدر عددهـا الأول في يوليو ٢٠٠٤. ونكتشف أن تدخل الكمبيوتر في الأولى اعتمد البساطة والأناقة، في حـين أن الكمبيوتر في تصميم عنوان المجلة الثانية كان دعائيا، فجاء العنوان كما لو كان لوحة معدنية لسـيارة يابانية مثبتة على عمل فني كلاسيكي!

ملامح حضور الفن التشكيلي - الرسوم الشارحة والكاريكاتورية

يمكننا أن نعدَّ ظهور الرسوم الشـارحة والكاريكاتورية، والأعمال الفنيـة العالمية والمحليـة، في الصحف والمجـلات العربية - الثقافية وغيرها - ملمحًا مهمًا من ملامح حضور الفن التشكيلي في الصحافة. وإذا كان البعض يُرجع ظهور هذه الرسوم إلى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) واعتمادها طباعة منشورات فرنسية تُظهر فتاة فرنسية - هي فرنسا - تُمسكُ صولجانًا بيد، وبلطة أو عصا باليد الأخرى، بين الترغيب والترهيب.

وقـد تركـت الفتاة الفرنسـية عصاهـا لتعرض شـعار الحرية والمساواة، قبل أن يتحول الشـعار الفرنسي برمته، إلى عبارة (لا إله إلا الله.. محمد رسـول الله)، بالعربية، محاطا برسـوم للهرم الأكبر ونخلـة وبعض من آثار مصـر. وحين يعود مبتعثـو محمد علي إلى مصر بعد دراسة الطباعة في ميلان الإيطالية، تتأسس مطبعة بولاق، أو مطبعة صاحب السـعادة في سـنة ١٢٣٥ هجرية (١٨١٩ - ١٨٢٠ ميلادية)، لتصدر بعد ذلك «الوقائع المصرية» في ٣ ديسـمبر ١٨٢٨، مدشـنة ظهور الرسـوم الصحفيـة الأولى في المطبوعـات العربية، وكان ذلـك عبارة عن أصيص زرع يرمز لشـجرة القطن طويل التيلة

الشـــهيرة. وفي صحيفة «وادي النيل» الأهلية التي صدرت في ١٨٦٧ كان غلافها تســجيلا أمينا لكل ما هو مصري، مزدحما بآثار البشر الحجر والشــجر. حتى تسلل الرسم إلى جريدة الأهرام التي صدرت في ١٨٧٦، بادئًا بشــعار الجريدة الأشــهر، ومثنيًا بفن الإعلان الذي ظهر مزينا بالرسوم والخط اليدوي.

وفي منفاه إلى فرنســا، وهو يقيم فــي ٢٢ رو دي لا بنك باريس، قدَّم رائد الصحافة الســاخرة يعقوب صنوع تحت شعار علم مصر ذي النجمة والهلال، وعبارة «مصر للمصريين»، وصورته التي اشتهر بلقبها «أبو نظــارة» صحفه المصورة بين عامي ١٨٨٥ و١٨٨٨، وهي عبارة عن مزيج بين الرســم والخطوط العربية والفرنســية. تسخر مــن الخديو إســماعيل، منتَخب الإنجليز كما اســماه، وصوره. في إحدى رســومه الســاخرة. يجلس بدار «الديوك أوف سويســرلند» ليحكي ســياحته في أوربا ويرجو الإنجليز الحاضرين أن يساعدوه على رجوعه لمصر. كما يرســم مشــاهد من حكم الخديو في مصر والســودان، ففي القاهرة نرى مشــهدًا لعذاب أبنائهــا لكي يقرُّوا «يعترفوا» بالمحلات التي خبأوا فيها أموالهم، وفي الخرطوم وتحت عنوان الشــهر الرابع من جور فرعون، يناشد الحضور المهدي: تعال يــا مهدي نجينا من إســماعيل. ومن يتأمل هذه الرســوم يقول: ما أشبه الليلة بالبارحة!

وفي مصر توالى ظهور المجلات التي تضيف الرسوم إليها، وأشهر النماذج (اللطائف المصورة)، التي ظهرت في ١٥ فبراير ١٩١٥ كمجلة أدبيــة علميــة تاريخية فكاهية مصورة لتصل بفن الرســم الصحفي الوليد إلى مرتبة راقية، وأشار فيها إلى موهبة مصرية نابغة في هذا الفن تعود للرســام إيهاب خلوصي الذي «امتلك رؤية ثاقبة للفوضى التــي تعم الشــارع المصري ومواطــن الخلل في هيئاتــه»، لذا كانت ثورة الشــعب في ١٩١٩ نتيجة طبيعية كرد فعل لما وصل إليه كابوس الاحتلال الانجليزي.

مع سيل من الصحف والمجلات التي ملأت الساحة بعد ثورة ١٩١٩، كتب أمير الشعراء أحمد شوقي قصيدته الشهيرة:

لكل زمان مضى آية وآية هذا الزمان الصحفْ
لسانُ البلادِ، ونبضُ العباد، وكهف الحقوق، وحرب الجنفْ
(الجنف : الميل عن الحق)

حتى أن شوقي، الذي رصد الرسوم الساخرة، والفنون الزاهرة، يقول في أبيات أخرى من القصيدة نفسها :

جَلَوْتُمْ حواشيها بالفنو ن، فكم شرفٍ فوقَ هذا الشَرَفْ
أريكة موليير فيما مضى، وعرش شكسبيرَ فيما سلفْ!

وفي ١٩٢٥ بدأ تاريخ جديد للصحافة الفنية بصدور العدد الأول من مجلة روز اليوسف في ٢٦ أكتوبر لصاحبتها الفنانة الكبيرة فاطمة اليوسف، واهتمت المجلة منذ عددها الأول بالرسوم الصحفية. وقد انضم لمدرسة روز اليوسف الصحفية فنان الكاريكاتير الأرمني الرائد صاروخان ليقدم شخوصه الكاريكاتورية الحية التي أثرت صفحات المجلة وكل مطبوعة عمل بها.

وقد تصدّرت غلاف العدد الأول من المجلة، وتحت عنوان : تُحف فنّ التصوير، صورة آلهة الربيع «فلورا» وقد دون تحته هذا التعليق:

«ستوالي المجلة نشر روائع التصوير في مختلف العصور تكملة لإحدى نواحي الثقافة الفنية، ونبدأ اليوم بنشر صورتين للمصور الإيطالي النابغ نيسبان (١٤٨٢ ـ ١٥٧٦)، زعيم المدرسة الفينسية في التصوير. وتمثل هذه الصورة آلهة الربيع «فلورا». فهي كما ترى صورة رمزية لفصل الربيع حيث تزدهر الورود، وتتدفق الحياة عزيزة في كل كائن حي ولذا لم يُغفل المصور النابغ أن يحمّل يد الآلهة زهورًا يانعة، كما أنه أسبغ عليها بهاء الأنوثة في نضوجها الفاتن».

ومع تطوُّر الطباعة في مصر، نرى استجابة المجلة ـ نموذجًا مع سواها ـ لهذه التقنيات، حيث إنها صدرت في حلة أنيقة ودقيقة منذ ١٩٣٣ في ٤٤ صفحة زيدت إلى ٦٠ صفحة مزودة بالصور والكاريكاتير والألوان.

مع هذه الرسوم الصحفية والكاريكاتورية واللوحات التشكيلية الملونة، والصور الذاتية المصوّرة بحرفية، ظهرت في المرحلة التي سبقت ثورة يوليو ١٩٥٢، مجموعة من المجلات المصورة التي حاولت أن تملأ

الحيز المتاح للرسوم التي شملت فنون الكاريكاتير والبورتريه والكولاج وكان من أشهر تلك الإصدرات الفكاهة والصرخة والبعكوكة.

ومن بـين المجلات التي تعدُّ نموذجًا لمجلة «فنية تسـتخدم الصور والرسوم الشـارحة والكاريكاتور» مجلة «الإثنين ـ الفكاهة والكواكب» التي قدمتها دار الهلال (١٩٣٤) ورسمت في ثلاثينيات القرن الماضي، صورة للمجتمع صارخة في نقدها، وشـاملة في تناولها للأسـاليب الفنيـة المتاحة طباعيا ـ فرأينا فن البورتريه بريشـة سـانتس يصور فيه ـ كنماذج ـ علي الكسـار وسـامي الشـوا وبهيجة حافظ وجورج أبيض، وغيرهم وتحت كل منهم تعليقٌ ساخر، وشاهدنا رسوم الفنان رمزي تسخر وتشـرح، وطالعنا الكولاج التركيبي المستخدم للسخرية والشـروح لمخرج المجلة (مثل صورة وجوه وزراء مصر على أجسـاد عرائـس المولد، يحركهـا مايلز لامبسـون، وتحتها التعليـق: المعلم لامبسون ممسـكًا بيده عبد الفتاح يحيى باشا، وأمامه على الطبلية محمد باشـا محمود ويحيى باشا إبراهيم، وتوفيق نسيم باشا، وعلي باشا ماهر، المرشحون للوزارة، وعلى الأرض تمثال صدقي باشا وهو مكسـور)، عدا عن قراءتنا للحس الزجلي الساخر لرئيس تحريرها حسـين شـفيق المصري الذي اشتهر باسـم «أبو بثينة»، والذي قدّم أشـعارًا بالعامية، تجعل مجلته ضمن الإصدارات التي تعلي من قيم المجتمع:

يا أفندي المَظهَرْ مَا يهمُّشْ دَا الوَاحِدْ قيمتُه بمَجْهُودُه
كَامْ عَامِلْ بهدُومه الوسْخة ١٠٠ معمل يتمنوا وجودُه
الواحد لازم يتثَقّف مش بس يزوَّقْ من برَّه
انا عقلي أنفع من جسمي في الدنيا مليون مرَّة

كما قدمت المجلة الكاريكاتور «المسـتورد» من خلال بعض الرسوم التي نثرتها بين صفحاتها، واسـتحدثت بابا أسمته: اضحك يضحك لك العالم لتضع فيه هذه الرسوم ذات التعليقات المترجمة.

ومن الطريف، وما أعدُّه نوعًا من الثقافة البصرية التي بدأ شيوعها مع هذه المجلة وسواها، هو ذلك الإعلان الذي قرأته في مجلة «الإثنين ـ الفكاهة والكواكب» في العدد السادس الصادر يوم ٢٢ يوليو ١٩٣٤:

«زيِّــنْ جدار غرفتِك بصور الممثلات أو الممثلين المفضلين لديك، تجد هذه الصور في المجموعة العظيمة التي وصلت حديثا لمحلات بشــير خوري، ١٦٢ شــارع الخديو إسماعيل بمصر و١٤٥ شارع الملكة نازلي بمصر، وبيان الأســعار ٦ قروش عدد ١٢ صورة حجم كارت بوستال، قرشــان مجموعة مقاس ٦ - ٩ تحتــوي على ١٠ صور، قرش واحد، مجموعة تحتوي على ٩ صور بشكل طوابع البريد ومصمغة من الخلف ليسهل لصقها». وقدمت المجلة نفسها مسابقات أدبية وفكاهية عدة، مثلما قدمت مسابقات في التصوير الفوتوغرافي منها صورة : أجمل طفل وطفلة! وفي إطار إهتمامها بالتصوير، نقرأ إعلانا على صفحة كاملة عن فيلم «فرانيا» الذي يصوِّرُ لكم جمال الآثار المصرية!

ثم كان دخول الفنانين التشكيليين إلى الصحافة إيذانا بعهد جديد من الزواج بين الثقافة والفنون. ويمكن أن نشــير للدور الكبير للفنان منيــر كنعــان (١٩١٩ - ٢٠٠٠) في مؤسســة أخبار اليــوم وبخاصة أســبوعية (آخر ساعة)، الذي أصبح بفضل مئات الرسوم التصويرية . ومنهــا التســجيلية والتوثيقية التي قدمهــا للصحافة - جبرتي الفن الحديث. وفي ١٣ ديسمبر ١٩٥٣ حين أصدرت الثورة الوليدة جريدة تنطق باســمها هي (الجمهورية) رأينا كاريكاتير الفنان طوغان الذي ســلك مع زميله عبد السميع صيغة التعامل الصاروخانية (نسبة إلى رسام رائد هو صاروخان)، مع الشخوص الكاريكاتورية، ونتعرف إلى ريشة الجرافيكي الكبير الحســين فوزي (١٩٠٥ - ١٩٩٩) في قصة حياة السيد عمر مكرم بعنوان «كفاح الشعب».

وفي مجلة «صباح الخير» مُنحَتْ الرســوم الشارحة والكاريكاتير المساحة الواجبة وقدم فنانو مؤسسة «روز اليوسف» للمجلة الجديدة أعمالا خالدة، فتعرفنا على ريشة زهدي المفكرة، وحبر عبد السميع الســاخر، وخطــوط صلاح جاهــين الســاحرة، وكوميديا حجازي الســوداء، وتفاصيل رجائي ونيس الرقيقة، وفلســفة بهجت عثمان العميقة، ومشــاغبات صلاح الليثي اللافتة، وقدم الفنان التشكيلي الكبيــر جمال كامل البورتريه للشــعب، فطالعنــا على الغلاف أول جاليري مفتوح للفن التشــكيلي الراقي، لفتيات القاهرة ونســائها،

مثلمـــا طالعنـــا أيضا مهـــارة هبة عنايـــت في التجســـيد، وغيرهم كثيرون.

ومـــن أبرز الفنانـــين الذين «غيَّرُوا وطـــوَّرُوا وثوّرُوا» الرســـوم في المجلات التي انضموا إليها الفنان حسين بيكار(١٩١٣ ـ ٢٠٠١) الذي انحاز إلى الاحتفال بالعناصر الإنســـانية وتقديمها في صياغة أنيقة ورشيقة تكشـــف عن النموذج الأمثل للجســـد الانساني، مثل مرحلة (النوبة) التي سجل فيها بريشة رائعة وتلخيص عذب تفاصيل الحياة اليوميـــة لأهل النوبة في جنوب مصر. ونذكـــر أيضا الفنان والكاتب والمناضل حسن فؤاد (١٩٢٦ – ١٩٨٥) العالم بأسرار مدينته القاهرة وروحها والذي استطاع ـ أيضا ـ التقاط روح القرية المصرية بشفافية. وكذلك الفنان محمد حجي الذي تختصر لوحاته عشـــرات المقالات التحريضيـــة بفضل قدرته على التحكم بقوانين الظل والنور بتصميم متـــين ومحكم متعة بصرية تنتمي لفنان نـــادر. والفنان حلمي التوني الـــذي أضاف للمجلات الثقافيـــة بعدا ثالثا، يختـــزل فيه روح الفن وآيات المجتمع. والفنان محيي الدين اللباد، الذي أضاف نمطًا جديدًا للإخـــراج الصحفي ـ باعتباره ملمحًا إبداعيا تشـــكيليا، يُكمل النص، وقـــد رأت الملايين أعماله حين جاورت الأعمـــال الإبداعية الأعمال التشـــكيلية في مشـــروع «كتاب في جريدة» الذي صممه وصدرت به سلسلة من روايات وقصص وأشعار وأفكار العرب، مصحوبة بثلة من الفنانين النوعيين.

حـــين نرى تلك الكثرة من الرســـوم الســـاخرة عنوانا وملمحا على حضور أحد أركان الفنون التشكيلية في المجلات أستدعي هنا دراسة بالإنجليزية أصدرها قســـم النشـــر بالجامعة الأمريكية في القاهرة، ضمن كتاب (ألوان الطرب) أو (Colors of Enchantment)عن صورة مصر داخلها، عبر فنون الرســـوم الساخرة، وحللت الباحثتان شـــريفة زهر وتونيا رفاعي كيف تم تجســـيد مصر الوطن في صورة الأنثى لدى رسامي الكاريكاتير.

وقد بدأت الدراســـة بسنوات العشـــرينيات من القرن الماضي بحثا في اللوحات والملصقات والمنشورات والمنحوتات، وبالتركيز عليها في

كاريكاتير الصحافة المحلية. وترى الدراســة أن تلك الصورة (الأنثى) لمصر كانت تضفي عليها براءة وقلة حيلة، بل وضعفا في ميزان القوة لمصلحة المحتل الأجنبي والقوى الخارجية.

لكن مرحلة ثورة ١٩٥٢ وما بعدها جعلت تلك الصورة الأنثى تتوارى لمصلحة توحُّد قائد البلاد مع صورة الوطن. وإذا كانت العشــرينيات قد بلغت فيها تلك الصورة الذروة، مع مشروع النحات العظيم محمود مختار لتمثال (نهضة مصر) فإنها أصبحت الآن كما تقول الدراســة تتماهى مع رئيس الدولة.

ونشــاهد - في هذا الشأن - رسما كاريكاتوريا قدمه خوان سانتيس في (الكشــكول) يوم ١٨ يونيو ١٩٢٢ ويشــير التعليق المكتوب إلى أن ذراع التمثال تغير للمرة الثالثة، والتغيير هنا في الرسالة التي تحملها اليد وبها صرة نقود كتب عليها (١٥ ألف جنيه) ومغزاها أن القارئ/ الشعب عليه أن يدفع هذا المبلغ لاستكمال التمثال.

وهكذا في مجلات الكشــكول واللطائف المصورة والإثنين وسواها بدت صورة مصر: الشــابة الخجول البريئة الباحثة عن اســتقلالها، والمطالبة بعون شعبها سياسيا واجتماعيا، وهي غير الصورة المعادلة للمرأة الجديدة التي سعى إليها مشروع قاسم أمين.

فقد كان هناك ما يشــبه التوتــر والتناقض بين ماضي مصر الذي يمثل القوة فيما يعرض الحاضر (الأنثوي) ضعفه وقصر يده. فمصر الأنثــى هي الأم والزوجة والابنة التي يتعاطف معها الجميع ويســعى الكل إلى حمايتها وحراســتها. وأعتقد أن تلك مســاهمة في تكريس هــذا الضعف الذي كان يجب أن يتحول إلى امرأة شــجاعة محاربة، أو أنثى فدائية. لقد كانت صورة مصر في (ألوان الطرب) تبعث على الغضب، فلم تحصل على وجهها الحقيقي، وقد يكون الســبب في أن الفن مرآة للواقع.

ملامح حضور الفن التشكيلي - مقالات في النقد وسير الفنانين

يمكننــا أن نضيــف دون حرج أن من أهــم وأنضج ملامح حضور الفــن التشــكيلي يبرز فما قرأنــاه من مقالات في النقد التشــكيلي

للفنون الجميلة وسبر مسـيرة الفنانين على صفحات الدوريات التي تتبعنـا نماذج منها خـلال ثمانين عامًا. ولعلنا نقول إن نسـبة كبيرة من نقاد الفن التشـكيلي هم من فنانيه، بل لعلها تكون النسبة الأكبر إذا ما أخذنا الفن المعماري على محمله الأوسـع. ولذلك سنعمد إلى قـراءات من أعمال هؤلاء الفنانين عن مجايليهم، من بين ما نشـروه في الدوريات العربية.

وكان بعضُ ما يُنشـرُ عن الفن يأتي مجردًا من اسـم كاتبه، ولنقرأ في جريدة الأهرام سـنة ١٩٢٩ هـذا الخبر «نجاح مصر في معرض الفن الفرنسـوي»: «باريس في ٦ يونيو من مراسـل الأهرام الخاص: أقيـم في (الجران باليه) أخيرا معرض الفن الفرنسـوي، وكان حظ مصـر من النجاح فيه مما يدعو إلـى الاغتباط والتنويه بقدرة رجال الفن المصريين. وقد ذكرنا منذ أيام أن الأسـتاذ محمود مختار المثال المشهور عرض تمثالا من بدائع الفن يمثل عروس النيل لفت إليه نظر كل من زاروا المعـرض وكان موضع إعجاب كبار رجال الفن، حتى أن المحكمـين اختاروه مع ٢٢ تمثالا آخر ومنحوه الميدالية، وذلك من بين أكثر من ثمانمائة عارض. وكما تفوقت مصر في فن الحفر، وكما بز مختار مئات المثالين من جميع الجنسـيات، تفوقت أيضا في الرسم، فقد عرض أحمد صبري لوحة (تأملات) فنالت شهادة فخرية، وهي الجائـزة التي تلي الميداليات مباشـرة، ولم تمنح إلا لعدد قليل أيضا مـن مئات العارضين. ومختار معروف للقراء، أما أحمد صبري الذي يسـرنا نجاحه فتخرج من مدرسة الفنون الجميلة بمصر وذهب إلى فرنسـا في سنة ١٩١٩ إلى سـنة ١٩٢١ ثم عاد إلى مصر. وفي سنة ١٩٢٣ أوفدتـه الحكومة المصرية للتعلم عل نفقتها، وكان مما عني به دراسة رسم الأسـتاذ (فوجيرا) واشـتغل بكل جد وهمة في (نانت) ثلاث سـنوات، ثم في باريس، وسـيعود إلى مصر قريبا بعد أن أتم دراسـته. وقد هنأ كثيرون من المحكمين أحمد صبري على الطريقة التي اتبعها في رسمه وجمال الألوان ودقة الرسم وعنايته بالتفاصيل المختلفة مما جعله يخرج رسـما متقنا متناسقا بديعا. هذا عضو من بعثة الحكومة يعود إلى مصر بفوائد قيمة ومعلومات ستجعله يصبح

في القريب في الصف الأول بين الفنيين المصريين».

وإذا كان ذلك ديدن الصحافة والصحف، فقد احتفت دوريات ثقافية أو صفحاتها المتخصصة بالفن التشكيلي، وعرضت لسير رواده، وصورت أعمالهم، وأفردت الصفحات لكتابات الفنانين والنقاد والشعراء والصحافيين والمثقفين، كما فعلت مجلة «مجلتي» التي أسسها أحمد الصاوي محمد قبل نحو ٧٥ عامًا. وبالإضافة إلى شمول «مجلتي» على الملمحين السابقين لحضور الفن التشكيلي من الخط الحر الذي رسمت به، والغلاف الأحمر الداكن الذي يجعل منها «كُراسة» خاصة بمقتنيها شكلا، وتضمينها لصور فوتوغرافية توثيقية، ورسوم توضيحية مصغرة، اللجنة الفرعية الفنية فإنها قدمت وبشكل جاد مقالات في النقد الفني التشكيلي.

وتراوحت هذه المقالات المنشورة في «مجلتي» بين التقديم الميسر، والنقد المفسر، والعرض المؤثر، ونقرأ في العدد السابع من المجلد الثاني الصادر أول سبتمبر ١٩٣٥، مقالا للأستاذ أحمد راسم بعنوان: «نظرة في الفنون الجميلة» قدَّم فيه الكاتب والفنان مؤلَّفا بالفرنسية عن النحت والتصوير وضعه موريك بران Morik Brin مدرس اللغة الفرنسية بوزارة المعارف العمومية وسكرتير جمعية أصدقاء نشر الثقافة الفرنسية في القاهرة، يقول راسم: «وهذا الكتابُ فريدٌ في بابه من حيث التنسيق في الوضع والجمال الفني الذي يلاحق كلَّ فصل ويشمل كلَّ مبحث، ومن الأشياء التي لم يسبقه إليها أحد أنه أفرد بابا كاملا للمصورين والمثالين من أجانب ووطنيين في مصر، وخصص لكل منهم مبحثا لخص فيه تاريخ حياته وتطور فنه في جميع مراحل تربيته العملية، وما يتميز به فنه عن فن غيره، وقيمة عمل كل منهم وما وصل إليه من الشأو والشهرة. ولم يكن الجمهور المصري قبل اليوم يعرف شيئا عن المصورين والمثالين أبناء الوطن ولم يُلم عن قيم فنهم إلا قليلا، لهذا وجب علينا أن نشكر لأستاذ بران تحفته التي أهداها إلى جمهورنا المصري بما كان يجهل من آثار المصورين والمثالين الوطنيين».

وفي «مجلتي» أيضا دعا أحمد الصاوي محمد كتابًا وفنانين لنشر

مقالات عديدة عن الفنون لأحمد راسم (منها : المصور محمود سعيد، مجلتـــي، مجلد ٢، ١٩٣٥)، والدكتور أحمد موســـى، الذي عرَّفه بأنه خريج جامعة برلين، وقد كتب هذا الأخير تحت عنوان «دراسة الفن»: «كلفتـــي «مجلتـــي» بالكتابة في هذا الموضـــوع، وقيدتني بألا أتعمق في الفلســـفة وألا أعرج علـــى التاريخ التفصيلي الذي قد يكون مملا للقراء، والواقع أنها قيودٌ قاسية، ولولا يقيني من أنها مدفوعة بعامل الإخلاص للقراء، لترددت، وخصوصًا والموضوع عســـير يتطلب مني أن أتـــدرج بالقارىء ليســـتطيع ـ فيما بعد ـ أن يفهـــم الفن فيها فهمًا صحيحًا، مبنيا على أســـاس علمي، وهذا يلزمني العود به إلى أصل الفن، وإلى المقصود منه، والرجوع إلى أصله وإلى تطوره».

ومـــن بين من دعوا ـ كذلك ـ للكتابة فـــي «مجلتي» أحد أهم هؤلاء الفنانـــين «المصوريـــن والمثالـــين الوطنيين» الذين قدمـــوا لمحات من كتاباتهم في الفن، وهو النحات الكبير محمود مختار.

أمـــا المبدع جبرا إبراهيـــم جبرا، فكانت له ســـبحات في أكثر من دورية ثقافية عن الفن التشكيلي. ويحكي إبراهيم نصرالله عن لقائه الأول بجبرا في بغداد فيتذكر: في المساء كان هناك ـ في حفل افتتاح المعرض الجماعي لعدد من الفنانين التشكيليين العراقيين ـ يتجول بين الأعمال، يعايشـــها، يقف طويلا أمام اللوحة، يبتعد عنها إلى أخرى، وعينه لم تزل على الأولى، يســـترق النظر إليها بين حين وآخر، لكنه لايلبث أن يتوقف أمام لوحة جديدة تُسَمِّرُه أمامها، كما لو أنها أنسته كلَّ مـــا رأى. ولم يكن من الصعب على المرء أن يدرك أن جبرا يعايش اللوحـــة ككائن حي تمامًـــا، يدرك حاجته إليها كإنســـان كاتب فنان، ويدرك حاجتها لهذا الحب الذي يبديه نحوها».

وقد جمع نصرالله بعضا من كتابات جبرا إبراهيم جبرا في الدوريات المختلفـــة، تحت عنـــوان: الفن والفنان، كتابات في النقد التشـــكيلي، وأصدرته دارة الفنون، بمؤسســـة عبد الحميد شومان، بالأردن، ومن بـــين مقالات جبرا، نقتطع هذه الفقرة التـــي كتبها قبل ٣٥ عامًا عن الفنانة التشـــكيلية العراقية ســـعاد العطار بعنوان «الغابة المتحولة»: «يُخيل إلي أن سعاد تحاول أن تعبر بالفنتزة عن براءة الإنسان الأولى،

وقد نازعتها شهوة الحياة على غير انتظار، كنار تنشبُ فجأة في غابة عذراء، كما شبت في لوحتها المسماة (الأشجار ذات مساء). وإذا فقد أشخاصها حقيقتهم الجسـدية، في صورها الأخيرة، وجدوها تتثال عليهم فـي أثقال من التحرق، إذا ما وقعوا فيما يشـبه الغيبوبة، لم يتعين لدى الرسـامة إن كانت الاستفاقة سـتكون على هذه الحقيقة أوعلى وضع حلمي جديد، فالجنة في رسومها تتحول فجأة إلى غابة كثيفة، بين جذوعها الشواهق وأغصانها الملتفة وأوراقها الكبيرة تكاد المـرأة تختفي. أم أنها تختبىء؟ فهي لا تـرى إلا صغيرة فيما بينها، ولكن هذه الغابة نفسـها بعد قليل تتساقط أوراقها، وتتعرى فروعها ولا يبقى للمرأة وجود في هذه الشـبكة الحمراء القاسـية، ولو أنها تصطاد الشمس لاهبة مرة أو مرتين».

وأضم ما قدّمه الفنان حسـين بيكار في جولاتـه القلمية النقدية في معارض الفن برهافة شـاعر وفنان وفيلسوف، إلى أبرز المتابعات النقدية التي لم يلتفت إليها لجمعها وتصنيفها إلا أخيرًا، رغم أهميتها الباذخة، وتشكيلها لجزء مهم من ذاكرة النقد والفن. وفي هذه الرؤى النقدية لم يُغفل بيكار دوره كراع للفنانين الجدد، وشـارح للأساطين القدامى، وشاعر تشـكيلي بامتياز، ولعلي أوجز رأيي حين أنقل هذه الفقـرة عنه، والتي صدرت ضمن مجموعـة أولى ضمت مقالات له تحت اسم: مقالات نقدية في الفن بتقديم وتصنيف الفنان مصطفى عبد المعطي وإخراج الفنان محمود عبد العاطي، ضمن سلسلة «آفاق الفن التشـكيلي»، الهيئة العامة لقصور الثقافة، وكان نشرها منجمة في «الأخبار» القاهرية في بابه الأشـهر«ألوان وظلال»: «المرأة وعاءٌ جميل.. يضم الورد والشوك، والملاك والشيطان، والحب والكراهية، والجنة والنار، والحياة والموت. تقف على حافة البحر عميقة مثله، بل أكثر عُمقًا وغموضًا، تفسـح لها السماء مكانا في فضائها الشاسع، تقف شـامخة كتمثال تأكسـد سـطحه برذاذ الماء. ويحتدم الصراع بين الأضداد، بين الأزرق «البروسـي» الدَّاكِـن العميق عمق المحيط وتنويعاته الأثيرية الحالمـة، وبين الأحمر القاني كلون الغريزة واللهب والـدم ودرجاته الورديـة الناعمة. والمرأة وحدهـا في هذا الخضم،

تقتلها الوحشة، ترتجف من هول الصقيع الثلجي الذي التحف به، إنها ليست من طراز «فينوس» الجنس الذي ولدت من زبد البحر، إنها المرأة الرمز، المرأة اللغز، وأنت لا ترهب هذه المرأة الخطرة التي تطل عليك من لوحات أحمد نبيل متشحة بالغموض، إنها تطويك في نشوة تسري في بدنك، كرعشة عربيد لا تعرف لها مصدرًا. هذه المرأة عاد بها الفنان أحمد نبيل من بعثته في إيطاليا لا جسدًا حيا، ولكن نموذجا رمزيا ينسج من خيوطه مشخصاته، التي يؤلف منها تكويناته الحالمة التي يعرضها حاليا في المركز الثقافي الإيطالي بالزمالك».

ويكاد يكون الفنان محيي الدين اللباد أغزر التشكيليين كتابة، حتى أنه أقرب لصناعة الكتاب من إنجاز اللوحة، والرسوم. ومع كونه رسامًا للكاريكاتور ومخرجًا صحفيًا ومشاركًا في تأسيس مجلة (كروان) للأطفال، ودار الفتى العربي، ستقرأ له وهو يعرض لك رواية أو روايتين عن وحشية الصهاينة ضد الفلسطينيين، وتقرأ له كتابين أو أكثر يحاول فيهما محو الأمية البصرية للذوق العام، وستسمع عن فوزه بأكثر من جائزة في معارض كتب الأطفال، وهو مولع بالاتقان، وشغوف بالبحث، مع خطوط مرحة تدغدغك بسمكها وانحنائها وقوتها أيضا. ولعل ما يزكي ذلك الكلام، بابه الشهير الذي بدأه في مجلة «صباح الخير». قبل أن يحولها مفيد فوزي حين تولى رئاسة تحريرها عن مسارها التشكيلي بدرجة كبيرة. وقبل أن ينقل اللباد مجموعات هذا الباب لينشر أخواتها في «روز اليوسف» و«وجهات نظر» و«الهلال»، و«أخبار الأدب»، وقد اتخذ لها عنوانا مثيرًا «نظر»، ذاكرًا بيت الشعر الذي كتبه بشارة الخوري، ولحنه محمد عبد الوهاب:

إنْ عشقنا فعذرنا.. أنَّ في وجهِنا نظرْ!

وتراوحت كتابات اللباد بين موضوع وآخر، يتماس كل منها مع الحياة، فما أصدق ما ينطبق اتصال الفن بالحياة على كل ما يكتب؛ سواء عن الرسم والرسامين، أو الخط العربي وتصميم الحروف، أو

إخراج وتصميم الصحف، أو فوتوغرافيا ذاكرتنا المصورة، أو مختلف الملامح البصرية في حياتنا: «للإنســان مخروط محدود للنظر حين يرسله، والمار في شارع رمسيس سواء كان في سيارة صغيرة أو عامة أو على دراجة أو ماشــيا (خاصة المتجه إلى ميدان التحرير) لا يمكن لمخروط بصره أن يتجاوز ارتفاع حائط الإعلانات. ويقف ذلك السد القبيح حائلا بين نظر الإنسان والسماء. يقف كشيء فظ وملح وقاهر لا يمكن لأعيننا الإفلات منه. خليط بشع من الألوان والأشكال والوجوه والعبارات هي ترجمة بصرية بارعة للضوضاء الصوتية البشــعة في القاهــرة، ومعادل دقيق للازدحام والفوضـــى والتنافر فيها. حتى أن تلك الإعلانات لم تــراع في تصميمها وألوانها وجود إعلانات أخرى مجــاورة، ولم تضبط ارتفاع نبراتها حتى يمكن لها أن تتميز وســط الزحام البصري القبيح».

وفي ســورية، حيــث يصبح الفنان ناقــدًا والناقــدُ فنانا، فنقرأ لأكاديميين كثيرًا من المداخلات والدراســات المنشــورة في الجرائد والمجلات، ورصيدا لا بأس به من الكتب المنشورة، سنلتقي مع نموذج نشــط في الحركة التشــكيلية هو الدكتور غازي الخالدي (مواليد ١٩٣٥)، الذي يضع كتابًا تصدره وزارة الثقافة في سورية هذا العام عن ناظم الجعفري، الفنان الذي اعتكف ٥٣ عامًا ليرسم ستة آلاف لوحــة في صمت، ويقيم بها معرضا العــام الماضي، يقول الخالدي في مقال نشــرته له جريدة الشــعب يوم ٨ يناير ١٩٥٦، عن معرض للجعفــري قبل اعتكافــه: «لوحته الأولى التي تمثل زفافا دمشــقيا قديمًا أســماه (حي الشــاغور)، فيها ولا شــك روحُ الشام القديمة في هذه المجموعة الرائعة من الألوان المنسجمة التي تتناسب تمامًا مع الفكرة. فتشــعر وأنت تنظر إليها كأنــك في الصباح وقد ذهب أصحــاب الدور إلى أعمالهم والطلاب إلى مدارســهم ولم يبق في الحــي إلا أم عبــده وأم خليل والحاج أبو عمر الــذي يقول بصوته المتهــدج: صباح الخيــر أم خليل. وأقصد بذلــك لأن اللوحة عامرة بالحياة كشــمس مشرقة ســاطعة تتســاب بين النوافذ لتلف الحي المعتم، وكرجال ونســاء يملأون الزقاق حيوية وحركة. وأخشــى أن

أقــول إن الدور إلى يمين اللوحة تكاد تقع لأنها مائلة إلى اليســار، أخشى أن أقول هذا لأن الجعفري ربما يرد علي فيقول: هكذا الدور القديمة في دمشــق، وما رســمت هذه اللوحــة إلا لأبين خطر هذا النوع من البيوت».

مــن بين الفنانــين الذين نقرأ لهــم في أكثر من دورية التشــكيلي عزالدين نجيب، وتحت عنوان «شــجرة للحنان وناي للقطط»، يرسم الكاتب ملامح مسيرة الفنانة التشكيلية تحية حليم، في مقال نشرته لــه «أخبار الأدب»، وجاء فيه: «كم من آبــاء روحيين عرفتهم الحركة الفنيــة بمصر، ابتداء من محمود مختار فــي أوائل هذا القرن حتى حســين بيكار لكننا نلتقي اليوم بأم روحيــة للفنانين، تمتلك نبعا من الأمومــة والحنان لا ينضب أبدا، إنها الفنانة تحية حليم التي حرمت من الأبناء ومن حنان الأســرة، فأســبغت فيض أمومتها على أجيال الفنانــين. كما أســبغت ظلال فنها الرفيع علــى حياتنا خلال نصف قرن، وحققت به مكانة سامية في المحافل الدولية. وأصبحت أعمالها ضمــن مقتنيــات المتاحف الكبري فــي العالم، بعد أن عانت قســوة الفقــر في الغربة. وخيانة الزوج وجهامة الوحدة، وأخيرا آلام المرض وشــظف العيش. بلا مظلة تحميهــا من هذا كله غيــر أناملها التي ترســم بها وتعيش من عطائها، وهاهي الأصابع تصاب بالروماتويد، فتقل قدرتها على الإمســاك بالفرشــاة أو على بذل أي مجهود كبير، وقــد تجاوزت الثمانين فتبقي في وحدتها المطلقة بشــقتها بالزمالك مــع قططها التي تطعمها وتداويها بأغلي مما تطعم نفســها أوتعالج أمراضها، أسيرة الخوف من الغد ومن لحظة تتوقف فيها اليد نهائيا عن الإمساك بالفرشاة، لكنها تملك ماهو أكبر من الموهبة والحنان.. تملك الكبرياء وأنفة النفس التي تعصمها من الشــكوى أو الانحناء.. مهما ســاءت الأحوال. وتحية حليم في فنها تســمو كذلك فوق الآلام والمعانــاة، إنهــا تنتمي الى مدرســة الحياة في جوهرهــا وليس في مظهرها.. ترى الوردة بين الشــوك. تــرى المقاومة في قلب الضعف، وأخيرا ترى الحب سلســالا يأتي من أعماق حضاراتنا القديمة، ومن دور الطــين الرابضة في الجبل وفي أحضان قــرى النوبة والصعيد

وفي نضال الانســان من أجل الخبز والحرية.. ويندمج هذا كله مثل سـبيكة الذهــب المعرّقة في جوف الصخــر، لا يلتقط بريقها إلا من عرف معنى الأصالة ونفاسة التراث القديم.. هكذا اكتسبت لوحاتها قيم التراث، وامتزجت فيها مؤثرات الفن الفرعوني على مقابر طيبة، والفن القبطي علي منســوجات أخميم، والفن الشــعبي على جدران بيــوت الفلاحين، وهي التي عاشــت طفولتها وشــبابها في القصور المترفة محاطة باللعب الجميلة، وبأنغام الكمان التي تعزفها أمها».

عاشت الفنانة اليمنية آمنة النصيري حياة الابداع كاملة، وإذا كانت قد بدأت بالســرد ونشرت عددا من قصصها، بل وأصدرت مجموعة فــي الفن القصصي، فقد كرســت حياتها فيما بعد للفن وفلســفته، وشــاركت في الحياة الثقافية اليمنية سواء بالكتابة (صاحبة زاويتين أسبوعيتين هما تشكيل ومقامات اللون في صحيفتي الثورة والثقافية منذ ١٩٩٨) أو تدريس الفن (خاصة بعد إنجاز دراستها لنيل الدكتوراه في فلســفة الفن من جامعة موسكو حول القيم الفنية والجمالية في فن التصوير الإســلامي). لكن المشروع الذي لم تكمله - لما يحتاج من تفرغ لا تســتطيعه - كان برنامجها التليفزيوني (تشكيل) الذي أعدته وقدمته بالقناة الفضائية اليمنية لدورتين خلال العام ١٩٩٨.

في كتاب صدر لها في ٢٠٠٤، بعنوان مقامات اللون، مقالات ورؤى في الفن البصري، تضم عددا من مقالاتها المنشورة عن الفن التشكيلي في الدوريات اليمنية والعربية، تقول: «تجاربُ الفنانين اليمنيين - على تفاوتها - هي في معظمها تعبيرٌ عن واقع وقضايا محلية بلغة تشكيلية مكتســبة؛ هذه اللغة تمثلت تيارات ومدارس متعــددة، كالانطباعية، والواقعية، والتعبيرية، والسريالية، والتجريدية، وغيرها من الاتجاهات التشــكيلية، التي بدأ ظهورها منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشــرين» وتتوقف آمنة النصيري عند الفنان هاشم علي في حديث عن الحداثة والأصالة بمقابلة نشرتها مجلة «المعرفة» في تعز، اليمن، مايو ١٩٩٣: «إن الإنســان يُحاولُ أن يكتمل في العمل الفنــي، وهنا بالضبط تكمن رغبة الفنان في التغيير، فهو يتمرد على عالمــه الذي هو عالمنا، عبر إرادة التغييــر تلك التي تبرز في لوحاته،

وهذه الإرادة هي أيضا حرية الفنان التي تتحقق في العمل والتي لاتلبث أن تنتقل إلينـــا نحن؛ فالرائي لا يكتفي بالمتعة الجمالية المتحققة من العمل الفني، وإنما تشدُّه إلى التكوين معانٍ أخرى، فالحركة الداخلية والحالة الوجدانية للشخوص تجعلان المشاهد يندمج معهم متجاوزًا الفضاءات الزمانية والمكانية لعالمه ويعيش للحظات حالة من النشـــوة والانعتـــاق، ولا ينتهي هذا التأثير بمجرد الانتهاء من تأمل اللوحة، إذ يبقى فعل التغيير ـ الذي ينتقل بصورة غير مباشـــرة ـ حيًا في داخله يحثه على النزوع إلى عالم أفضل».

ولعلَّنـــا إذا اختتمنا هذه المجموعة من ملمح حضور الكتابة النقدية التشكيلية في المجلات بالفنان السوري فاتح المدرس نكون قد عوضنا بعض النقص في مصادرنا. ففي يناير ١٩٩٩، نشرت مجلة «العربي» تحت عنوان الوطن بالريشة والكلمة آخر مقالات المدرس قبل رحيله، وقـــدم فيها مرفأ ذاكرة حالـــم بالفنون الجميلة: «الوردة والفراشـــة لا وجود لهما في القرن الحادي والعشـــرين، فالفن كجمال إنســـاني مجسدًا بالأخلاق، والذي نادى به الفلاسفة منذ القرن السادس قبل الميلاد، حتى نهاية القرن التاســـع عشـــر لم يلق آذانا صاغية، إلا من حفنة من الشـــرقيين، أما القرن العشرون فقد اعتمد القتل الجمالي وذبح الحاجة إلى عالم جميل بســـكين إلكتروني ذي فعالية بالغة. لعل بعض قرَّاء هذه الخواطر المعتمة يقولون: كلنا أخلاقيون ونزرع أزهار المحبة والرحمة ونكتب الشـــعر ونعزف على نـــاي الأخلاق. فأجيب: هل زرتم مقبرة جماعية في البوسنة؟ إني أتساءل بحزن عميق: ماذا يســـتطيع الفنان التشكيلي أو الأديب الشـــاعر أو الموسيقار أن يفعل أمام حفرة تحـــوي آلافاً من جثث الآدميين الذين قتلوا رشـــا ودراكا أمام بعضهم البعض؟... إن القرون الأخيرة في حياة الشعوب العربية اســـتطاعت بما تفرزه من التيتم، والترمل، وأطنـــان الألم والقهر أن تحـــرم العرب من لغتهـــم. كيف؟ بتفريغ محتـــوى الكلمة من معناها، خذ مثلا: شـــرف. شجاعة. كرم. علم. حضارة. فن. أدب. موسيقى. عدالـــة. ديمقراطية. جمال. رجولة. عمل.. إلـــى آخر ما هنالك من القيم والشـــروط الاجتماعية البناء أصبح لها معـــان أخرى مغايرة،

ولا أريد أن أشـــير إلى توابيت هذه الكلمات التي كانت رموز حضارة رائعة».

وبعد فإن هذه الفقرات اليـسيرة التي اختـرناها من معين لا ينضب من الكلمات التشـكيلية التـي ميـزت حضور الفن التشكيلي لمقالات في النقد وسير الفنانين وتعبيرهم عن حيواتهم ومجتمعاتهم، يمكن أن نلخـــص محتواها في إخلاص دعوتها إلى التعريف بالفن، والفنانين، وشــيوع القيم الفنية بالمجتمع، ونقدها للخروج، كما أنها التزمت في مجملها التبسيط والشـــرح، خروجًا بها من معطف الأكاديمية المغلق بأزرار الفن والمغلف بأســـراره. كما أن كثيرًا منها كان بمنزلة تقديم ـ بشكل ما ـ للحياة التشـــكيلية المعاصرة، وتوثيقا لفعالياتها، كون الفن مرآة تطور المجتمع، وأحد التروس المرتبطة بآلياته وحركاته.

ملامح حضور الفن التشكيلي ـ الإخراج الفني للمجلات الثقافية

كنـــا عددنا دخول أعمال الفنانين إلى المجلات ـ بشـــكل عام ـ أحد ملامح حضور الفن التشـــكيلي في الصحافة، ولكننا هنا نشـــير إلى ملمح مهم مماثل، وهو أن دخول هؤلاء لم يقف عند حدود المســـاهمة بالرســـم أو الكتابة وحســـب، في بعض المجلات العامة والمنوعة التي تشـــتمل على أبواب ثقافية متخصصة، بل تخطاه إلى تقديم ما يمكن أن نسميه رؤية تشكيلية في المجلات الثقافية.

وإذا كان الإخـــراج الصحافـــي يدين للفنانـــين والمصممين الكبار، ومنهم في مصر عبدالغني أبو العينين، وحسن فؤاد، وغيرهما، فإننا سنقصر تناولنا في هذا الصدد على العبور بتجارب عدد من الفنانين التشكيليين الذين تولوا إخراج عدد من المجلات الثقافية المتخصصة فـــي الوطـــن العربي، والتي عرفنـــا تجارب عديدة لهـــا، منها تجربة رمســـيس يونان في «التطور»، وحسن ســـليمان في «الكاتب»، ونصر الديـــن طاهر في «العربي»، ومجدي نجيب فـــي «الدوحة»، ومحمود عبد العاطي فـــي «نزوى»، وحلمي التوني في «وجهات نظر»، ومحيي الدين اللباد في «كتاب في جريدة»، ومحمد أبو طالب في «الهلال».

وســـنكتفي هنا بتجربة فنان، خاصة وأنه أعاد تقديمها بعد أكثر

مـــن ثلاثة عقود فـــي معرض خاص. ففي الســتينيات عاش الفنان التشــكيلي حسن ســليمان تجربة تصميم «الكاتب»؛ مجلة المثقفين العرب. كان الفنان عائدًا من ميلانو، وقد نهل من مادة سيكولوجية البعــد الرابع في الفراغ المعماري، وبقدر ما بهره أســتاذ المادة التي درســها بكلية (بريرا)، وضعت الدراســة يده على مفاتيح كثيرة كان من شأنها أن يفهم الكاتب والفنان والمصمم لغة اللون ومغزى الفراغ، فقدم أعمالا كثيرة، سماها بالتمارين البصرية، واختار منها ثمانين عمــلا ليقدمها في معرضه (كولاج وتجريد)، يرصد للســنوات من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٧.

وتضم قصاصات مــن أوراق الجرائد، خلفيات من أوراق متعددة الخامــات والألوان، أشــكال تحاور الفراغ بليونتهــا وانحناءاتها، لا يتركها الفنان سابحة تســقط في عتمة الفوضى، بل تمتد إليها يد الهندســة المؤنسنة لتســتريح قصاصة فوق أخرى، يبحث الفنان عن أســاس لعمله، وهو يخشـــى التكرار، فيعتمد التبديل والتوفيق، ليعيــد إنشــاء الكائنات الورقية فـــي لوحته، لكنه يــدرك أنه رغم اطمئنــان هذه القصاصات فـــي أماكنها، إلا أنها مــا زالت تمنحه الشعور بإمكانيات لانهائية لتســكينها في حيز ما، هذه هي وظيفة الفن.

في كل عدد من أعداد الكاتب ســنجد نحو ١٥ رسما للفنان حسن سليمان: رســوم لقصائد، وموضوعات، وجوه حالمة وأخرى صارخة، أيقونــات بالحبر الثقيل أو الخفيــف، وإذ خرجت الأصول إلى النور، فذلــك لنضع أيدينا على بعد جديد يحاول اللون الإفصاح عنه. ربما هــو لون الســعادة الممتزج بالحزن، خاصة في ذلــك الداكن الهاديء الذي يغمر الفضاء.

ومع رســومه، وعزفه الإخراجي، كان حسن سليمان يكتبُ رؤاه في المجلة، فنقرأ له بتاريخ سبتمبر ١٩٦٩: «الفن القديم - لأصالته - كان ينبع من القوى الداخلية للإنســان، أمــا ذلك النوع من الفن الحديث فهو يعتمد اعتمادًا كليا على القيم التشــكيلية الخارجية والمادية، إذن فلا مســتقبل له، فهو ليس أكثر من تقليد، أو إظهار لأشــكال القديم

في إطار الحديث. والقديم بدوره عاش واكتنز بذور المستقبل الدائمة لأنه ارتبط بواقع الحياة وبمشاكل الإنسان».

مجلات الفن التشكيلي

بعد أن تعرفنا في الأوراق السابقة على بعض أهم ملامح حضور الفن التشـكيلي في الصحافة الثقافية المتخصصة والعام على حد سواء، بدءًا بالتشـكيل الخطي، والرسوم الشارحة والكاريكاتورية، والمقالات التي تناولت بالنقد أعمال الفن وسـير الفنانين، وانتشـار الرسـوم الشارحة والكاريكاتورية، ونشر الأعمال الفنية المحلية والعالمية، وبعد أن تطرقنا إلى تجربة إخراج الفنانين للمجلات الثقافية المتخصصة، سنتحدث في هذا القسم عن المجلات المتخصصة بالفنون التشكيلية، فيما يمثل نظرة موجزة لنماذج عنها.

وبعـض هذه المجـلات حديثٌ، لا يتجاوزُ عمـره العامين، والبعض الآخـر عتيدٌ، عنيـدٌ، عانى من توقـف عن الصدور مـرة، أو أكثر، والبعـض الثالث توقـف إلى الأبـد، رغم جدية المشـروعات وجدة الموضوعات. ومن المؤسـف أن ندرة المراجـع، وموت الذاكرة الورقية في بعض المكتبـات، تخفي عنا مجلات متخصصة نادرة، ومنها على سـبيل المثال: الفنان، التي أصدرها قبل سـتة عقود محمد صدقي الجباخنجي، ومجلة «الظلال» التي صدرت في عام ١٩٣٦، وكنا ذكرنا مجلة هدى شـعراوي «المصرية» التي صدرت بالعربية والفرنسـية، وخصـت صفحات كثيرة للفنون التشـكيلية ومنها فن السـيراميك، الذي أنشـأت ورشـة للحفاظ عليه، وفن النحت الذي أسست جائزة للمبدعـين فيه. والمثيرُ الذي يجب أن نشـير إليـه، أن الفن العربي بشـكل عام، والفنون الإسلامية بشكل خاص، لم يتم التعبير عنها في دوريات عربية وحسـب، بل رأينا حضورًا لافتًا لمجلات رصينة تتناول ذلك باللغة الإنجليزية أيضا.

مجلات الفن التشكيلي - نماذج - المجلة الدولية للثقافة العربية

المجلة الدولية للثقافة العربية The International Magazine of Arab Culture هي بين هذه المجلات التي عُنيت بتقديم الثقافة

العربيـــة - العراقية على الأغلب - لقـــراء اللغة الإنجليزية. المجلة التي صدرت في مطلع الثمانينيات في لندن كان ينشـــرها المركز الثقافي العراقـــي، وبين نحو ٢٠ موضوعًا في كل مرة من المرات الســـت التي تصدر فيها كان للعراق، بحكم النشـــر، والفن العراقي نصيب الأسد على صفحاتها. وقد عمل الفنان ضياء العزاوي؛ الذي ســـنجد اسمه قاسمًا مشتركًا في كثير من الدوريات المعنية بالفن التشكيلي، مصمما ومخرجا لهذه الدورية الملونة في أغلب صفحاتها وذات القطع الكبير (٦٨ صفحة).

وهكذا نعيش في جنبات العراق بين عمارة بيوت بغداد الشـــرقية، وتقاليـــد التواصل مع القديم فـــي المنزل العراقـــي المعاصر، وفنون المنمنمات الآسيوية، وقوة وبلاغة أعمال الفنان العراقي كاظم حيدر، وتاريخ صناعة الفخـــار بالعراق، والمخطوطـــات والمقتنيات المتحفية العراقية، ومعارض الفنانين العراقيين، قبل أن ننتقل إلى زيارة لتلمسان في الجزائر، أو نقرأ قصيدة لنزار قباني في سورية، أو نعيش مع صور لمعرض نادر عن صور فوتوغرافية شـــآمية يزيد عمرها على القرن، أو نتوقف عند غلاف لنبيل شحادة في الأردن، أو نقرأ ثلاث قصائد مترجمة للشـــاعر الكويتي أحمد مشـــاري العدواني. ومصير UR أو مجلـــة The International Magazine of Arab Culture هو كمصير معظم مجلات الفن التشكيلي؛ الغياب.

مجلات الفن التشكيلي - نماذج - جلجامش

بالإنجليزية أيضا، وعلى نفس درب التخصص في الثقافة والفنون العراقية، صدرت مجلة GILGAMESH في بغداد، عن دار المأمون للترجمة والنشـــر، بوزارة الإعلام والثقافة بالعراق. الفارق في جودة الطباعة كان شاسعًا، فقد جاءت جلجامش متواضعة الطباعة، كبيرة الحرف الذي يخفي رداءة التقنية، مهتزة الصور، إلا أن محتواها كان زاخرًا.

ففي عدد واحد، يمتد على مساحة مائة صفحة من القطع الكبير، ســـنقرأ عن أعمال خالد الجادر، في ملف شامل لرسومه التي تعكس

البيئة العراقية، وسـيكرس ملف آخر لنازك الملائكة تكتب فيه سلمى الخضراء الجيوسي عن النســاء في شعرها، ويرصد محمد خضير رؤيتهـا للمدينـة، بينما يسـتغرق باقي الملف في ترجمات لشـعرها وقراءات لأعمالها، قبل أن يكتب عبد الله إبراهيم عن تداخل الأنساق في القصة العراقية، مع مواضيع «أدبية» أخرى، فيما يحضر المسرح وبعض الفنون غير التشكيلية في باقي صفحات العدد. ولم يكن حظ جلجامش أسعد من زميلتها في عاصمة الضباب.

مجلات الفن التشكيلي - نماذج - بريزم

مجلة متواضعـة الإمكانيات، يصدرها بالإنجليزية قطاع العلاقات الثقافيـة الخارجية بوزارة الثقافة، في مصـر، وتترجم مقالات عن الثقافـة والفنون في مصـر. وقد بدأت تصدر ضمن هذه السلسـة ترجمات لبعـض الكتب المتخصصة في الفن التشـكيلي، عن أعلام الفن المصري، باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

مجلات الفن التشكيلي - نماذج - الفنون والعالم الإسلامي

مجلـة أخرى باللغة الإنجليزية هي التي تصدرُ أربع مرات سـنويا (وأحيانا تصدر عددا مزدوجًا لتقلص عدد الإصدارات السنوية) هي ARTS Of The Islamic World وهـي التي صدرت في ١٩٨٣ متزامنة مع سابقتها The International Magazine of Arab Culture ولكن بنظرة أوسع لتشمل فنون العالم الإسلامي.

إن نظـرة على محتويات الأعداد المتوافـرة لدينا من هذه الدورية بـين عامي ١٩٨٣ و١٩٨٥ نرى حرفية أعلى، ومقالات أشـمل، ومدى جغرافيا أكثر اتساعًا، وكتابًا باللغة الإنجليزية كلغة أم. وفي عدد واحد سنقرأ عن مجموعة الصباح (من الآثار الإسلامية) في متحف الكويت الوطنـي بقلم Huon Mallilieu، ثم نتأمل الترميمات في شـارع المعـز لدين الله الفاطمي بالقاهـرة الفاطمية، في مقال كتبه John Rodenbeck، ثـم نتعرف إلى كيفية اقتناء منتجات الحرف اليدوية في المملكة العربية السعودية كما رصدها John Topham، وفنون

الزخرفة المعاصرة في العمارة المغربية اليوم التي صورتها Shirly Kay، والفنون الإسلامية في ماليزيا يقدمها Yatim Othman، وهواية جمع العملات المعدنية بين المتعة والاستثمار يشرحها Saleem Shahed، والمنظور الإسلامي من وجهة نظر معمارية يقدمها Michael Darby، والأعمال الفنية العظيمة في الفنون والعمارة الإسلامية كما يرصدها J.R. Gibson، فضلا عن سيرة ذاتية لفنان، وأخبار عن معارض، وملخصات وعروض لإصدارات في الفن، ورسائل القراء والمحررين، وإعلانات تتوزع على بعض الصفحات في مجالات الفنون ذاتها. وتمتدح افتتاحية Arts Of The Islamic World وهي تقدم لمجموعة الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح وزوجته الشيخة حصة الصباح، مسعى راعيي المجموعة في أن تكون تعليمية، وتصف الاستقبال الحافل لهذه المقتنيات التي انتقلت لاحقا إلى دار الآثار الإسلامية.

مجلات الفن التشكيلي. نماذج. معمار: العمارة والتطور

نضيف إلى الدوريتين اللتين أشرنا إليهما، وتصدران باللغة الإنجليزية، دورية أخرى لا تقل أهمية، ولا اعتناء بالفنون المعمارية في المدن العربية والحواضر الإسلامية، وهي دورية MIMAR. Architecture in Development التي تصدر في سنغافورة، كفصلية للعمارة الدولية في الدول النامية في ٨٢ صفحة، نصفها بالألوان.

وقد تنوعت موضوعات معمار تنوعًا هائلا، واتضح فيها مدى ارتباط الفنون بالحياة، واتكاء الحياة على الفنون، وخاصة أن مسابقتها المعمارية. على سبيل المثال. يفوز بها معماريون ومصممون من تركيا وفنزويلا وهونج كونج، والصين، وفرنسا، وكندا، بهيئة تحكيم من إيطاليا ومصر وسنغافورة، وبسؤال معماري في تصميم منزل برؤية فنية تتكيء على التاريخ، وتنظر إلى المستقبل.

ومن بين موضوعات MIMAR. Architecture in Development نقرأ: فنادق آسيا ذات الخمس نجوم، أعمال

الفنان الأردني جعفر طوقان، إعادة التأمل في عمارة المستعمرات، البيوت التقليدية في الكويت، دليل مدينتي القاهرة والرباط، بالخرائط وصور الآثار، العمارة المغربية المعاصرة، وصناعة النسيج في داغستان. والمعمارية الإقليمية.

مجلات الفن التشكيلي . نماذج . فنون مصرية

في قطع باذخ كبير، يستعيد روح كتب الفن، صدرت مجلة «فنون مصرية»، عن وزارة الثقافة في مصر (يوليو ٢٠٠٤)، وهو الصدور الذي وصفه رئيس تحريرها منير عامر بأنه مغامرة مصرية، تؤكد القدرة على عناق البساطة مع الرصانة، والجمال مع المعرفة، وتتجول فيها العين من خلال اللوحات، وكأنك تزور معرضا مطبوعًا يضم بعضا مما هو جوهري في الفنون الرفيعة. فتكتب سناء البيسي، مستشار التحرير، باسم «زهر المشمش» عن رحلتها مع زوجها الفنان الراحل منير كنعان، وتخصص الصفحات الأكبر للفنان الذي تسلم الإزميل (من أجداده الفراعنة) محمود مختار، وتقرأ سمحة الخولي أستاذة الجيل سيرتها الذاتية بينما يرسمها الفنان عبد العال حسن، ونتوقف في زيارتين، الأولى للملك توت عنخ آمون وآثاره خارج مصر، والثانية داخل المتحف القومي بالإسكندرية، بينما نطالع حدائق ليست خيالية، تجسد اللون الأخضر في القاهرة، وكأنها قاهرة غير التي نعرفها. بينما يزور كاتب. بغير مناسبة، وبصور قليلة الجودة على هذه الطباعة الباذخة. عمارة الفنان أنطونيو جاودي في برشلونة.

قبل عام من صدور هذه الدورية كنتُ سألتُ الفنان فاروق حسني وزير الثقافة عن عدم إقدامه على إصدار دورية ثقافية، فساق مبررات ملخصها أن القاهرة (الصحيفة الأسبوعية) والمحيط الثقافي (المجلة الشهرية) تقدمان. حاليًا. ما يكفي القارىء العام، وأنه لو فكّر في إصدار دورية، فيجب ألا تقل عن جودة المجلات التي يراها في فرنسا وإيطاليا، محتوى وطباعة. وقد صدق الوزير في شأن الطباعة، أما المحتوى النخبوي في أغلبه، فلن يصل للقارىء

العام، لسبب رئيسي هو غلاء سعر المطبوعة، وعدم توفرها للبيع، إذ إنها ستتاح لمن يترددون على المكتبات العامة، وهو ما أشك في تحققه فلــن توجد ميزانية تكفي لأن يحتفظ بمجلة للاطلاع الدائم في كافة مكتبات مصر، التي فقدت روادها لسبب أو لآخر. وتصدر المجلة في ١٦٤ صفحة بالألوان.

مجلات الفن التشكيلي ـ نماذج ـ الحياة التشكيلية

حين عادت «الحياة التشكيلية» الفصلية المتخصصة التي تصدرها وزارة الثقافة الســورية إلى الصدور في ربيع ٢٠٠٤، كان ذلك عيدًا للتشــكيليين، دفع رئيس تحريرها الدكتور عبد الله الســيد، إلى أن يُعلــي من نبرة التفاؤل والتحذير فــي آن واحد في افتتاحيته، التي تحدث فيها عن التصاق التشكيل الوافد بقشرة خارجية لثقافة فئة محدودة، بعــد أن اصطدم بأرضية ومجتمعات تحمل ثقافة بصرية تراثيــة، غلبت بها الثقافة الصوتية ـ الســمعية، مما عد التشــكيل لــدى البعض، لغة أجنبية، يقــول: «إن الكتابة عن الفنون البصرية، بدأت بصحافة الصحف ومجلاتهــا، فكانت ذات طابع إعلامي، أو تبشــيري، أو تشجيعي، ثم انزلقت هذه الكتابات، إلى التبرير بحكم الفكــر العام الســائد، وذلك مع بروز أســماء لمبدعين كانوا فاعلين في النشــاطات المحلية، وبعض النشاطات الدولية، واتسموا بنشاط إجتماعي وإعلامي واســعين، مما جعلنا بعيدين عن الفكر النقدي، الذي لا يولد الفكر التشكيلي والجمالي إلا في رحابه. وقد نتج عن ذلك أن وظف النقد كهامش للتشــكيل أو تابع له، فابتعد النقدُ عن التصور، الذي يجعل منه مجالا مســتقلا فــي مجاله، مادته الخام الظاهرة التشــكيلية، وهدفه اكتشــاف النظم الجمالية والتعبيرية والاتصالية، وتفســير هذه النظم، التي مارســها الإنسان، منذ كان يســكن كهوفه»، ويرى الســيد أن «الحياة التشــكيلية» ستحاول أن تساهم في استدراك ذلك.

والمجلة الفصليــة ـ التي عادت للصدور مع عددها رقم ٦٨ ـ تأتي في مائة وأربع وستين صفحة، ببعض الملازم الملونة، وبتبويب طموح

بـين علوم الفن وأبحاثه، وحوار مع الفنانين ورؤى لسـيرهم، فضلا عن بانوراما موسعة من المتابعات المحلية والعربية والعالمية.

مجلات الفن التشكيلي ـ نماذج ـ الشموع

فـي مـارس (آذار) ١٩٨٦، أصدرت الدكتـورة لوتس عبد الكريم العدد الأول من مجلة تحمل اسم غاليري الفنون الذي ترعاه بضاحية المعـادي في القاهـرة: الشـموع. وكانت لوتس تطمح فـي أن تكون (الشـموع) التي خصصتها للفنون والآداب إضاءة وسط ظلام بصري غشـي القاهرة وفوضى عشوائية استباحت نمط الحياة بها، وتصدر شـعارها (من أجـل قيمة الجمال في الأدب والفـن والحياة) غلاف عددها الأول الذي تـرأس تحريره الكاتب الراحل أحمد بهاء الدين، وأشرف عليه فنيا الرسام حلمي التوني.

كانت قضيـة المجلة كما تقول لوتس عبد الكـريم: محاربة القبح والركاكة فـي جميع المجالات والدعوة إلى تلـك القيم الجمالية في الشارع والبيت وشتى نواحي الحياة، من منطلق أن الجمال ليس سلعة كمالية يمكن الاسـتغناء عنها، فالانسـان الأول قبل بناء أي حضارة، كان أول ما صنعه هو إناء من الطين الجاف يأكل فيه، وهو ما لبث أن مـد يده ينقش على هذا الإناء زهرة.. أو يضع عليه بضعة خطوط.. بفضل حاسـة الجمال التي هي جزء من إنسانيته. وكتب أحمد بهاء الديـن في ذلك العدد: هنـاك عين تنظر إلى كـوم الزبالة ولا تراه، إنهـا عين تعودت أن تـرى القبيح، حتى ألفته، وتعـودت عليه. وهذا مثلا يفسـر ثلاثة أرباع النفايات التي يلقيها الناس في غير مكانها، وملايـين الإهمالات الصغيرة في حـق النظافة التي هي من الايمان وفي حق البيئة وكما نطالب الدولة بمسئوليتها نحو الذوق العام فإننا لابد أن نطالب أنفسـنا بنفس المعيار. ولا يمكـن أن يقوم في مدينة مهملـة (متحف) ممتاز وعلى أعلى مسـتويات الذوق والجمال! هذا انفصام في الشـخصية لا يستمر طويلا، فإما أن يهتم نفس الانسان برفع مسـتوى المدينة، وإما أن يمتـد تلوث المدينة إلى داخل المتحف، فيتحول إلى مخزن كريه!

مسيرة المجلة تمثل صراعا ضد كل التيارات التي تحارب الجمال، وإذا كانت أسـئلة العدد الأول عن فـن البورتريه الذي يقاوم الاندثار وسـط صخب الفن الجديد، الـذي يتهمه باسـتنفاد أغراضه، فإن الحركة التشـكيلية في مصر والقيـم الأصيلة التي ميزتها، كانت من بين القضايا التي تبنتها (الشموع).

مجلات الفن التشكيلي. نماذج. فنون عربية

إذا شئنا أن نضع أيدينا على أبرز التجارب العربية في إصدار مجلة فنية تشـكيلية متكاملة، فإن العين لن تخطيء مجلـة «فنون عربية» التي كانت تجربة مميزة في الثقافة العربية، صدر عددها في لندن سنة ١٩٨١.

ففـي مائة وثمانين صفحـة من القطع الكبير، صـدرت «فنون عربية» كمجلـة فكرية تعنـى بالفن في الوطـن العربي، يـرأس تحريرها المبدعُ جبرا إبراهيم جبرا، ومدير التحرير فيها الشـاعر والناقد التشكيلي بُلند الحيدري، ومدير التصميم الفنان ضياء العزاوي.

المساهمون في «فنون عربية» يعكسون هذا الهوى الإنساني العالمي للفن التشـكيلي الـذي لا يعترف بالحدود الجغرافية، فمثلمـا يكتب فيها نقاد من مصر وسـورية، ويرسم لها فنانون من فلسطين ولبنان، ويراسلها نقاد وفنانون من العراق والمغرب، نجدها تسـتضيف ريشة جوسير جونز، وقلم كاندنسكي، واستبصار من محمود درويش وطاهر بنجلون ويوسف الصائغ لرسوم العزاوي باسم «النشيد الجسدي»: قصائد مرسومة لتل الزعتر.

ويمكن رصد ملامح تجربة «فنون عربية» فيما يلي:

● حرصها على ألا تجعل من الفن مادة جاهزة، بل هو جزءٌ من الحياة اليومية، يتصل بها وتتصل به، ولذلك كانت متابعتها - بشـفافية وشـمول - للكتب في مجال الفن التشكيلي، واستبصار أكثر من رأي حولها، مثلما كان حـرص «فنون عربية» على التجول حـول العالم بقلم عربي، يقرأ معارض الإنسانية ليضعها في قالب لغوي أنيق وبسيط يحمل في طياته بلاغته.

● كان لتداخل الأجناس الإبداعية دوره في مجلة تشـكيلية يشرف عليها ويسـاهم فيها أدبـاء بارعون، ومترجمون مبدعون، وشـعراء نابهون. لذا بات من الطبيعي أن نقرأ فيها كُتّابًا عن الفن أسماء مثل:

جبرا إبراهيم جبرا، بلند الحيدري، شـــريل داغر، مي مظفر، عباس بيضون، كمال بلاطة.

● أكـــدت «فنـــون عربية» على دور الثقافة الســـينمائية في تعميق اللغة البصرية، والتذوق الفني لدى قارئها، لذا عرضت أبوابا ثابتة في نقد الفن السابع، بين مخرجين يتحدثون عن أعمالهم، مثل الياباني أكيرا كيروساوا، أو نقاد ســـينمائيين يتناولون لغات الضوء والظل والسينوغرافيا والإخراج في أعمال خالدة على الشاشة الفضية.

● كان للترجمـــة دور كبيـــر في رفد «فنون عربيـــة» بكثير من مقالاتها، وبات من الطبيعي أن نقرأ نصف عدد صفحات المجلة لمســـاهمين أصليين أو مترجم عنهم.

ومـــن الجدير بالذكر أن نذكر كيف أن بصمـــة الفنان ضياء العزاوي لم تخطئها العين، في هندســـة المساحات اللونية، وتوزيع الصور، والاستفادة مـــن تقنيات الطباعة، حتى باللونين أو أحادية اللون، وهي أمور جعلت من «فنون عربية» أميز المجلات المتخصصة بصريا في معالجة الفنون الجميلة، على صفحات دورية مطبوعة. ثم جاء توقف «فنون عربية» كسابقاتها، من تجارب طموحة، ليؤكد على جسامة الصعوبات التي تعترض هذه المجلات المتخصصـــة، وأنها لم تعد مشـــروعًا فرديا على الإطـــلاق، كما أنها يجب ألا تكـــون مجرد مغامرة محكوم عليها بالفشـــل. ولذلك وجب أن نقرأ في خلاصـــات هذه الورقة الأســـباب الحقيقية وراء مـــوت أو اضمحلال دور مجلات الفنون التشكيلية في وطننا العربي.

خلاصات

الظاهرة المحبطة المرتبطة بالمجلات الثقافية بشكل عام، ومجلات الفن التشكيلي على وجه الخصوص، هي أنها مجلات قصيرة العمر، ما تلبث أن تختفي لأسباب كثيرة، أهمها:

● عدم توفر تمويل مادي لاســـتمرار مطبوعة لا يشتريها أحد، إما لغلائهـــا، أو لنخبويتها، أو لانتشـــار ثقافة الأميـــة البصرية، أو لغلبة الفنون الأخرى ووسائطها.

● غيـــاب الدعـــم المادي الذي يضمن اســـتمرار طباعتها بشـــكل يفي

موضوعاتهـــا حقها تقنيـــا، وفنيا، نظرا لطبيعة هذه المجلات التشـــكيلية المتخصصة، وضيق دائرة المهتمين بها.

● تبدأ الأمية البصرية في المؤسســـات التعليميـــة، بكُتب لا تعير الفن صفحاتها، تنافي الذوق الســـليم ولا تســـتند على أبجديات التصميم، ولا تراعـــي أصول الفنون في عرض المواد التعليمية، مما ينشـــئ مجتمعًا لا يعنى بالفنون الجميلة.

● غياب النقد التشكيلي الجاد، في ظل انغماس الكتاب بالإعلام العام، بعيدًا عن التلقي والتناول المتخصص. وهكذا تقلصت الصفحات التشكيلية المتخصصة في الإصدارات اليومية، واحتلت الإعلانات مكان الصفحات الأســـبوعية التشـــكيلية الإحتياطية دائمًا، بعد أن أصبح النقد التشكيلي على صفحـــات المجلات والدوريات، وفي الإذاعـــة والتليفزيون والقنوات الفضائية مجـــرد تغطية لافتتاح المعارض التـــي يؤمها غير المتخصصين مـــن الأصدقاء الذين يهمهم الظهور أمام الكاميرا لتوجيه التحية الأخوية للفنان.

● غربة الفنون اليوم، عن التناول الحياتي للواقع، والإغراق في الإغراب، والتجريد غير الممنهج، الذي يقفز إليه ضعاف الموهبة دون درس تشكيلي أو ضـــرورة فنية، ممـــا قلص الحضور البصري للوحـــة والفن في الحياة اليومية للمتلقي، الذي هو أهم عناصر جمهور المعرض والمجلة.

● توقـــف المجلات واحدة بعد الأخرى يرمـــي بثقله على القائمين على الفنون بأنها مشاريع خاسرة، وهـي نظرة تضر بتلقي الفنون، بشكل عام.

● قلـــة العناوين المترجمة والمؤلفة في مجال الفن التشـــكيلي في وطننا العربي.

إن علاج أوجه القصور هذه ســـتؤدي إلى عالم جديد، يمكننا أن نطالع فيـــه أكثر من مجلة معنية بالفنون التشـــكيلية، في أكثـــر من بلد عربي، وربما تســـتعيد «فنون عربية» وشـــقيقاتها الروح، فتعيد إلينا بعض الأمل في صحافة تشـــكيلية متخصصة. كما نتطلع فـــي الوقت الذي تكثر فيه المسابقات أن تنظم مسابقة متخصصة في مجال النقد التشكيلي، تشترك فيها كافة الأجيال فضلا عن إدخال النقد التشكيلي ضمن مناهج التربية الفنية.

التراث في المجلات والصحف العربية

د. خالد عزب *

هناك اهتمام خاص بالتراث بمفهومه الشامل في المجلات العربية، وإن كنا نقسم هذه المجلات من حيث التناول كما يلي:-

● مجلات ثقافية عامة: حيث تخصص العديد من المجلات الثقافية كالعربي والهلال ودبي الثقافية ونزوي بعض أبوابها أو محاورها لقضايا تراثية.

● مجلات تراثية عامة: تصدر هذه المجلات لتغطي قضايا تراثية وتعرض لأنشطة تراثية، مثل مجلة تراث التي تصدر عن نادي تراث الإمارات، ومجلة آفاق الثقافة والتراث التي تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، أو قد تكون متخصصة في موضوع تراثي بعينه كمجلة المتحف العربي التي كانت تصدر عن دار الآثار الإسلامية في الكويت وتوقفت عن الصدور، ومجلة الخط العربي التي تصدر في دبي.

● مجلات تراثية متخصصة: وهي مجلات علمية متخصصة، أبحاثها تتميز بأنها أكاديمية بحتة، مثل مجلة معهد المخطوطات العربية، ومجلة

كاتب من مصر

الرزنامة التي تصدر عن دار الكتب المصرية وحوليات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ومجلة أدوماتو والحوليات الأثرية السورية.

غير أن تناولنا للموضوع سيبدأ من الخاص إلى العام، أي من المجلات الأكثر تخصصاً إلى المجلات العامة التي تضع التراث وقضاياه ضمن اهتماماتها.

أولاً فإنني أدعوكم جميعاً إلى مشاركتي في مجلتين سعيت سعياً حثيثاً لإصدارهما:

- الأولى هي مجلة «مشكاة» الحولية المصرية للآثار الإسلامية التي تصدر عن المجلس الأعلى للآثار في مصر، ويرأس تحريرها الأستاذ الدكتور زاهي حواس، وأتولى سكرتارية تحريرها، المجلة تهدف إلى نشر الدراسات حول العمارة والفنون الإسلامية، ونتائج أعمال الحفر الأثري في الدول العربية، لقد كان تخصيص مجلة عربية للآثار الإسلامية تتيح فرصة جيدة للمهتمين والمتخصصين التواصل مع علم الآثار الإسلامية الذي ما زال هناك الكثير من علامات الاستفهام حوله، ولحسن الطالع فقد صدر العدد الأول من هذه الحولية في نوفمبر ٢٠٠٦، أي من قبل شهر من انعقاد مؤتمرنا هذا، سيجد القارئ فيه تركيزًا خاصًا على الآثار الإسلامية في اليمن، نظراً لأن هذا البلد العربي يزخر بتراث بكر ما زال محتفظاً بقسماته الأصلية دون تدخل حداثة العمران فيه، خاصة في مدن حيس وزبيد وصنعاء والحديدة وذي سفال وغيرها.

- المجلة الثانية هي مجلة « أبجديات» وهي مجلة علمية متخصصة في تاريخ الكتابة في العالم تصدر عن مركز الخطوط والنقوش والكتابات في مكتبة الإسكندرية، أرأس تحريرها، وهي تنشر أبحاثًا باللغات العربية والانجليزية والفرنسة والألمانية، صدر أول عدد منها في أكتوبر ٢٠٠٦، وهي تعد أول مجلة تراثية عربية تنفتح على العالم كله، إذ لا يعني التراث هنا تاريخ الكتابة في الوطن بل في العالم كله من الصين حتى الولايات المتحدة الأمريكية، هذا يعني تفاعلاً علميًا وثقافيًا بين الوطن العربي ومختلف حضارات العالم في شأن هو منطلق أي حضارة، وهو الكتابة أداة تعبير عن الإنسان وماهيته ومشاعره وأحاسيسه،ومعارفه وعلومه، الأساس الذي قامت عليه الحضارة الإنسانية، منذ عصور ما قبل التاريخ

وحتى اليوم.

إن هــذا يقودنا إلى المجلات التراثيـــة المتخصصة في الوطن العربي. هذه المجلات الراســخ والمســتمر منها يصدر عن هيئات ودوائر الآثار، ومن أبرزها ســومر حولية الآثــار العراقية، الحوليــات الأثرية العربية السورية وهي مجلة تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه، مجلة الأطلال وتصدر عن وكالة الآثار والمتاحف في المملكة العربية الســعودية، حولية الآثــار المصرية وتصدر عن المجلس الأعلى للآثار في مصر وتهتم بالآثار المصرية القديمة، هذه الدوريات العلمية المتخصصة في الآثار الســابق ذكرها، تعــد دولياً من أبرز المجلات الأثرية العربية، توقف بعضها ردهاً من الزمن لكنها مستمرة في الصدور، ويأخذ عليها ضيق دائرة توزيعها، إذ إن جلها إما تقدم على سبيل الإهداء أو التبادل ولا تطرح للبيع بصورة موســعة، ما يجعل دورها محدوداً في خدمة علم الآثار، وهو ما ينعكس حتى الآن في رؤية المجتمعات العربية الناقصة لهذا العلم، غير أن حدثاً مهمًا طرأ ســنة ٢٠٠٠م حين صدرت مجلة «أدوماتو»، وهي مجلة نصف ســنوية تعنى بآثار الوطن العربي، انفردت عن غيرها بكونها تصدر عن مؤسســة خاصة بتمويل خاص هي مؤسســة عبــد الرحمن الديري في الرياض، خرجت خارج ســياق المجلات المتخصصة في الآثار، يعود هذا إلى جودة إخراجها، انتقاء الموضوعات المنشــورة فيها بدقة، حيويتها في عــرض أحدث الإصدارات وأبرز المؤتمرات فــي مجال الآثار، أما الأهم فيها فهم هيئتها الاستشارية التي تجاوزت حدود الوطن المحدود بحدود، إلى العالمية، فقد ضمت خبراء من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والنمســا وألمانيا، فضلاً عن العديد من الخبراء العرب، انعكس هــذا على موضوعاتها إذ تتنوع ما بين عصور ما قبل التاريخ حتى القرن التاســع عشر الميلادي، ومن موريتانيا وحتى الكويت، فضلاً عن أنها تعد أفضل المجلات العربية الآثارية توزيعاً.

وفي مصر حدثت طفرة في المجلات المتخصصة أخيراً، هذه المجلات التــي بدأت في الظهور في القرن التاســع عشــر وازدهرت في النصف الثاني من القرن العشــرين، غير أننا نســتطيع أن نتوقف هنا عند مجلة الرزنامة.

بصـــدور مجلة الرزنامة عــن دار الكتب والوثائــق المصرية. تكون دار الكتب قد عبرت عن شــخصيتها المســتقلة ودورها في الحياة الثقافية المصرية، فبعد سنوات من التبعية المجحفة للهيئة المصرية العامة للكتاب، اســتقلت دار الكتب وبدأت أولى خطواتها نحو التحديث، الكل انتظر ما ســتقدمه الدار إلى أن بدأت تتبلــور روح الدار وتأخذ قالبًا جديدًا، لكن هذه الشخصية كانت في حاجة إلى ما يعبر عنها، إلى أن كانت الرزنامة، ورزنامة كلمة فارســية تعني دفتر اليوميــة، وهي توحي بما تضمه الدار مــن آلاف الوثائق التي تعبر عــن الحياة اليومية في مصر، صدر عددان من المجلة ومازال الثالث في الطريق.

العددان حملا العديد من الموضوعات الجيدة، يستوقفنا منها محاولة إعادة الروح إلى علم الأرشيف، فها هو دكتور محمد خضر في أول عدد يقدم مقدمة لعلم الأرشيف، ليكون القارئ على إحاطة به، وهو ينطلق في هذه المقدمة من التنظيمات الأرشيفية وأهميتها، فترتيب الأرشيفات هو أحد المظاهر الرئيســية لإدارتها، وهذا في رأيه صحيح بالنسبة للترتيب المــادي للمواد على الرفوف، ولكنه من ناحية أخرى جزء مهم من الإدارة العقلية للمعلومات التي تحتوي عليها تلك المواد. هذه الإدارة العقلية هي التي يهتم بها الوصف الأرشــيفي بصورة رئيســية. وعلى أساس معرفة وتحليل الهيكل الإداري للمؤسســـة التي أنتجت هذه التراكمات، ومعرفة الأقســـام المختلفة يتكون لدينا نظام لاسترجاع المعلومات والاستفادة من الأرشيف. إذا خرجنا من هذا الإطار التقديمي فسنجد دراسة نقدية في العدد الثاني لواقع علم الوثائق يهدف إلي دراســـة ونقد وتحليل الوثائق في مصر قدمها مجدي جرجس، انطلق فيها من افتراض أن علم الوثائق يهدف إلى دراســـة ونقد وتحليل الوثائق موضع الدراسة لتمكين إتاحتها باعتبارها شــواهد تاريخية، وفي رأيه أن هذا يستلزم طرح مجموعة من الأســئلة تصــب جميعها في إطار نقد المصدر. وانتهي في دراســته إلى عدد من الحقائق:

- عـــدم وضوح الفــروق الدقيقة بين منهج وعلــم الوثائق، ومنهج علم التاريخ، جعلت أدوات المنهجين تتداخل، وبالتالي اتجهت معظم دراسات المشــتغلين بالوثائق إلى التاريخ أكثر من الوثائق، حتى أصبح من الصعب

التمييز بين دور المؤرخ ودور الوثائقي في كثير من هذه الأعمال. وأهملت قضايـا منهـج علم الوثائق وأدواته، في حين أن التاريخ في حاجة ماسـة إلى الدور الذي يمكن أن يقوم به الوثائقي.

- الربـط بين علم الوثائق ومفهوم الصحـة، كان مرحلة تاريخية معينة في عمـر هذا التخصص تجاوزها منـذ فترة طويلة، وطور العلم أدوات دراسـة الشكل لتسـاير غاياته الجديدة، والتي تصب أساساً في كيفية تقديم الوثائق كشـواهد تاريخية، بينما ما زالت طريقة دراسـتنا للشكل تكبل انطلاق منهج دراسـة الوثائق العربية، ولم تقدم نتائج مهمـة - حتى الآن - يمكن أن تخدم التاريخ.

هـذا الجدل الذي أثاره مجدي جرجس مسـبوقا بمقدمـة للدكتور محمد خضـر، يخرج مجلة الرزنامة من طور تقديم مادة أرشـيفية جامدة، إلي طور النقد ومجابهة الحقائق الواقعية، وهو جدل ساحتنا الثقافية في أمس الحاجة إليـه، فهو يخـرج عن طور المجلة العلمية الجامعيـة الجامدة جمود العلم في جامعاتنـا، إلى طور التجديد والبحث عن ماهيـة العلم؟ إن ما نأمله من هذه المجلة أن تفتح دفتيها للباحثين العرب لكي تكون المجلة العربية للوثائق، ولتفتح آفاقًا جديدة للتواصل بين العرب ومصر.

الحديـث هنا قـد لا يكون مكتملا بغيـر العروج على مجلة آفـاق الثقافة والتـراث التي تصدر عن مركز جمعـة الماجد للثقافة والتراث، والتي ما زالت تصـدر منذ ١٤ عاما، صـدرت تحت إدارة عبد الرحمن فرفـور، ثم الدكتور عـز الديـن زغيبة، وهي من حيث المنهـج تعد متأثرة بكل مـن مجلتي المورد والدارة، وإن تميزت عنهما بالاستدراكات والدراسات النقدية والتحليلية، مثل الاسـتدراكات والملاحظات التي أعدها محمد سـليمان النفيسي ونشرت في العـدد ٤٥ غير أن هذه المجلة يعوقها عـدم طرحها للبيع للجمهور، إذ يقتصر توزيعهـا على الاشـتراكات و الاهداءات والتبادل، وهـو ما يجعل الحكم على مدى نجاحها مقصورا على الباحثين والدارسين ممن تصل إلى أياديهم المجلة، مما جعلها حبيسـة المكتبات والجامعات دون أن يكون تأثيرها واسع الانتشار، يتناسـب مع تنوع كتابهـا، فقد قدمت هذه المجلة بصفـة خاصة إلى باحثين واعدين من الجزائر والمغرب والعراق.

وتوجـد مجلتان فقط في الوطن العربـي تراثيتان حققتا نجاحاً لدى

القراء العاديين والمتخصصين وهما مجلة المورد العراقية والدرة السعودية ويرجع نجاح هاتين المجلتين إلى ثلاثة أسباب هي:-

١- جودة الإخراج، فنادراً ما نرى مجلة تراثية تهتم بالشكل العام لها. وبتنسيق صفحاتها الداخلية، وبالاهتمام بها كمطبوعة ذات مستوى ثقافي راق.

٢- رخص سعرهما وهو ما جعل القراء العاديين يتهافتون على هاتين المجلتين بالرغم من طابعهما الأكاديمي، وهذا يعني وصول مادة تراثية جيدة إلى القراء تساهم بشكل جدي في إحياء التراث الإسلامي.

٣- جودة الموضوعات المختارة، وإن كنا ننصح المشرفين على هاتين المجلتين التخفيف من الاحتفاء بالمناسبات الإقليمية المحدودة على صفحات المجلتين، لكي تكونا مجلتين للتراث في العالم الإسلامي تحظيان بمصداقية مطلقة لدى القراء. وترجع جودة موضوعات المجلتين إلى كونهما مجلتين محكمتين علمياً، وخروج مجلتين محكمتين خارج ردهات الجامعات إلى القراء لهو أمر جدير بالدراسة والتأمل والتقليد.

المورد

المورد مجلة فصلية تراثية، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة العراقية، تهتم بالدراسات التراثية الخاصة بالحضارة الإسلامية، وكذلك تولي النقد العلمي والتعقيبات على الموضوعات المنشورة أهمية خاصة، ولعل أكثر ما يشد الانتباه في هذه المجلة أمران هما:-

١. اهتمامها بنشر مخطوطات محققه على نحو ما نشر في المجلد ١٦ العدد ٢/٤١-١٩٨٧م مثل:- كتاب السلاح، لأبي سعيد الأصمعي والذي نشره محققاً د.محمد جبار المعيبد، ومخطوط المساحة الأكر بالأكر للسجزي، تحقيق د.علي اسحق عبد اللطيف.

٢. تخصيص أعداد من المجلة لموضوعات محددة تدور حولها العديد من الأبحاث كتخصيص عدد عن الخط العربي، وآخر عن أدب الرحلات.

الدارة

الدارة مجلة فصلية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز آل سعود

بالرياض، وهي تعتني بصفة خاصة بكل ما يتعلق بشبه الجزيرة العربية وبصفة عامة بكل ما يتعلق بالوطن العربي من موضوعات، وهذه المجلة لاقت نجاحاً لنفس الأسباب التي كانت سبباً في نجاح مجلة المورد العراقية، ونجحت الدارة في جذب العديد من أساتذة الجامعات للنشر فيها لكونها مجلة محكمة.

مجلات تراثية عامة:

يعتبر هذا النوع من المجلات هو الأكثر صعوبة، إذ إن إعدادها يتطلب كتابا يجمعون بين التخصص الدقيق والعرض البسيط الرشيق للموضوع، بين الرصانة العلمية وروح التفاعل مع القارئ، بين الجدية وبث التشويق للعين سواء بالصورة الجيدة أو الإخراج الراقي. كل هذا يجعل من هذا النوع من المجلات صعبة المنال ونجاحها أمراً يصعب على الكثيرين، لذا هي تمثل المشكلة الكبرى في الوطن العربي إلى اليوم، لعلني هنا استحضر مجلتين توقفت أمامهما كثيرا، هما مجلة الموسيقي التي صدرت سنة ١٩٣٥، وعرفها القائمون عليها بأنها لسان حال المعهد الملكي للموسيقي العربية، رأس تحريرها الدكتور محمود الحفني، الذي استطاع أن يثير قضايا عديدة في إعداد المجلة كتدوين الموسيقي العربية، والنشيد القومي المصري والأوبرا الايطالية في القرن التاسع عشر، وقد يدهش المرء حينما يعلم أن هذه المجلة جذبت بعض المعنيين بها، على الرغم من تخصصها، هذا يعني أن هذه المجلة جذبت بعض المعنيين بها، على الرغم من تخصصها، كما أن المادة المقدمة جذبت القارئ، فأجبرت المعلن على أن يقترب منها راغبا في الوصول لهذا القارئ.

تنوعت مثل هذه المجلات في النصف الأول من القرن العشرين في مصر فظهرت مجلة الضياء كمجلة علمية ومجلة الهندسة ومجلة العمارة التي ظهرت سنة ١٩٣٨ م، كأول مجلة معمارية عربية متعددة الموضوعات، اهتمت بدراسة التراث المعماري العربي والمصري بوجه خاص، غير أن تغير الأوضاع في مصر حال دون استمرار هذه المجلات بعد العام ١٩٥٢م.

هنا تبرز العديد من التجارب الناجحة في الدول العربية كمجلة التراث الشعبي التي تصدر في العراق، والتي تعد ارسخ المجلات العربية في هذا

المجال، ومجلة التراث الشعبي التي تصدر في الدوحة عن مجلس تعاون دول الخليج العربي، لكنني سأتوقف قليلا عند تجربة لم يكتب لها الاستمرارية، هي تجربة مجلة المتحف العربي التي صدرت العام ١٩٨٧ م عن دار الآثار الإسلامية في الكويت واستمرت حتى العام ١٩٩١م، كمجلة تراثية ربع سنوية متخصصة في علم المتاحف والعلوم المساعدة لها، كالفنون وتاريخ الخط والعملات والعمارة.. الخ، هذه المجلة التي ندر أن يوجد نظير لها في اللغة العربية، مثل توقفها صدمة شديدة، خاصة أن مثل هذه المجلات منتشرة في العالم كله، ولليونسكو مجلة متخصصة المتاحف تترجم في القاهرة إلى اللغة العربية، وتعد حاليا هي المرجع الرئيسي في هذا المضمار.

أما ما يلفت الانتباه انه في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين ظهرت مجلة من أروع وأفخم وأكثر المجلات التراثية التي تناولت التراث العربي والإسلامي في ألمانيا، حتى انه لا يوجد مهتم بهذا التراث في أوربا والولايات المتحدة وفي كبريات المتاحف والمكتبات إلا واقتني مجلة فكر وفن التي صدرت في ألمانيا برعاية وإشراف كل من ألبرت تايلا وآنا ماري شيمل، تعد هذه المجلة مرجعا أكاديميا على الرغم من بساطة موضوعاتها، التي كان يشترط فيها دائما أن تكون جديدة، ولعل تخصص آن ماري شيمل هو الذي انعكس بصورة رائعة على المجلة فكانت تختار الكتاب بنفسها وتدقق وتمحص فيما ينشر، هنا يظهر الفارق بين إدارة التحرير المتخصصة وبين الاختيار العشوائي لإدارة التحرير في المجلات المتخصصة، فعلى الرغم من احتفاء المجلات المصرية بألفية القاهرة، فإن العدد الخاص الذي صدر عن فكر وفن في العام ١٩٦٩ يعد أكثرها دقة وسموا، وتنوعا وحرصا على أن يقرأ القارئ فيه ما هو جديد، على نحو موضوع مصر في لوحات بأول كلية، وزخارف قباب القاهرة، فنون إسلامية في مجموعات ألمانية.

مجلة تراث:

تعد مجلة تراث التي تصدر عن نادي تراث الإمارات مجلة فريدة إذ تتناول التراث بمفهومه الشامل، بدءاً من العمارة والمخطوطات وقضايا اللغة العربية، فضلاً عن إثارة حوار بين القراء والباحثين، غير أن جودة المجلة شابها في بعض الأحيان أن بعض الكتاب كانوا دون المستوى

المطلـوب، فضلاً عن اهتزاز أعداد المجلة صعوداً وهبوطاً في السـنتين الأخيرتـين، فلجـأ بعض الكتاب إلى استنسـاخ موضوعات من شـبكة الانترنـت، أو جمود المجلة على موضوعات سـبقتها غيرها من المجلات من حيث التناول، فأصبحت في بعض الأحيان تكراراً لما سـبق نشره في مجلات أخرى، وأخيراً رأت إدارة نادي تراث الإمارات مراجعة سياسـة المجلة التحريرية، فبدلاً من صدورها شـهرياً سـتصدر بـدءاً من العام ٢٠٠٧ ربع سـنوية، وستعتمد على الدراسات فضلاً عن الاستطلاعات و الابتكار في طرق التناول بدلاً من استنساخ الموضوعات، إذا نجحت هذه السياسة ستكون هذه المجلة فريدة من نوعها في الوطن العربي.

مجلة أمكنة:

أمكنة فكـرة جديدة ولدت بالإسـكندرية العام ١٩٩٩. ولأنها سـكندرية النشـأة لم تحـظ كغيرها من المجـلات الثقافية التافهة بـأي عناية تذكر. فكثيرة هي المجلات الثقافية التي تصدر إما ممولة أو عن مؤسسات رسمية، لكن معظمها سـيختفي دون أن يؤسـس لرؤية جديدة. أمكنة تؤسس لرؤية متكاملة تقوم علـى تقديم صور للتحول من خلال المكان والزمان في الحياة الثقافية بأسـلوب سـلس رشـيق، فهي تهتم بالكتابات التـي تتناول المكان: ثقافته، وتاريخه، الناس الذين صنعوا هذا التاريخ، سـواء بإرادتهم أو بحكم وجودهـم بـه. والخصوصية الفنية لهذا المكان، التي تكونت من ممارسـات عاديـة لم يكن مقصـوداً بها الفن من قبل، ولكنهـا أصبحت فناً الآن بحكم الظروف الجديدة التي تجعلنا نعيد ترتيب إحساسـنا بالفن. المهم أن تتسم تلك الكتابات بتحليل أدبي لهذه النقاط التي تم ذكرها أو غيرها من النقاط اللانهائية التي يمكن أن تعرف المكان.

المجلات الثقافية والتراث

يجيء التـراث ضمن أحد اهتماماتها، وهـذه المجلة هي مجلة الفكر الكويتية، والتي خصصت عددًا من أعدادها كأعداد خاصة بموضوعات تراثية، كعدد دراسـات في التراث وعدد المدينة الإسـلامية وهي تنشر بخلاف ذلك ضمن أعدادها موضوعات تتعلق بالتراث الإسلامي وتتميز

هذه المجلة بانتشارها عن المجلتين السابقتين.

وتتميز المجلات الشـهرية الثقافية بأن قاعدة قرائها أوسـع من قراء المجلات الفصلية، وهذا يرجع إلى البسـاطة في تناول موضوعاتها عن المجلات الفصلية، فضلاً عن تنوع هذه الموضوعات.

وقـد بـرزت العديد من المجـلات خلال ربـع القرن الماضـي، ولعل أكثرها شـهرة مجلة العربـي والتي أتاحت لها الإمكانـات التي وفرتها لها حكومة الكويت انتشـاراً واسعاً، وكان لها اهتمام خاص بالتراث منذ أول عدد منها، على سـبيل المثال سلسـلة مقالات كتبها المرحوم الدكتور عبـد الحليم منتصر عن علماء المسـلمين مثل جابر بـن حيان والرازي الحسـن بن الحميثم ، ابن زهر ، ابن وحشـيه وتبرز إمكانات «العربي» في الاسـتطلاعات المصورة التـي يقوم بها محرروها ومنها اسـتطلاع للكاتـب المعروف فهمي هويـدي بعنوان، الله في الصـين، وغيرها من الاستطلاعات التي تتعلق في بعض الأحيان بالشعوب الإسلامية وتراثها ومن أبرز من قاموا بهذه الاسـتطلاعات محمود عبد الوهاب، سـليمان الشيخ ومصطفى نبيل الهيثم، أشرف أبو اليزيد، ومحمد المنسي قنديل. وتنشر المجلة كذلك دراسات تتعلق بقضايا تراثية.

الفيصل

منذ أن صدرت مجلة الفيصل السـعودية في عام ١٩٧٧م، وهي تولي التراث أهمية خاصة، وتجلى هذا في سلسـلة من الموضوعات عن مدن العالم الإسـلامي التراثية غير أن هذه السلسـلة قد توقفت فجأة دون سـبب واضح، بالرغم من أنـه يوجد في العالم الإسـلامي ١٢٥ مدينة تراثيـة. فإن معظم المجـلات ومنها الفيصل لا تتناول سـوى ٣٥ مدينة تراثية فقط مشـهورة، والباقي مهمل، ومن المدن المشـهورة التي تتناولها المجلات بصفة مستمرة حتى حفظ القراء أسماء معالمها القاهرة - فاس - بغداد- الكوفة- تونس- مراكش- غرناطة- دمشـق- القدس- حلب وغيرها من المدن المهملة، مدن الجمهوريات الإسلامية في إفريقيا والتي توجد في تشـاد، مالي، النيجر، وفي آسيا مدن باكستان- بنجلاديش - الهنـد - عمان- اليمن- ماليزيا. واهتمت الفيصل أيضاً بالتراث العلمي

الإسلامي فنشرت عن كيفية مواجهة المسلمين لمشكلة المياه؟ وعن عباقرة العلوم التطبيقية في الحضارة الإسلامية العربية واهتمت بابتكارات ومخترعات علماء المسلمين على نحو الموضوع المنشور عن مبتكر المربع السحري، ثابت بن قرة. ومنذ تولي الدكتور زيد بن عبد المحسن الحسين رئاسة تحرير هذه المجلة خلفاً للأستاذ علوي طه الصافي، اهتم بالتعريف بالمخطوطات غير المنشورة فخصص لذلك ظهر غلاف المجلة لنشر أول صفحة من كل مخطوط يصاحبها تعريف بمؤلف هذا المخطوط ومحتوياته وأهميته ومكان حفظه وهو أمر قل بل ندر أن تهتم به أي مجلة أخرى .

المنهل

منذ أن ظهرت المنهل كأول مجلة ثقافية بالمملكة العربية السعودية، وذلك منذ سبعة وخمسين عاماً وهي تهتم بالتراث الإسلامي اهتماماً خاصاً وذلك انعكاساً لاهتمامات صاحبها ورئيس تحريرها المرحوم عبد القدوس الأنصاري الذي ألف عدداً كبيراً من الكتب التراثية، وكان بالمجلة ملحق سماه المشرفون عليها «عالم المخطوطات» «يهتم» بالتعريف بالمخطوطات ونشر فهارس المخطوطات غير أن هذا الملحق قد توقف دون سبب واضح بالرغم من أنه كان يميز هذه المجلة. واهتمت المجلة أيضاً بنشر الدراسات التراثية وذلك في باب ثقافة ودراسات بالمجلة، واهتمت أيضاً بالمدن الإسلامية وبصفة خاصة القدس في باب السائح، وتصدر المجلة أعداداً خاصة يتناول كل منها موضوعًا واحدًا بأقلام الباحثين مثل العدد الذي أصدرته عن الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري وهو يتناول الفكر الوافد إلينا والتعريف به، والتصدي الحضاري له المتمثل في وسائله المتاحة من فكرية وعملية وأصدرت المجلة كذلك عدداً عن المدينة المنورة تناول المدينة تاريخها وموقعها وآثارها وما قاله الشعراء في وصفها.

واهتمت المجلات الدينية بالتراث الإسلامي وذلك جزء من رسالتها، ومن هذه المجلات: مجلة الأزهر التي استكتبت الدكتور أحمد فؤاد باشا أستاذ الفيزيقا بجامعة القاهرة ليكتب عن التراث العلمي الإسلامي،

وقد جمعت المجلة بعض مقالات الدكتور أحمد باشا في كتاب صغير صدر في رمضان ١٤١٢هـ- إهداء من المجلة لقرائها، وتتناول مقالات هذا الكتاب تصحيح الآراء الشائعة حول سبق الغرب في رصد ظاهرة الجاذبية ووضع نظريات الميكانيكا وعلم المناظر وطرق البحث عن المعادن وهي كلها كان المسلمون هم أصحاب السبق فيها. ومن المجلات الدينية الأخرى التي تهتم بالتراث الإسلامي مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، ومجلة منار الإسلام الإماراتية.

الصحف والتراث:

صحيفة الحياة

خصصت صحيفة الحياة صفحة يومية للتراث حاليا أسبوعية مما يجعلها تتميز عن باقي الصحف العربية. واستطاعت أن تجذب عدداً كبيراً من المتخصصين للكتابة في هذه الصفحة، منهم على سبيل المثال: الدكتور صلاح الدين المنجد والدكتور فيليب حتي ومحمود السيد دغيم وغيرهم كثير.

وقد تنوعت الموضوعات التي تتناولها هذه الصفحة وإن ركزت بصفة خاصة على العمارة والفنون الإسلامية بالدرجة الأولى غير أن يؤخذ على موضوعات العمارة والفنون الإسلامية هو التركيز على بلاد الشام (سورية، لبنان، فلسطين، الأردن ومصر)، وذلك في موضوعات العمارة، بينما يحظى الخزف بالعناية من قبل كتاب هذه الصفحة دون غيره من الفنون الإسلامية، أما بالنسبة لأسلوب كتابة هذه الموضوعات فهو يتميز بالبساطة وإن كان هناك تضارب في استخدام المصطلحات المعمارية والفنية الدالة على العنصر المعماري والفني وهذا راجع إلى عدم الاتفاق حتى الآن بين الدول الإسلامية على هذه المصطلحات.

- لقيت الرحلات وكتب الجغرافيا اهتماماً من كتاب هذه الصفحة واهتمت بصفة خاصة بالرحلات المجهولة بالنسبة للقراء، على نحو ما نشر في عدد ١٢ أغسطس ١٩٩٢م تحت عنوان « الرحالة العرب وأوربا في القرن التاسع عشر» وذلك بقلم الدكتور يوسف الشويري الأستاذ في جامعة أكسترا، وهو يرى أن رحلات العرب في القرن ١٩م

إلى أوربا كانت رحلات تلقينية هدفها اختراق أسـرار عالم جديد. وقد تبع هذا الموضوع تعليق من الباحث السوري محمود الدغيم، فقد ناقشه في نقاط عـدة لعل أبرزها اعتبار الدكتور الشـويري أن أدب الرحلات العربية...ظاهـرة جديدة في الفكر العربـي افتتحها عصر النهضة في القرن التاسـع عشـر، وقد رد عليه الباحث بأن هـذا الاعتبار أمر غير مقبـول، بل هـو أمر تفنده وقائع التراث المخطـوط والمطبوع. وأما عن تصحيح المعلومات الجغرافية فقد نشـرت الحيـاة موضوعاً عن « أقدم خريطتين لأمريكا رسـمهما بحار مسلم وهو البحار التركي الريس بيري قائد البحرية العثمانية في مصر خلال القرن ١٠هـ/١٦م، وقد نشر هذا الموضوع بمناسبة مرور ٥٠٠ عام على الاكتشاف الرسمي للأمريكتين.

– ولدراسـة الاستشـراق ورجاله أهمية خاصة لدى المهتمين بشئون التراث، ولذا نشـرت موضوعات عدة حول الاستشـراق والمستشرقين، ومنها دراسـة محمد السـيد دغيم عن كونت سـويدي حمل اسم عمر وغاص في عيون التراث العربي، وهذه الدراسـة يسبقها تعريف بتأريخ الاستشـراق في السويد وبحياة عمر السـويدي وأهم مؤلفاته ورحلاته، والاستشـراق في السـويد لم يحـظ بعناية الباحثين ولذلـك فإن هذا الموضوع له أهمية خاصة.

– اهتم كتاب هذه الصفحة أيضاً بالدراسات التاريخية الحضارية وهو جانب مهم في مثل هذه الصفحات على نحو الدراسـة التي نشرها زياد الكـردي عن بريد العرب في الجاهلية والإسـلام وذلك في عدد ٥يناير ١٩٩٢. وناقشـت هذه الصفحة العديد من القضايـا الفكرية على نحو الدراسة التي نشرها ماري ألماظ شهرستان عن الدولة عند ابن خلدون، وهو يتسـاءل هل تحتوي النظرية الخلدونية علـى رؤية واضحة للدولة المعاصرة؟، وقد أثبتت أن النظرية الخلدونية تحتوي على هذه الرؤية.

– الاهتمام بالكتب التي تصدر حديثاً في الأسـواق، و«الحياة» لكونها صحيفـة دولية فهي تتميـز بكثرة كتابها الذيـن يجعلونها تلاحق حركة الطباعة والنشـر في العالـم وذلك في كل من باريـس ولندن والقاهرة ودمشـق وبيروت والريـاض وغيرها من مدن العالـم. وهذا يجعل قراء الصفحـة على معرفة تامة بالكتب المنشـورة حديثاً، وفي الوقت نفسـه

على علم بملاحظات المتخصصين عليها من خلال ما ينشـــر من تعليقات على هذه الكتب بالصفحة.

ملحق ألوان من التراث

كان هذا الملحق يصدر كل يوم خميس بصحيفة المدينة المنورة السعودية وهـــو يتكون من أربـــع صفحات، ويرأس تحريـــره الدكتور محمد يعقوب تركستاني، وهذا الملحق يتميز بموضوعاته التي تأخذ طابعاً أكاديمياً في أغلب الأحيان، أما الموضوعات التي يتناولها هذا الملحق فهي:-

- المـــادة الإخبارية، وهي مادة تراثية يقـــل الاهتمام بها في الصحف الأخـــرى لكونها لا تهم غير المتخصصين، وإن كانـــت تضع القارئ دائماً موضـــع المتابع لمـــا يجري في أوســـاط المتخصصين، وتتنـــوع هذه المادة بـــين أخبار ما يحقـــق من مخطوطـــات وأحدث المطبوعـــات، والندوات والمؤتمرات.
- ولكي يجعل الملحق قراءه على صلة دائمة بما ينشـــر من موضوعات تراثيـــة في الصحف والمجلات الأخـــرى أوكل الملحق إلى اثنين من كتابه وهم محمد أيمن حســـين وحامد الشيخ حمزة إنجاز فهرس أسبوعي لما ينشر من موضوعات تراثية بهذه الصحف والمجلات، ولكي يتابع القارئ الرسائل العلمية التي نوقشت في الجامعات العربية والعالمية والتي تتعلق بالتراث أعد فهارس نشـــرها على حلقات متتابعة للرسائل التي أجيزت بهـــذه الجامعات وفي مجال الفهرســـة أيضاً حرص الملحق على نشـــر فهرس سنوي لما ينشر به من موضوعات.
- يولي ملحق التراث أهمية خاصة لعرض المخطوطات التي لم تحقق ولم تنشـــر من ذي قبل وفي هذا تعريف بتـــراث الأمة الذي ما زال جزء كبير منه محفوظاً في المكتبات العلمية.
- التعريف بالمؤسسات التراثية في العالم الإسلامي وذلك بسرد تاريخها وأنشطتها المختلفة، من ذلك تعريفه بجمعية دائرة المعارف العثمانية وهي من قلاع الثقافة الإسلامية في الهند، والتعريف بالعلماء.
- مناقشـــة العديـــد من قضايا التـــراث وذلك في بـــاب عنوانه« ومن المناقشـــة ينبثق النور» ومن هذه المناقشـــات مناقشة أيمن رشدي سويد

لرسالة دكتوراه قدمها الباحث محمد سيدي محمد الأمين عنوانها «كتاب الجامع في القراءات العشر، تصنيف أبي معشر» وحاول الكاتب أن يثبت أن الكتاب الذي حققه الباحث ليس هو جامع أبي معشر. وكثيراً ما أثارت الموضوعات التي ينشرها الملحق الباحثين فردوا معقبين عليها على صفحاته في باب أسماه المشرف على الصفحة تعقيباً على تعقيب وهو باب يثري دائرة الحوار بين الباحثين والقراء. ونفتقد نحن حالياً مثل هذا الباب والذي يؤدي في غالب الأحيان إلى ما نستطيع أن نسميه معارك علمية أو مبارزات علمية تنشط الحياة الفكرية الراكدة في صحفنا منذ أمد بعيد.

- عرض للرسائل العلمية التي تناقش وتعرض نتائج هذه الرسائل العلمية وكذلك خصص الملحق باباً تحت عنوان من ثمرات المطابع لعرض أحدث الكتب التي تصدرها المطابع.

وهذه الموضوعات هي أبرز ما في هذا الملحق بالإضافة إلى موضوعات أخرى مماثلة لما تم ذكره من موضوعات تنشر في صفحة التراث بصحيفة الحياة الدولية.

صوت الكويت

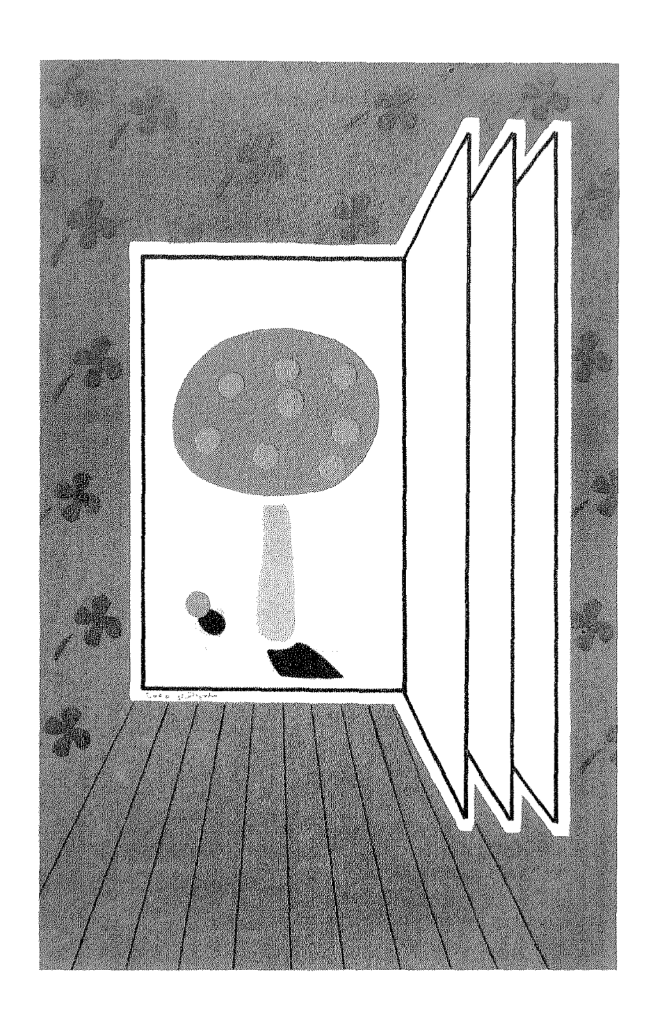
بالرغم من قصر المدة التي صدرت خلالها هذه الصحيفة من أكتوبر ١٩٩٠ م إلى نوفمبر ١٩٩٢، فإنها اهتمت بقضية إحياء التراث الإسلامي فخصصت له صفحة أسبوعية كل يوم أربعاء، واهتمت هذه الصفحة بالعديد من الموضوعات التراثية على غرار صفحة التراث بصحيفة الحياة.

وقد اهتمت هذه الصفحة بالمخطوطات والتعريف بها كالتعريف بمخطوط «الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة» لياقوت الحموي وكذلك اهتمت هذه الصفحة بالتعريف بمراكز التراث كالتعريف الذي نشر من خلال حوار مع محمد إبراهيم الشيباني مدير مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت.

واهتمت هذه الصفحة أيضاً بالعمارة والفنون الإسلامية، وكذلك بالدراسات التاريخية والحضارية، بالإضافة إلى الدراسات الفكرية

مما جعلها من حيث المستوى العلمي تتقارب مع مستوى صفحة التراث بالحياة، إلا أن صحيفة الحياة تميزت عنها باتساع مساحة النشر، وكثرة الباحثين الذين يكتبون لها، وكنتيجة طبيعية لذلك تعددت الموضوعات.

ويبقى لنا أن نذكر أن الصحف الثلاث السابقة هي صاحبة السبق في الاهتمام بقضية إحياء التراث الإسلامي، وهذا لا يعنى عدم اهتمام الصحف الأخرى، فصحف الشرق القطرية، والشرق الأوسط الدولية، والاتحاد الإماراتية وغيرها كثير تهتم بالتراث ولكن هذا الاهتمام محدود ويقتصر على نشر موضوع من مدة لأخرى، وهذا ما يجعلنا ندعوها إلى أن تخصص ولو صفحة أسبوعية للتراث الإسلامي. بل إن الصحف المصرية تكاد تهمل كلية التراث الإسلامي على صفحاتها، وهذا ما يجعلنا ندعو صحيفتي الأهرام والأخبار على سبيل المثال إلى تخصيص ملحق أسبوعي بإحداهما للتراث الإسلامي.



المحور الثالث

مجلات المغرب العربي دفاع عن اللغة والهوية

- عبد الرحيم العلام
- د. الحبيب الجنحاني

المجلات الثقافية ودورها في تحرير الإنسان المغربي والحفاظ على هويته

عبد الرحيم العلام *

أشكر مجلة «العربي»، من خلال ندوتها السنوية المتميزة، على كونها حفزتني، مرة أخرى، على خوض مغامرة البحث والحفر في ذاكرة المجلات الثقافية العربية، في المغرب هذه المرة، بعد تجربتين سابقتين مع البحث في مجلة «العربي»، في إطار الندوة نفسها،ودورها في «الحوار الثقافي بين المشارقة والمغاربة» وفي «دعم الثقافة العلمية وإشاعتها».

كما كان لاقتراح اللجنة التنظيمية لموضوع هذا البحث أثره الكبير في تفتح مداركي على مرحلة تاريخية وثقافية أساسية في تاريخ المغرب الحديث، في جانبها الثقافي تحديدا، وكذا الوقوف عن كثب عند دور المجلات الثقافية في عملية الإصلاح في بعده الشمولي.

١- في الحاجة إلى صحافة ثقافية بالمغرب:

لقد ظهرت المجلات الثقافية في المغرب بموازاة مع ميلاد الصحافة بشكل عام، وذلك بحكم تضافر مجموعة من العوامل الداخلية، تاريخية

* باحث، وناقد أدبي من المغرب

وسياسية وثقافية واجتماعية بالأساس، ساهمت في تغذية الشعور السائد آنذاك بضرورة خلق منابر صحفية وثقافية، اعتبارا لهامش الحرية الذي كان قد بدأ يتسع، وخصوصا في شمال المغرب، حيث كان يوجد المستعمر الأجنبي الإسباني، مقارنة بما كانت تعرفه المناطق الأخرى التي كان يوجد بها المستعمر الفرنسي من تضييق الخناق على حرية التعبير والصحافة، إلى جانب تضافر عوامل خارجية، ساهمت هي أيضا في انتعاش حركة الصحافة في المغرب بشكل عام، من بينها على الخصوص التأثير القوي للصحافة المشرقية، من صحف ومجلات ثقافية وأدبية ودينية، وما كان لها من دور نهضوي بارز في المشرق وفي المغرب على حد سواء، كمجلات: «المنار» و«المؤيد» و«الهلال» و«المقتطف» و«المصور» و«العرفان»، وجريدة «الأهرام» اليومية و«السياسة» و«الفتح» الأسبوعيتين، حيث ازداد انتشار هذه الصحافة الوافدة في المغرب، وبرز تأثيرها الكبير في إذكاء روح الوعي القومي والشعور الوطني، وكلها عوامل متداخلة ساهمت في ميلاد حركة نشيطة في مجال الصحافة السياسية والثقافية بشكل عام في المغرب، على الأقل منذ الثلاثينيات من القرن الماضي.

وقد كانت الحاجة إلى الصحافة عموما، في تلك الفترة، دافعا أساسيا لمطالبة بعض رجالات الفكر والوطنية في المغرب بـ «إيجاد صحافة مغربية»، تعبر عن «الرأي المغربي»، فأسسوا لجنة للمطالبة بالصحافة العربية بالمغرب، بعد أن رفضت السلطات الاستعمارية الفرنسية الترخيص لسعيد حجي بتأسيس مجلة ثقافية سماها «مراكش»، حيث كان التداخل آنذاك في الأدوار والوظائف قائما بين الجرائد والمجلات على حد سواء، وذلك بمثل التداخل القائم أيضا بين الصحافة الثقافية والصحافة السياسية، مما جعل تلك المجلات والجرائد مرآة للحركة الاجتماعية والإصلاحية والدينية في تلك الفترة.

يمكن القول إن الفترة الاستعمارية التي عرفها المغرب، منذ بداية القرن العشرين، قد اتسمت بازدهار الصحافة الثقافية بشكل لافت، كما هو الحال في مجمل البلدان العربية الأخرى، وهو ما يعكسه

عدد المجـلات الثقافية الصادرة آنـذاك، ويذكرنا المغرب، في ذلك، بما عرفه لبنان على مسـتوى ولادة المجلات الثقافية وتزايد النشاط الثقافـي في بداية القرن العشـرين، بحيث لم تكـن الحروب عائقا أمـام ظهور مجلات جديدة وتزايد دورهـا الإصلاحي والتنويري، إذ استطاعت تلك المجلات أن تملأ الساحة الثقافية بدورها الإصلاحي ودعواتها التوعوية وأسـئلتها وإبداعها أيضا..؛ كما شـكلت متنفسا مهما لشـريحة المثقفـين والمصلحين آنئذ للتعبير عن آرائهم ونشـر دعواتهـم وتأجيج حملاتهـم وخطاباتهم حول مناهضة الاسـتعمار ومحاربة الأمية والجهل وسوء الفهم الديني.

٢- انخراط المجلات الثقافية بالمغرب في عملية الإصلاح:

عندما بويع المولى عبد الحفيظ في بداية القرن العشـرين، نشط الدسـتوريون ممن وضعوا ميثاقا قوميا ودسـتوريا، اشـترطوا فيه علـى الملك عددا من الشـروط التي تحفظ للأمـة هيبتها وكرامتها وسـيادتها، وتشـكلوا في إطار جماعة من الشـباب الناهض، حيث كانوا ينشطون في إطار جمعية سرية لتنوير أذهان المغاربة، ومقاومة الاحتلال الأجنبي، في حين كانت جماعة منهم، ومن غيرهم، تتحرك أقلامها بالكتابة في الصحف الحرة التي أنشئت بطنجة، وخصوصا «لسـان المغرب»، وفي جريدة «الحاضرة» التي كانت لسـان الوطنيين التونسيين.

وقد نقلـت مجلة «المغـرب الجديد» في أحـد أعدادها فقرة من إحدى مقالات «لسـان المغرب»، وما يهمنا نحـن من هذه الفقرة هو التشديد على انخراط المجلات الثقافية في المغرب، منذ تلك الفترة، في التعريف بحركة الشـباب الناهض ذي الاتجاه القومي المضبوط، والإشعار بكل ما يدعو إلى الإصلاح، وإلى نشر المعارف وحرية العمل والفكر وإجبارية التعليم ومنح الأمة نعمة الدستور ومجلس النواب.

كمـا كان لحدث صدور الظهيـر البربري عـام ١٩٣٠ تأثيره في الاسـتعانة بالكتابة في المجلات الثقافية للتحسيس بأهمية مقاومة السياسـة البربرية الجديدة التي تريد الحماية الفرنسية ترسيخها، بالتفريـق بين البربر من ناحية وباقـي المغاربة من ناحية ثانية، ومن

بين من تعرض لهذا الحدث الخطير، ما كتبه أحد الوطنيين وهو عمار عبد الجليل المعروف باسمه المستعار (أبو عزة الزموري)، في قوله، في مجلة «المغرب»: «إننا بمقاومتنا للسياسة البربرية نريد تقريب عناصر الشعب المغربي وتوحيده، نريد محاربة مبدأ التجزئة المكيافيلي الذي ينشره بتفنن ممثلو فرنسا الحربيون والدينيون، نريد أن نمنع خلق كتلتين ذاتي ثقافتين ومصالح متناقضة خلقا اصطناعيا، نريد أن نكفل حرية الضمير والتفكير للمواطنين جميعا بكيفية جدية»، الأمر الذي مهد لظهور حركة التحرير الجديدة، فنشأت كتلة العمل الوطني التي قررت عام ١٩٣٢ تأسيس مجلة «المغرب» باللغة الفرنسية بباريس، حيث تولى رئاسة تحريرها الأستاذ روبير جان لونكي؛ و«قد قامت هذه المجلة بنشر المقالات التي كان يكتبها الوطنيون المغاربة وغيرهم من الكتاب الفرنسيين، موضحة مغازي الحركة الوطنية والآمال التي تعلقها على الديمقراطية الفرنسية، ومكافحة، بجرأة وإقدام، السياسة المتبعة في البلاد، ومزودة قراءها بين الحين والآخر بالإحصاءات المدققة عن مظاهر الميز العنصري الذي يسود سير الحماية في مراكش، وكانت تعقد في كل مناسبة اجتماعا لبعض النواب والصحافيين الفرنسيين الذين سرعان ماأطلقوا على أنفسهم (أصدقاء المغرب)، وانضم إليهم بعض الأحرار الإسبانيين لتأييد كتلة الشمال في مطالبها ضدا على الاستعمار الإسباني.

وقد كان لصدور المجلة رد فعل معنوي في نفس الإقامة العامة التي حاولت منعها من الدخول للمغرب، ولكن أصدقاءها كانوا يتوسطون لدى الخارجية الفرنسية في رفع المنع.

كذلك كان الشأن بالنسبة لجريدة (عمل الشعب) التي أصدرتها الكتلة باللغة الفرنسية بفاس. وفي اتفاق بين الوطنيين بكتلة الشمال، أصدر الأستاذ محمد داود مجلة «السلام»، كما أصدرت الكتلة جريدة «الحياة»، وذلك قبل أن توقفها سلطات الحماية فيما بعد.

وقد تمكنت الكتلة، بعد ذلك، من تعميق عملها بإصلاح شئون البلاد، فاستطاع وفدها بباريس أن يؤسس لجنة رعاية من أصدقاء

مجلة «المغرب»، وغيرهم من رجال اليسار الذين أظهروا عطفهم على برنامج الكتلة وتقديرهم للروح التحريرية التي يحتوي عليها، وكان برنامج الإصلاحات المغربية يشتمل آنذاك على خمسة عشر فصلا.

بموازاة ذلك، كان اهتمام المشارقة بالمغرب والمغاربة، من خلال المجلات الثقافية (مجلتي «الرسالة» و«الثقافة» تحديدا)، اهتماما كبيرا ومؤثرا، عبر التعريف بالمغرب وبأوضاعه وقضيته. ولم تتوقف هذه الحركة الثقافية المغاربية الداعية إلى الإصلاح عند هذا الحد، حيث واصل «حزب الاستقلال»، وارث الحزب الوطني والكتلة الوطنية، اهتمامه بالنواحي الثقافية والاجتماعية، فأسس مجلة «رسالة المغرب» التي تعتبر في نظر الزعيم علال الفاسي، أرقى مجلة في الشمال الإفريقي باللغة العربية، وقد التف من حولها عديد من الأدباء والكتاب والشعراء الذين يعملون على تطوير الأدب المغربي وإحيائه.

يمكن القول، إذن، إن الفترة الاستعمارية التي عرفها المغرب، منذ بداية القرن العشرين، قد اتسمت بازدهار الصحافة الثقافية، من صحف ومجلات، وخصوصا في شمال المغرب، وكلها مجلات ثقافية توقفت، مع الأسف، عن الصدور لسبب أو لآخر، فظهرت مجلات ثقافية مغربية أخرى بعد الاستقلال، بتوجهات ثقافية وأيديولوجية مغايرة، حيث غدت الحاجة، آنئذ، إلى بعث ثقافة وطنية جديدة ومغايرة، منها مجلات ثقافية مستقلة، وأخرى تابعة لبعض الجهات الحكومية، وخصوصا وزارة الثقافة، بإصدارها لمجلتيها: «الثقافة المغربية» و«المناهل»، ووزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ومجلتها «دعوة الحق»، ذات النزوع الثقافي الديني، كما ظهرت مجموعة من المجلات الثقافية الأخرى، التابعة للجامعات والكليات والجمعيات والمؤسسات الثقافية، ومن أهمها مجلة «آفاق»، لسان اتحاد كتاب المغرب.

وبالنظر إلى المسار التطوري العام للمجلات الثقافية بالمغرب، يمكن التمييز بين فترتين أساسيتين تؤطران صيرورة تلك المجلات، بحسب الظروف والعوامل التاريخية والسياسية والثقافية التي واكبتها،

وبحسب ما ارتبطت به من أدوار ووظائف وأهداف تاريخية وثقافية، وهما: مرحلة الاستعمار الأجنبي للمغرب ومرحلة الاستقلال، وإن كان هناك من يرى أن ثمة أكثر من مرحلتين، بحسب رؤية كل واحد إلى طبيعة هذا المسار التاريخي والتطوري الذي عرفته الحركة الثقافية بشكل عام، ومرت به المجلات الثقافية في المغرب بشكل خاص، كالتمييز بين: «مرحلة التأسيس والبدايات» و«مرحلة إعلان الحماية» و«مرحلة صدور الظهير البربري» و«مرحلة الاستقلال وما بعده». وفي اعتقادي، فإن وضع تحقيب زمني وتاريخي لسيرورة المجلات الثقافية في المغرب قد لا يستلزم، في حقيقة الأمر، إخضاعه لمختلف هذه المحطات التاريخية الكبرى التي عرفها المغرب الحديث منذ بداية القرن الماضي.

من ثم، كانت المرحلة الأولى للمجلات الثقافية المغربية، التي تبدأ بإعلان الحماية الفرنسية على المغرب، تغلب عليها النظرة الإصلاحية بشكل خاص ومهيمن، بعد أن أضحت الحماية أمرا واقعا، فعملت تلك المجلات على المساهمة في تحرير الإنسان المغربي، مما كان يتخبط فيه من جهل وجمود وبدع وتخلف، والدعوة إلى تحريره من سطوة الاستعمار الأجنبي والحفاظ على هويته الثقافية العربية والإسلامية، وترسيخ الوعي والعمل الوطني والنظرة الإصلاحية في المجتمع، والإعلاء من شأن اللغة العربية أمام نزعات التغريب التي كان يسعى إلى فرضها وترسيخها، مع أن الاعتراف بـ «الآخر»، أي المستعمر الأجنبي، وبقوته وحضارته، كان قد بدا سائدا آنئذ، وكذا الإيمان بضرورة الاقتباس منه والانفتاح على منجزاته التقنية وسياسته في المجالات الحيوية، كالتعليم والإدارة، مع الإشارة أيضا إلى ما لاقته هذه السياسة الاستعمارية، في بدايتها، من معارضة من لدن البعض، وخصوصا فيما يتعلق بتعليم المرأة، لكن سرعان ما ستتلاشى تلك المعارضة فيما بعد، لاعتبارات مختلفة، مرتبطة خصوصا بالمشروع النهضوي الذي تبنته الحركة الإصلاحية إثر ذلك.

في هذا السياق، إذن، حميت الرغبة لدى بعض الشخصيات الوطنية في إنشاء منابر ثقافية وتأسيس جمعيات ثقافية، للتوعية والإرشاد،

وللتعبير عن الفكر والإحساس والوجدان وصيانة الذاكرة الوطنية وإذكاء الوعي الوطني وشحذه، وفي تعميق نضالها من أجل المحافظة على المبادئ والثوابت الرئيسة للبلاد، كاللغة العربية والدين الإسلامي والثقافة الوطنية والمؤسسات السياسية والثقافية، عدا مساهمة تلك المجلات الثقافية أيضا في تطوير الثقافة والإبداع وإبراز مكانة الإسلام ووضع المرأة في المجتمع، ومن بين تلك المجلات، نذكر على الخصوص: «الاتحاد» (١٩٢٧-١٩٣٢)، و«الإصلاح» (١٩٢٩-١٩٣٠)، و«مجلة المغرب»(١٩٣٢-١٩٣٧)، ومجلة «السلام»(١٩٣٣-١٩٣٤)، و«المغرب الجديد»(١٩٣٥-١٩٣٦)، و«الثقافة المغربية»(١٩٤١-١٩٤٥)، و«رسالة المغرب»(١٩٤٢-١٩٥٢)، و«الأنوار»(١٩٤٦-١٩٥٦)، و«الأنيس»(١٩٤٦-١٩٥٦)، و«لسان الدين»(١٩٤٦-١٩٥٦)، و«المعرفة»(١٩٤٧-١٩٥٧)، و«الأثير»(١٩٥٠-١٩٥٤).. وغيرها.

ولم يكن دور الإصلاح في المجلات الثقافية المغربية، في بداية القرن الماضي، منحصرا في بعده السياسي والاجتماعي والتربوي والديني فقط، بل إن الدعوة إلى الإصلاح كثيرا ما كانت تتجاوز هذه المجالات الحيوية، لتتوقف عند الدعوة إلى الإصلاح في مجال «الأدب» أيضا، وخصوصا الشعر والنقد الأدبي، أي ذلك النوع من الأدب الذي كان سائدا في مرحلة سابقة من تطور المجتمع المغربي، حين كان الشعراء مصلحين وموجهين، ويساهمون في التغيير وفي أداء الرسالة والواجب في معركة التحرير بشكل عام.

كذلك هو الحال بالنسبة لوظيفة النقد الأدبي، الذي قيل وكتب عنه الشيء الكثير في عدد من دوريات تلك المرحلة، سيما في (مجلة المغرب) وجريدة (السعادة). فهذا ابن عباد (وهو اسم مستعار) يربط بين النقد والإصلاح في قوله: «ونحن إذا كتبنا فما أردنا إلا الإصلاح ما استطعنا وإنصاف الحق..».

ويقول في سياق آخر، متحدثا عن النقد: «ولقد كان شائعا في كل أمة، وفائدته ظاهرة، ونتائجه في إصلاح ما اختل واعوج وتنوير البصائر وتثقيف النفوس أمر عن الناس معلوم».

أما المرحلة الثانية، مرحلة الاستقلال، فتشكل، في نظري، قطيعة ثقافية ومعرفية نوعية مع المرحلة السابقة، على مستوى التوجهات الجديدة التي أبانت عنها المجلات الثقافية الصادرة في المغرب في هذه المرحلة، وخصوصا بعد ظهور مجلة «آفاق» التي يصدرها اتحاد كتاب المغرب، ومجلة «أقلام» في بداية الستينيات، وظهور جمعيات ومجلات ثقافية، احتضنت الإبداع والفكر المغربي والعربي والغربي (من خلال الترجمة خصوصا)، فكانت منبرا أساسيا مؤثرا، رهانها نشر ثقافة وفكر ديمقراطي حداثي وثقافة وأدب طلائعي جديد، متوخية بذلك تجاوز الفكر القديم وبناء جبهة ثقافية تروم بلورة قيم ثقافية جديدة ومتحررة، من خلال مجلات ثقافية لعبت دورا فعالا ومؤثرا في الدفاع والنضال من أجل بلوغ ذلك كله، من قبيل مجلات: «أنفاس» و«الثقافة الجديدة» و«الجسور» و«البديل» و«الزمان المغربي» وغيرها، كما عرفت المرحلة ظهور أول مجلة نسائية في المغرب هي مجلة «شروق» (عام ١٩٦٥)، والتي كانت تشرف عليها الأديبة المغربية خناثة بنونة، باعتبارها مجلة نسائية دورية تعنى «بشئون المرأة والفكر»، في تركيزها وانتصارها لقضايا المرأة وأخبارها وإنتاجها الأدبي والفكري في المغرب والمشرق، وذلك في وقت كان يُعتبر فيه دخول المرأة عالم الكتابة مغامرة وتمردا، فبالأحرى إقبالها على إصدار مجلة نسائية. فتحول شكل النضال في تلك المجلات الثقافية جميعها من مواجهة المستعمر وسياسته التغريبية إلى نضال ضد السلطة والفكر المتحجر والايديولوجيا السائدة وطابعها التخييلي، كما ناضلت من أجل حرية التعبير والحق في الاختلاف، وفي امتلاك المعرفة ضد الرقابة والمنع، كذلك المنع الذي تعرضت له مجموعة من تلك المجلات الثقافية فيما بعد، باستثناء «أقلام»، في حين توقفت مجلات ثقافية أخرى لأسباب مادية في معظم الأحيان، وتمكنت مجلات ثقافية قليلة جدا من الاستمرار والصمود وسط العواصف والعوائق والتغيرات السياسية والثقافية، وخصوصا مجلة «آفاق» ومجلة «دعوة الحق».

لذلك، فالنزعة الإصلاحية للمجلات الثقافية المغربية قد ارتبطت،

في العمق، بمرحلة الاستعمار الأجنبي للمغرب، انطلاقا مما كان يفرضه السياق التاريخي آنذاك من ضرورة الارتهان إلى بناء ثقافة وطنية داخل شرط تاريخي وثقافي محكوم بعوامل وإرغامات معاكسة، كانت سائدة في تلك المرحلة.

ذلك توجه، إذن، سيرغمنا نحن أيضا، على حصر مجال البحث في دور المجلات الثقافية في عملية الإصلاح بمفهومه الواسع، وخصوصا من خلال تلك المجلات الثقافية التي ظهرت إبان المرحلة التاريخية الأولى، مع التعرض إلى ما قد يشبه النزعة الإصلاحية الجديدة في المجلات الثقافية المغربية التي ظهرت في المرحلة التاريخية الثانية، أي مرحلة الاستقلال.

٣- صورة الإصلاح في المجلات الثقافية من خلال خطاب «العتبات»:

ذلك ملمح مواز لا يخلو بدوره من أهمية مرجعية، انطلاقا من كونه يعكس مدى ارتباط المجلات الثقافية بالمغرب، الصادرة خصوصا باللغة العربية، بالنزعة الإصلاحية المباشرة وبغاياتها أيضا، بما كان يستلزمه ذلك من حرص تلك المجلات على الانشداد إلى العمق الجغرافي للبلاد، والتشبث بالهوية الوطنية، الثقافية واللغوية والدينية، والوعي بالدور التنويري لتلك المجلات، وهو ما يمكن استنباطه، مثلا، من خلال عتبات بعض المجلات الثقافية الرائجة إذاك، والصادرة جميعها على امتداد فترات مختلفة كما يظهر ذلك في عناوينها، عاكسة بذلك للغاية من ظهورها: «الصباح»، و«مجلة المغرب»، و«السلام»، و«المغرب الجديد»، و«الثقافة المغربية»، و«رسالة المغرب»، و«الأنوار»، و«المصباح»، و«النهار»، و«نبراس الفكر»، و«دعوة الحق»، و«رسالة الأديب»، حيث يتضمن لفظ «الرسالة»، على سبيل المثال، الوارد في عناوين بعض هذه المجلات، فكرة عن الواجب المفروض القيام به تجاه الأمة، كذلك الشأن بالنسبة للفظ «المغرب»، الوارد بكثافة في عناوين بعض تلك المجلات، والذي يعني: «التزاما جليا للمجلة إزاء المكان الذي تتكلم منه وتتحدث عنه». وذلك توجه مرجعي كان متحكما أيضا في عناوين بعض المجلات المشرقية الأولى،

وما بعدها، كـ «المنار» و«الرســالة» و«البــلاغ» و«المقتطف» و«الهلال» و«الدول العربية».

نفس الأمر حــدث، ولايزال، مع عناوين بعــض المجلات الثقافية المغربيــة التي ظهــرت بعد الاســتقلال، باللغة العربية والفرنســية، انطلاقــا مما كانت تراهن عليه تلــك المجلات أيضا، ولايزال بعضها إلى اليوم، من توجه ثقافي مغاير، ومما كانت تنشده من ثقافة وإبداع وفكــر جديد وبديل، كما يتبين مــن عناوين المجلات الثقافية التالية: «آفــاق»، و«أنفاس»، و«الثقافــة الجديدة»، و«الجســور»، و«البديل»، و«فضــاءات مغربيــة»، و«الثقافــة المغربيــة»، و«الزمــان المغربي»، و«الهدف»، و«الإحياء» و«المنعطف»، و«نظرات حول الثقافة المغربية»، وغيرها، دون أن يعني ذلك أن ثمة قطيعة معرفية ومنهجية مع نوعية الأســئلة التي طرحتها المجلات الثقافية المغربية في المرحلة الأولى، بــل إن ما حــدث هو نوع من التحــول والتطور اللافتــين في طبيعة تلك الأسئلة وطريقة صياغتها، في ضوء واقع جديد، وخصوصا بعد خروج المســتعمر الأجنبي؛ من بينها، بشكل خاص، نشير إلى اهتمام تلك المجلات ببعض الأســئلة الجوهرية، من قبيل: «الهوية الثقافية» و«الهوية اللغوية» و«الهوية الدينية».

غير أن ذلك الارتباط بين المجلة وعنوانها والمكان (المغرب تحديدا)، لا يعني أن هذه المجلات الثقافية كانت متقوقعة على نفســها و يغلب عليها الطابع الشــوفيني الضيق فــي حركتها الإصلاحية والتوعوية، بــل إن معظمها كان لــه توجه منفتــح على قضايا المشــرق العربي وثقافتــه، حيث جعلت تلك المجلات مــن التفكير في الثقافة المغربية جزءا لايتجزأ من التفكير أيضا في الثقافة العربية والأجنبية، كمجلة «المغرب الجديد» التي تعرف بنفســها بكونهــا: «مجلة علمية لخدمة الثقافــة المغربية، وهــي مرآة الحركة الفكرية في الشــرق والغرب»، وهو التوجه نفســه الذي خططته المجــلات الثقافية التي ظهرت في المرحلــة الثانية، بــل وحرصت على دعمه وترســيخه وتحقيقه. كما أن افتتاحيــات تلك المجلات جميعها مــا فتئت دائما ترحب بالأقلام المغربية والعربية لدعمها والكتابة فيها والتواصل معها. وبالفعل، كان

سؤال التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب، على سبيل المثال، أحد المواضيع التي انشغلت بها بعض تلك المجلات الثقافية، وخصوصا «مجلة المغرب».

ثاني ملمح يمكن من خلاله استخراج بعض الخصائص المجسدة للتوجه، أو للتوجهات العامة للمجلات الثقافية الصادرة في المغرب، منذ بداية القرن الماضي إلى اليوم، هو «خطاب الافتتاحيات» سواء فيما يتصل بالنزعة الإصلاحية التي كانت الدعوة إليها سائدة بكثافة في المرحلة التاريخية الأولى، أو فيما يرتبط بالنزعة التجديدية للمجلات الثقافية التي ظهرت في المرحلة التاريخية الثانية.

فأمام تعدد المجلات الثقافية الصادرة في المغرب في المرحلتين السابقتين، وكثرة الأعداد الصادرة منها، وتنوع موادها وأسئلتها وقضاياها الثقافية والفكرية والأدبية والفنية، يمكن رصد جوانب مما تكشف عنه بعض خطاباتهاعلى مستوى سياستها وأهدافها والغاية من إصدارها، انطلاقا من قراءة في إحدى عتباتها الأكثر تعبيرا عن ذلك التوجه العام، ويتعلق الأمر، هنا، بخطاب «الافتتاحيات»، وخصوصا تلك التي تضمنتها الأعداد الأولى للمجلات الثقافية، بالنظر إلى كونها هي التي يرسم فيها المشرفون عليها الفلسفة العامة التي خطتها المجلة لنفسها، من أجل مخاطبة جمهورها بمفهومه الواسع، أي كأمة ورأي عام في المرحلة الأولى، ممن تخاطبهم مجلة «المغرب الجديد»، في افتتاحياتها الأولى، بـ «المواطنين» و«الشعب المغربي»، وكـ «مجتمع قارئ»، وقد أضحى يمتلك ناصية التجديد ويستشعر حتميته في المرحلة الثانية. ويكفي في هذا الإطار، أن نتناول بعض الخطابات الافتتاحية لعينة من المجلات الثقافية من المرحلتين التاريخيتين، بحسب تسلسلها التطوري وتبعا للشروط التاريخية المؤثرة والموجهة لغايات تلك المجلات الثقافية وأهدافها، بغية التمييز بين ذلك التوجه وتلك الأهداف فيها.

لقدحددت مجلة «المغرب الجديد» اختيارها، في أنها: «منبر حر لنشر سائر الأبحاث العلمية المهذبة، ويمكن لكافة المثقفين المغاربة أن يعتبروه لسانهم الناطق». وهي المجلة ذاتها التي اهتمت، منذ

صدورها، بالبعد المحلي وبالخصوصية المغربية أساسا، وذلك جانب تمثله مجلة «المغرب الجديد»، وطرحته بصيغ «حاملة للوعي الوطني، عن مشـــروع التطور الثقافي ذاته، اعتمادا على ما بني من تصورات أخرى للخروج بالمغرب من دائرة الاستعمار إلى دائرة الاستقلال»، وهو ما يمكن ملاحظته، أيضا، من خلال توجيه المجلة لاســتمارة تتضمن أســئلة للقراء للإجابة عنها في المجلة، وكلها تدور حول «المغرب»، في محاولة من المجلة المســاهمة في بناء أسس «المغرب الجديد»، مغرب المستقبل، وفي محاولة من «الشعب المغربي»، في الوقت نفسه، خوض «المغامــرة في الحيــاة الجديدة»، كما جاء فــي افتتاحية العدد الأول من المجلة، وتتمحور تلك الأســئلة حول: (السلالة المغربية) و(الشعب المغربــي) و(العقلية المغربيــة) و(الأدب المغربــي) و(التاريخ المغربي) و(الشخصيات المغربية).

إذا كان الأمــر علــى هذا النحو، من خلال الشــعارات المباشــرة والمتغيــرة لهذه المجلة، فإن «التغييــر والترقي والنهضة كانت هاجس شــباب تلك الحقبة، وكانت مرادفا لشيء وحيد هو التقدم والحفاظ على الهوية الوطنية وإثبات الذات عن طريق الفكر، لذلك أتت المجلة لتكــون صلة وصل بــين العارفين والراغبين في المعرفة، ســواء كانوا داخل المغرب أو خارجه، وهو ما يفسر العلاقات المتنوعة القائمة بين المجلــة ومراكز البحث والمفكرين في أوربا وآســيا وأمريكا اللاتينية والمشرق العربي».

كما أن مشــروع مســودة «خطة المغرب الجديد» الــذي أعد للمجلة يأخــذ بعين الاعتبــار هذا البعد العربي والإســلامي في توجهها العام وهــو المشــروع الذي نقح وصدر بعــد ذلك في افتتاحيــة العدد الأول مــن المجلة بعنوان «من العماء إلى النــور» بتوقيع مديرها محمد المكي الناصري، مركزا فيه على تعريف الشــعب المغربي بنفسه وغيره تعريفا كافيا شــافيا، وكذا «التعريف بشــعوب العروبة والإسلام وباقي شعوب البشــرية، وخاصة شعوب البحر الأبيض المتوســط». وعلى الرغم من ذلك، فقد ظلــت هذه المجلة تنتصر، بالدرجــة الأولى، للأفق الثقافي المغربي، والدعوة إلى النهوض بالفكر المغربي، وإعلاء الحس الوطني.

وإذا كانت مجلة «الثقافة المغربية»، من خلال عنوانها، تؤكد على الهوية الوطنية للثقافة «المغربية»، بالدرجة الأولى - وهو العنوان الذي سيتم تبنيه في زمن لاحق من قبل إحدى المجلات الثقافية التي مازالت تصدرها وزارة الثقافة المغربية منذ بداية السبعينيات إلى اليوم- فقد كانت تنادي أيضا بـ «التجديد والمحافظة» في «انسجام وتعاضد»، وهما عنصران: «يتعاونان على تكوين فكر أمة وإعادة صرح مجدها وتدعيم أسس مسئوليتها على أقوم طريق وأصلح منهج»، في سبيل «القضاء على كل ما يحول بين المغربي والنور» (من افتتاحية العدد الأول من المجلة).

إلى جانب فئة المثقفين الوطنيين والمرأة المثقفة، تحملت فئة الطلبة أيضا مسئولية إصدار مجلة ثقافية في ذلك الوقت، ولو أن بعض مدراء تلك المجلات الثقافية السابقة كانوا شبانا هم أيضا (مثلا، أصدر محمد المكي الناصري مجلة «المغرب الجديد»، وهو لم يبلغ عامه الثلاثين بعد).

ومن بين تلك المجلات التي كانت، منذ بدايتها، تنطلق من الشبان الطلبة وتتوجه إليهم، مجلة «الأنيس» (١٤)، التي صدرت بإيعاز من جماعة من الطلبة، في اهتمامها بروح العمل المتواصل لدى الشباب وإيقاظ روح الهمة فيهم، حتى يقفوا على أسمى مراتب التفكير في المسائل التهذيبية البحتة.

٤- «مجلة المغرب»: نموذج حي لإشاعة ثقافة الإصلاح في المغرب:

إذا كان البعض يؤرخ لبداية ظهور المجلات الثقافية بالمغرب بظهور مجلة «سنان القلم لتنبيه وديع كرم» الصادرة عام ١٩٠٧ بفاس، ومجلة «الصباح» الصادرة عام ١٩١٢ بطنجة، وهما مجلتان لم تلعبا، مع ذلك، دورا مؤثرا في تلك الفترة، فإن جل الباحثين يرون أن البداية الفعلية للمجلات الثقافية بالمغرب كانت مع ظهور «مجلة المغرب»، بالرباط عام ١٩٣٢، والتي كان يديرها ويرأس تحريرها الكاتب الجزائري محمد الصالح ميسة، وهو ما حدا بنا إلى أن نختار هذه المجلة ونتمثلها كنموذج للمجلات الثقافية المغربية، الصادرة بالعربية

في القرن العشرين، انطلاقا من كون توجهها العام وأهدافها وموادها تستجيب، بشكل كبير، للموضوع المبحوث فيه، بتبنيها ودفاعها المستميت عن النزعة الإصلاحية في البلاد، وعملها على أداء رسالتها من أجل تحرير الإنسان المغربي والحفاظ على هويته العربية والإسلامية، في وقت كانت فيه البلاد بصفة عامة ترزح تحت وطأة الاستعمار الأجنبي، كما كانت في أمس الحاجة إلى من يذكي رسالة الإصلاح فيها.

ذلك أمر يمكن تقديمه والاستدلال عليه من خلال قراءة موازية في أعداد هذه المجلة الشهرية الثلاثة والأربعين، التي تمكنا من الوصول إليها (محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط وبالخزانة الصبيحية بسلا)، والتنقيب فيها، وفي أبوابها وموادها وخطاباتها ودعواتها الإصلاحية، في محاولة للوقوف عند أهدافها ونظرتها الإصلاحية، وكذا الكشف عن جوانب مما ساهمت به هذه المجلة، على امتداد سنوات صدورها، على مستوى أدوارها التوعوية والإصلاحية الكبيرة، انطلاقا مما تكشف عنه من تنوع في اهتماماتها ومواضيعها: بين الثقافة العامة والتاريخ والجغرافيا والفكر والسياسة والعلم والدين والاقتصاد واللغة والتربية والعلوم والتراث والأدب والنقد الأدبي والأخبار العامة.

وهو اختيار وزعم ليس وليد قراءة متأخرة زمنيا في هذه المجلة، بل إن قيمة هذه المجلة وأدوارها الطلائعية كانت محط تنويه بها حتى إبان صدورها، وذلك جانب توضحه خطابات وردود أفعال قراء المجلة، من مختلف المراتب والتوجهات والبلدان، من خلال ذلك الركن، غير الثابت فيها، المسمى تارة بـ «عين الرضى»، وتارة أخرى بـ «غيرة إسلامية»، وثالثة بـ «غيرة عربية»، وهي خطابات يمكن استحضارها، في مثل هذه المناسبة، للتدليل على جانب من التوجه العام الذي كان لهذه المجلة، ومدى تبنيها للنزعة الإصلاحية فيها، من خلال آراء ووجهات نظر «متلقين» اعتباريين، ينتمون إلى نفس المرحلة التاريخية ويشهدون على تحولاتها البنيوية، عن قرب ودراية.

ومن بين هؤلاء القراء والمتلقين، نذكر بعضهم فقط بصفاتهم، كما أسبغتها عليهم هذه المجلة: «صاحب الجلالة الهمام الأفخم المولى

عبد الحفيظ سلطان المغرب»، و«فخر الشرق الكاتب الشهير أمين الريحاني»، و«الأديب الفائق سيدي الراي بفاس»، و«فخر الإسلام صاحب السماحة المفتي الأكبر الحاج أفندي الحسيني»، و«جناب وزير فرنسا المفوض مدير التشريفات السلطانية ورئيس المعهد الإسلامي بباريس المحنك سيدي عبد القادر ابن غبريط»، و«جريدة الزمان الغراء بتونس» التي اعتبرت «أن وجود هذه المجلة بهذه الكيفية لم يعرفه قبل شمال إفريقيا ولا عهد لنا به».

وهو الدور نفسه الذي أشار إليه أحد كتاب المجلة (الحسن الرامي)، في حديثه عنها، من خلال قول شامل عن دور الصحافة في المجتمع آنذاك: «لقد كان المغرب من قبل فاقدا هذه الخصيصة، عادما هذه المزية، فلما أراد الله انتشاله من ظلام الغفلة والذهول وإنقاذه من مهواة الخمول أرشد فئة طيبة من بنيه وهداهم إلى طرق باب الإصلاح ولا باب للإصلاح سوى الصحافة».

ومن بين تلك الرسائل العاكسة كذلك لجانب من ذلك التوجه الإصلاحي لهذه المجلة، رسالة المولى عبد الحفيظ، من بين ماجاء فيها: «بعد الاطلاع على الكل واستيعابه ألفيناه أعظم وأحسن مشروع جادت به قريحتكم الوقادة وأدركنا غايتنا من حماية اللغة العربية ونشرها بين أهلها وإبراز نتائج أفكار النجباء من نوابغ المغرب الأقصى».

كما كانت الدعوة إلى الإصلاح، من بين انشغالات بعض افتتاحيات هذه المجلة، ويكفي أن نشير هنا إلى افتتاحية العدد الخامس (نوفمبر-ديسمبر ١٩٣٢) التي جاءت عبارة عن قصيدة للشاعر المغربي محمد بن إبراهيم، عنونها بـ «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت»، وهي قصيدة تدعو إلى رفع الهمم وشحذ العزائم والدعوة إلى العلم.

ومن بين المجالات الثقافية التي كان لها حضور لافت أيضا في المنظور الإصلاحي والتوجيهي والتنويري لهذه المجلة، طيلة مدة صدورها، نشير إلى «إصلاح التعليم»، ويعتبر من بين أهم محاور الإصلاح التي شغلت «مجلة المغرب» منذ ظهورها، حيث استشعرت المجلة، منذ البداية، مدى حاجة المجتمع، في ذلك الوقت، إلى التعليم

والتربية والتوعية الاجتماعية: «فلا بدع إذا كانت مسألة التعليم رأس المسائل وأهم المشاكل التي يجب أن تعتني بها الأمة والحكومة في حين واحد، وأن تشتغل بها الأفكار ويجعلها الناس موضوع أحاديثهم..».

من ثمة، كثرت دعوات هذه المجلة في عدد من المناسبات إلى إصلاح التعليم، والمطالبة بأن يكون له نظام وبرامج وتراتيب لازمة. كما عملت المجلة على نشر آراء الكتاب والمصلحين في مسألة التعليم وطرق إصلاحه وتنظيمه، ونشر جملة من المقالات والأبحاث في هذا «الموضوع الخطير»، كما تسميه المجلة، وكذلك عملت على نشر برامج لإصلاح التعليم جرى بها العمل في أقطار مختلفة، و«وقع تطبيقها في غير المغرب ببعض البلاد التي تشابه المغرب من وجوه عديدة ولاتكاد تختلف عنه في شيء اللهم إلا اختلاف ميول رجال الإدارات وتقارير أساليب في الإصلاح...».

بموازاة ذلك، عملت «مجلة المغرب»، في مجموعة من المناسبات والمقالات والافتتاحيات أيضا، على الدفاع عن اللغة العربية، والدعوة إلى العناية بها والتفرغ للقيام بالمحافظة عليها، كما جاء في دراسة مطولة بتوقيع (م)-ولاشك أنه هو مدير المجلة ميسة- حول «حياة اللغة العربية».

وداخل هذا المجال نفسه، يأتي اهتمام المجلة بفئة معينة من المجتمع هي فئة «البنات»، وخصوصا تلك الشريحة من الفتيات اللواتي كن يعانين من مجموعة من الإرغامات التي كانت تكبل إقبالهن على التعلم، وعلى المساهمة في حركية المجتمع ونموه، وذلك منذ العدد الثاني من المجلة، في مقالة رئيسة بعنوان «تعليم البنات» (بقلم ع)، وهي المقالة التي اعتبرتها المجلة، في العدد الرابع منها، بمثابة «بيان»، تبنته فيما بعد، كما ستأتي الإشارة إلى ذلك.

ومن بين ما جاء في نهاية تلك المقالة، الإشارة إلى اقتراحين جديرين بالاهتمام- على حد تعبير الكاتب- «نستلفت إليهما أنظار أولي الأمر رجاء أن يعطوا المسألة حقها من الاعتناء، ويتعلق الأمر هنا بالدعوة إلى إنشاء مدرسة لتعليم المعلمات وتعليم قسم من البنات التوليد والتمريض وصناعة طب أسنان».

بعـد ذلك، تضاعفت المقـالات والافتتاحيات التـي أوردتها المجلة لمقاربة هذا الموضوع نفسه في المغرب وخارجه، بما في ذلك التعرض لمطالب النسـاء أنفسـهن. وذلك جانب تعكسه مجموعة من المقالات المنشـورة في العدد الرابع من المجلة في شـأن «إصـلاح حال المرأة وتعليـم البنات»، والتي كانت المجلـة تتوخى من خلالها، كما جاء في افتتاحية هذا العدد: «ألفت الأنظار إلى هذه المسـألة الخطيرة، ففي العدد الثاني كنا نشـرنا بيانًا حول الإصلاح، ولذا رأينا من المناسـب أن نخصص لها قسـطا وافرا من هذا العـدد تثبيتا لفكرة الإصلاح فـي الأذهان وتعميما»، ومن أهمها مـا كتبه العلامة محمد الحجوي في العدد نفسـه، حول «تعليم البنات»، هذا الذي له، كما تقدمه هذه المجلة لقرائها، مسـاهمات «جلي في ميدان الإصلاح سـيذكرها له التاريـخ بكل امتنان، وهو في مقدمة المفكرين الذين دعوا منذ نشـر الحمايـة إلى الاهتمام بتعليم النسـاء وتحريرهـن من بعض العوائد الضارة بهن وبالمجتمع..»».

لقد كان الانتقاد، في معظم الأحيان، سبيل هذه المجلة في دعواتها الإصلاحيـة المختلفة في مجـالات إصلاح التعليـم ومحاربة البدع وإصلاح العدلية الأهلية، شـعورا منها، كذلك، بـ «أن الانتقاد لا يخلو من فوائد، وهو أول شيء يعرض للأمم عند نهضتها لإظهار ما يكون في مؤسساتها من الخلل وإبانة مواطن الضعف منها وإلفات الأنظار إلى ذلك قصد التهيئة لوسائل التعديل ووجوه الإصلاح، على أن تتبع أعداد المجلة يظهر جليا للعيان أنها (وإن كان مضمارها التهذيب قبل كل شـيء) قامت بالأمرين معا، فما من عدد منها إلا ويشـتمل على فكرة إصلاحية أو اقتراح تعتقد أنه نافع أو دعوة إلى عمل تظن فيها الفائدة للجميع..»».

ولـم يتوقف دور هـذه المجلة عند حدود تبنـي الإصلاح والدعوة إليه، بل كان يتعدى ذلك إلى اقتراح بعض المشاريع الإصلاحية، سواء على الحكومة أو على المؤسسـات أو على الأشخاص، في ذلك الركن المسـمى: «المشروعات الإصلاحية»، من ذلك مثلا، دعوة المجلة لمدير «مدرسـة محمد جسوس»، إثر تسميتها بالرباط، على أن ينظر فيما

إذا كان يتيسر أن يؤسس قسما معدا للثقافة العامة خارج برنامجه النظامي الذي يجريه في فاتحة السنة المقبلة، عدا تنويه المجلة، من حين لآخر، بما تحقق من مشاريع إصلاحية في البلاد، على امتداد أزمنة وأحداث واكبتها المجلة، ومن بين ذلك أيضا ما جاء في حديث المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان، في عرضه للمنجزات التي تحققت في عهد سلطان البلاد، بدءا بإصلاح التعليم أولا، حيث «اهتم صاحب الجلالة والعرش بالتعليم، وعني به عناية المحنك العليم، فكان من النتائج جريان يد الإصلاح في جامع القرويين العامر(...) ولم يلبث هذا الإصلاح أن بدا أثره الجليل بدو يواقيت التاج والإكليل...».

٥- من ثقافة الإصلاح إلى إصلاح الثقافة:

من بين أولى المجلات الثقافية التي صدرت بالمغرب، بعيد الاستقلال، مجلة «دعوة الحق» (يوليو١٩٥٧)، وهي كما تقدم نفسها، في تلك المرحلة: «مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية وشئون الثقافة والفكر»، إذ ارتبطت منذ تأسيسها، من قبل الملك الراحل محمد الخامس، بالنزعة الإصلاحية في المجال الديني أساسا، بعد إعلان استقلال البلاد عام ١٩٥٦ وخروج المستعمر الأجنبي، حيث «أصبح من أكبر الواجبات المنوطة بنا في فجر نهضتنا الشاملة أن نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية ونعمل على تحرير العقول من قيود بعض التقاليد والأوهام التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف(..). ولذلك، سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشئون الاجتماعية والثقافية..»، كما جاء في الكلمة الموجهة من الملك محمد الخامس إلى المجلة.

وهو التوجه نفسه الذي كشفت عنه افتتاحية العدد الأول من المجلة، رغبة من مؤسسيها في «أن توفق في ضم أصوات الدعاة والمصلحين والعلماء والشباب المثقف من أبناء هذا القطر السعيد، بعضها إلى بعض، لتجهر جميعها بهذه الدعوة..».

كما أنها الرغبة التي عبر عنها عبد الوهاب بنمنصور في خاتمة دراسته المعنونة بـ «الدعوة إلى الحق» المنشورة ضمن العدد نفسه، في

قوله: «ولا ريب أن مجلة (دعوة الحق) ستسد كلمة طالما قضت مضاجع المهتمين بمصير الإسلام في المغرب العربي والراغبين في الدفاع عنه والمنافحة(..)، وعسى أن يلتف حولها العلماء والأدباء المشبعون بحب الملة الحنيفة السمحاء حتى تستطيع أن تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل»، وذلك توجه للمجلة يعكس، في العمق، استمرار الإصلاح بالمفهوم نفسه الذي كان سائدا تقريبا قبل الاستقلال، أي قبل أن تتطور هذه المجلة فيما بعد، وتطور، بموازاة ذلك، ملفاتها ومواضيعها ونظرتها الدينية إلى المجتمع، وأيضا قبل أن تظهر بالمغرب، بعد ذلك بكثير، مجلة ثقافية دينية أخرى بعنوان «قضايا إسلامية معاصرة» ذات توجه عصري في طبيعة الرؤية إلى الشأن الديني في العالم الإسلامي، وفي طريقة معالجتها للقضايا الإسلامية المعاصرة، وفي تكريسها أيضا للخطاب التنويري، ومساهمتها التحديثية للفكر الديني بشكل عام.

ومع بداية الستينيات، انشغل المثقف المغربي بطرح بعض التساؤلات المصيرية الجديدة، من قبيل: من نحن؟ وأين نحن؟ وإلى أين نسير؟، كما كان يسعى إلى «إيجاد أجوبة لها»؛، فجاءت مجلة «البينة» لتنهض بهذه الرسالة، والتي ترمي إلى تعريفنا بأنفسنا، وبمركزنا في الوجود، وتذكيرنا بقوانا المادية والروحية، وما نستطيع أن نقوم به من خير لأنفسنا وللناس..». ويضيف علال الفاسي، مدير المجلة في افتتاحيته لها، محددا وظيفتها وتوجهها العام: «فقد أسست لتكون لسان الحق ومنبر الصدق وأداة الاتصال بين الذين يعنيهم أمر الإسلام وأمر الفكر الإسلامي عن طريق البعث الاجتماعي والثقافة المتحررة».

وبحثا عن تأسيس ثقافة مغربية جديدة موصولة بأسئلة المجتمع والتغيير، ظهرت، مباشرة بعد ذلك، مجلة «آفاق»، فارتبطت، في بداية صدورها، بـ «اتحاد كتاب المغرب العربي»، قبل أن تتحول إلى «ناطق رسمي بلسان اتحاد كتاب المغرب» فقط، متوخية «التعبير الصادق عن الفكر بالمغرب العربي»، والمساهمة «في كل ميادين الرقي الإنساني»، بحيث رفعت المجلة في بدايتها شعار «إلى الأمام» في افتتاحياتها الأولى: «ليس أجدر بهذا الشعار «إلى الأمام» من مجلة «آفاق»،

فاسمها يشير إلى الأمام في غير تحديد ولا توقف».

وهـــذا المضي إلى الأمام وإلى أفق ثقافـــي أكثر رحابة، لم يكن من الممكن تحقيقه، لـــو لم تجعل المجلة من بين أهدافها محاربة كل فكر هـــش عقيم وجامد ومنغلق، ولو لم تفتح «آفـــاق» بابها لكل المبادرات الجـــادة والهادفة، ولكل الآراء المختلفة، وفي هذا الإطار يقول محمد عزيـــز الحبابي (أول رئيس لاتحاد كتاب المغـــرب العربي)، في كلمته الافتتاحية للعـــدد الأول من المجلة: «فلتكن آفاق ملتقى البوادر وبؤرة احتـــكاك التجارب، فيهـــا تذوب وتســـاغ الآراء والإرادات (...). إنها معركـــة ضد كل إقطاعيـــة فكرية، ضد كل جمـــوح أو جمود تفرضه الطائفيات..». فهي مجلة إذ تحارب التحجر والانغلاقية، فهي تتبنى «مبـــدأ الانفتاح على الثقافات العالمية(...) هذا هو الطريق الســـليم لمغربة الثقافة».

ويضيف الحبابي، محددا بذلك التوجه العام للمجلة في مسايرتها لتاريـــخ الإنســـانية وانفتاحها على عالم الأمس، وعالـــم اليوم وعالم الغد: «أردناها مجلة آفاقية: ســـوقا للفكر العربي، ومهرجانا للثقافة الإنســـانية، وملتقى لكل حماة رســـالة الكلمات في دنيا العرب، وفي عالم حضارة القرن العشرية التي تشمل دنيا العروبة وتفعل فيها».

كما لعبـــت مجلة «أقلام» دورا طلائعيا، منـــذ صدور العدد الأول منهـــا في مارس ١٩٦٤، وعلى امتداد واحد وســـتين عددا من المجلة قبل أن تتوقف، وهـي التي بررت ظهورها آنذاك «لتعبر عن إحســـاس عميق يشـــعر به جل المثقفين، وهو أن الفكر متخلف عن العمل، وأنه لا يتوغل فـــي صميم المجتمع وفي أعماق الإنســـان المغربي..»، كما كانت تجســـد في بداياتها «دعوة لجميع الأقلام الصادقة لتسهم في بناء ثقافة أصيلة وهي تتعهد بأنها ســـتقدر كل محاولة فكرية جادة، وتأمـــل أن تتيح الفـــرص لجميع المواهب الناشـــئة لتتلمس طريقها، ولتقوم بأداء رســـالتها ولتفسح المجال الأوسع للذين ضاقوا بصمتهم الطويل».

من ثـــم، كان رهان هذه المجلة التاريخي يتمثل في ترســـيخ تقاليد ثقافيـــة جديدة متممة لتلك النزعة الإصلاحية والتحررية التي كانت

سائدة إبان الاستعمار الأجنبي للمغرب.

وبعد مضي أزيد من أربعة عقود من صدور العدد الأول من «أقلام»، ظهرت مجلة ثقافية جديدة باسم «فكر ونقد»، عام ١٩٩٧، بإشراف أسماء كان لها حضور مركزي أيضا في المجلة الأولى، بهذا الشكل أو ذاك، لكن مع اختلاف في هوية هاتين المجلتين وفي أهدافهما، تبعا لاختلاف السياق التاريخي والثقافي المتحكم في ظهورهما، والمؤطر لزمن صدورهما أيضا، حيث أصبح المطلوب اليوم، حسب افتتاحية العدد الأول من مجلة «فكر ونقد»، هو التوسل «بالنقد»، فـ «الكلمة الآن هي لـ «النقد..!»(..)، وذلك دليل على أن الأمر يتعلق بمرحلة انتقالية، مرحلة يتم فيها تصفية الحساب مع القديم لفتح المجال أمام جديد. إنها المرحلة التي يكون فيها طرح السؤال في مثل صعوبة تقديم الجواب ومن هنا بروز «النقد» كمشروع وحيد ممكن.. لذلك، فقد تمثل طموح هذه المجلة في «المساهمة في نشر وعي صحيح بطبيعة هذه المرحلة التي يجتازها الفكر المعاصر».

كما حددت مجلة «الثقافة المغربية» الصادرة عام ١٩٧٠، توجهها العام في كلمة محمد الفاسي -وزير الدولة آنذاك المكلف بالشئون الثقافية والتعليم الأصلي- في «ملء الفراغ الذي تعرفه الساحة على مستوى مجلات عربية متخصصة في كل ما يتعلق ببلاد المغرب الإسلامي قديما وحديثا»(٤١)، وفي «إحياء تراثنا والتعرف على خصائص حضارتنا. وستهتم هذه المجلة بكل ما يرجع لتاريخ المغرب العربي وإسبانيا وصقلية الإسلاميتين وجغرافيتها وآدابها ولغاتها وعوائدها وفنونه الشعبية في الماضي والحاضر...».

وقد طرأت على هذه المجلة، بعد أزيد من ثلاثة عقود من الصدور، سلسلة من التحولات، سواء في توجهها العام أو في شكلها وموضوعاتها. كما أنه بظهور شقيقتها مجلة «المناهل» عام ١٩٧٤، تغير دور مجلة «الثقافة المغربية» الذي سبق أن أعلنت عنه، فأصبحت مجلة «المناهل» تضطلع بهذا الدور، لكن بمنظور جديد وحديث منفتح على الموروث الثقافي والثقافة الحديثة على حد سواء.

بعد ذلك دخلت الثقافة المغربية في منعطف جديد، إبان سنوات

السبعينيات من القرن الماضي، بما عرفته المرحلة من تحولات سياسية وإيديولوجية، ومن أحداث ونضالات اجتماعية مهمة ساهمت جميعها في بلورته التجربة السياسية والثقافية والاجتماعية في البلاد، فظهرت مجلات ثقافية جديدة مؤثرة، سرعان ما تحول لديها مفهوم الإصلاح، في هذه الفترة وبعدها، من «ثقافة الإصلاح» إلى «إصلاح الثقافة»، وأصبح الاهتمام مركزا على النهوض بالحقول المعرفية والفكرية والأدبية والفنية، وكذا العمل على بعث ثقافة جديدة تستجيب لطموحات الجماهير وتحدياتها ونضالاتها وصراعاتها ورغائبها في التغيير والتنوير والحداثة والتغيير والسجال الثقافي والنقد وخلق بديل ثقافي ومجتمعي، فازداد التراكم الفكري والأدبي والإبداعي، في تلك الفترة، كما ازداد الوعي بأهمية الثقافة في المجتمع، بمختلف فروعها، بما فيها الثقافة الشعبية، وظهرت أقلام وأسماء جديدة، وصدرت مجلات ثقافية جديدة بعد ذلك، فأضحت تعنى، بشكل متخصص في معظم الحالات، بحقول الفكر والفلسفة وعلم الاجتماع والاقتصاد والدراسات النفسية وعلم التربية والمنطق واللسانيات والسيميائيات والنقد الأدبي والشعر والقصة، بحيث قد لا يسعنا المجال، هنا، لحصر تلك المجلات الثقافية، والجمعيات الثقافية أيضا، والوقوف عند توجهاتها العامة، وأدوارها المختلفة في ترسيخ ثقافة وفكر وأدب جديد، والمساهمة في تطوير ذلك، وتمثل أسئلته المتحولة. كما تميزت المرحلة التالية أيضا بانفراد بعض مجالات التعبير، كما سبقت الإشارة، بمجلاتها المتخصصة، وظهرت لأول مرة مجلة للشعر، يصدرها «بيت الشعر في المغرب» بعنوان «البيت»، كما ظهرت مجلة للقصة، تصدرها «مجموعة البحث في القصة القصيرة بالمغرب»، بعنوان «قاف صاد». وقبل هاتين المجلتين، كان كل من محمد برادة ومحمد العربي المساري وعبد الجبار السحيمي قد أصدروا مجلة بعنوان «القصة والمسرح» عام ١٩٦٤، لكنها لم تعمر طويلا.

ومن بين أهم تلك المجلات الثقافية التي كان لها صدى واسع، في تلك الفترة، مجلة «الثقافة الجديدة»، بما يعكس اسمها من رغبة في

التغيير والخلق: «تغيير الإنســان المغربي العربــي وخلقه من جديد، ليدخـل حدود إنســانيته المغتالة»، وخلق «ثقافــة جديدة»، من حيث نوعيتهــا ورؤيتها. وقد تبلور هذا الشــعور، لدى هذه المجلة، انطلاقا من الإحســاس الذي أصبح ينتاب المثقف المغربي في تلك الفترة وهو مقتنع بأن ثمة أزمة حقيقية تعيشــها الثقافة المغربية فكرا وإبداعا، والتي هي جزء من الأزمة الثقافية التي يعرفها العالم العربي».

وتركز هذه المجلة، من خلال ذلك، على ما تسميه بالخاصية القومية العربية، حيث كان هدفا يتمثل في «المساهمة في بعض جوانب الثقافة العربية، تعريفا ومناقشة، في حدود الإمكان والضرورة، وما نقوله في الجانب العربي نعممه على الصعيد العالمي» .

٦- دور الجمعيــات الثقافيــة بالمغرب في دعــم عملية الإصلاح وإشاعته:

إن الحديــث عن دور الجمعيــات الثقافية في دعم عملية الإصلاح وإشــاعته، هو بمثل حديثنا الســابق عن دور المجــلات الثقافية في هذا الإطار نفســه. من ثم، ســوف نركز حديثنــا، بهذا الخصوص، علــى تلك الجمعيات الثقافية والنوادي والأندية الثقافية التي ظهرت خــلال المرحلة التاريخية الأولى، أي منــذ إعلان الحماية إلى إعلان الاســتقلال، حيث ارتبــط عملها، في بداياتــه، بالنزعة الإصلاحية خصوصــا، فــي بعدها الثقافــي والاجتماعي والسياســي والديني، شــأنها في ذلك شــأن الصحافة الثقافيــة، إذ كان العقد الثاني من القرن الماضي حاســما في ظهور عدد من الجمعيات الثقافية وتفتق دورهــا الثقافي والتوعوي في المناداة بالإصلاح ومواجهة السياســة الاســتعمارية (الفرنسية والإسبانية على حد ســواء)، تشرف عليها مجموعــة من المثقفين الوطنيين المتحمســين للإصلاح، حيث ظهرت في أوائل العشرينيات، في بعض المدن المغربية، العديد من التجمعات والتكتلات الداعية للإصلاح والتجديد.

وقــد كان لفاس، من خلال جامعــة القرويين، دور بارز في التنوير وفي بعث الروح السلفية والقومية في نفوس الطلبة، فقمنا - يضيف عــلال الفاســي - «بعدة حركات لإصــلاح التعليــم الجامعي(...) ثم

أسست مع ثلة من إخواني مجلة شهرية سرية باسم (أم البنين) كانت تصدر بانتظام في أربعين صفحة، وتكرر على (البولي كوبي) ثم توزع على هذه الجماعات السرية بفاس والرباط ومراكش وطنجة وتطوان، وفي الوقت نفسه كنا على اتصال بثلة من إخواننا الذين ذهبوا لإتمام دراســتهم بفرنسا والشرق، حيث أخذوا يعملون في جو أصفى وأكثر حرية من جونا، وقد اســتطاعوا أن يؤسســوا بباريس: «جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا» و«جمعية الثقافة العربية»، ويتصلوا فــي العطلة الصيفية بشــخصيات من بينها عطوفة الأمير شــكيب أرسلان، كما استطاع أصدقاؤنا في القاهرة أن يشاركوا في تأسيس «جمعية الشــباب المســلمين» و«جمعية الهداية الإسلامية». وحاولنا نحن في الداخل أن نؤسس «جمعية أحباء الطلبة» وأن نعمل لمساعدة فلســطين، فكانت الســلطة دائما تجيبنا بالرفض، وتحول بيننا وبين إنجــاز ما نريد، وعلى الرغم من ذلك فقد والينا العمل لإنشــاء عدة مدارس إصلاحية في مراكز مختلفة..».

كذلك لابد من الإشــارة، في هذا الإطــار، إلى إحدى الجمعيات الثقافية التي ظهرت بشــمال المغــرب، وخصوصا في تطوان، «عام ١٩٣٢ عندما أســس الأستاذ عبد الخالق الطريس «جمعية الطالب المغربية» التي مهدت لظهور حزب الإصلاح الوطني..»، وهي الجمعية التــي رأت فيهــا مجلة «المغــرب الجديد» كونهــا: «..الهيئة الأدبية الوحيدة التي تقوم في شــمال المغرب بنشــر الثقافة بين المواطنين، وتحبيب المعرفة إليهم بمختلف الوسائل من محاضرات واحتفالات، عامة وخاصة، والحق أن تاريخها في الميدان الثقافي تاريخ مجيد..». ومدير هذه المجلة نفســه (الشــيخ محمد المكــي الناصري) هو من أسس، فيما بعد، «نادي الوحدة المغربية»، ليكون مركزا ثقافيا تابعا لحزب الوحدة المغربية الذي كان يرأسه، حيث كانت من بين أهداف ذلك النادي: «تعميق الشــعور بالوحدة المغربية في نفوس المســلمين المغاربة وإعدادهم للســعي في ســبيل تحقيقها من جديد، كما أنه مركز للثقافة والتهذيب والتربية القومية الصحيحة...».

الدور نفسه تقريبا، اضطلعت به المجالس والنوادي والأندية الأدبية

بالمغرب، وخصوصا في الرباط (مثلا النادي الجندري بالرباط)، في جمع الأدباء والشعراء للتداول والتحاور فيما بينهم حول القضايا والأحداث الوقتية، إلى جانب الدور اللافت الذي لعبته المحاضرات التي كانت تلقى في جامعة القرويين في التكوين وترسيخ الوعي الوطني والثقافي، وهو جانب يؤكده أحد رموز هذه المرحلة، الزعيم علال الفاسي، في قوله:«ومن الاعتراف بالحقيقة ودون الرغبة في أي افتخار يجب أن أقول إنه كان لهذه المحاضرات الدائمة أثرها الفعال في نشر المبادئ الصحيحة والأفكار النيرة وتأييد الحركة الوطنية في الأوساط الشعبية، كما كان لها فضل في تكوين ثلة من الشباب المثقف وتوجيهه الوجهة الصحيحة في القومية والسلفية وملئه بالروح القومية..».

كما لعبت الحركة السلفية حينذاك دورا بارزا في الدفع بالشباب إلى الاهتمام بالشئون العامة والانخراط في العمل الوطني، ومقاومة المشايخ الذين استفادوا من نظام الحماية، وذلك جانب لعبت فيه جامعة القرويين، من خلا ل المحاضرات والدروس الشعبية المهمة التي كانت تلقى فيها، دورا كبيرا في تنوير هؤلاء الشباب والطلبة المتحمسين، بما فيها تلك الدروس التي كان يلقيها علال الفاسي نفسه حول معاني السيرة النبوية والتاريخ الأول للإسلام والمقارنة بين حال المسلمين في العهد الماضي وحالهم اليوم وأسباب تقدم الأولين وانحطاط الأخيرين.

وقد ساهمت المرأة المغربية، كذلك، في هذا المجال الجمعوي الحيوي، من خلال قيام جماعة من نساء المغرب بتأسيس تنظيم نسائي عام ١٩٤٧، في أحضان «حزب الشورى والاستقلال»، اختارت له اسم «أخوات الصفا»، فكان ذلك المؤتمر النسائي الأول من نوعه بالمغرب. وقد تأسست هذه المنظمة بالنظر إلى النزعة الليبرالية الإصلاحية التي تبناها «حزب الشورى والاستقلال» وإيمانه بالإصلاح الاجتماعي، حيث كان مفكروه يربطون بين قضية المرأة، ومسألة تمدين المجتمع وتحديثه، وينظرون إلى تحرير المرأة، باعتباره جزءا من دعوتهم لتوفير الحريات الديموقراطية، مع ما واكب ذلك

من حماس لدى بعض رجالات الحزب المذكور للدفاع عن قضايا المرأة المغربيـــة. ومن بين واجهات عمل الجمعية ودورها الإصلاحي الدعوة إلى تعليم المرأة من أجل التغيير وحب الوطن وخدمة المجتمع والبلاد، إلى جانب محاربة التقاليد والعوائد الضارة.

ذلك جانب مـــن الدور الإصلاحي والتنويري الـــذي كانت تقوم به الجمعيـــات الثقافية والمنتديات والنـــوادي وجامعة القرويين في تلك المرحلة التاريخية الحاسمة، بأسلوب جديد يدفع بالشباب إلى تجديد التفكيـــر في حالهم ومصيرهم، وبشـــكل لم يكـــن قائما في الدروس الوعظية التي كانوا قد اعتادوها في المرحلة نفسها.

إن اهتمام المجلات والجمعيات الثقافية بموضوع «الإصلاح» بشكل عام، في تلك المرحلـــة، كان دائما اهتماما خاصا وممتدا في الزمن، وذا أولوية في سياســـة تلك المجلات وخطهـــا التحريري، وفي عمل تلـــك الجمعيات ونضالاتها مـــن أجل التحرر والحفـــاظ على الهوية العربية والإســـلامية للبلاد، ولم يكن قـــط اهتماما عابرا أو ظرفيا، مرتبطا فقط بالوجود الاستعماري في المنطقة، وذلك لما كان لموضوع الإصلاح من أهمية حيوية قصوى، وتأثير بيِّن، وحظ أوفر في الحياة الاجتماعية والسياســـية والثقافية، حتى قبل ظهور الصحافة بشكل عام.

دور المجلات الثقافية في دعم الهوية العربية الإسلامية للشعب التونسي

د. الحبيب الجنحاني*

أود، بادئ ذي بدء، إبداء الملاحظات التالية:

أولا- لا يمكن الحديث عن ظاهرة «المجلات الثقافية»، وعن دورها في الوعي بالهوية العربية الإسلامية، والوعي بالشعور الوطني بصفة أخص دون الإلماع إلى الظروف التاريخية التي ساعدت على بروز حركة الطباعة، وتأسيس الدوريات في البلدان العربية التي عاشت تجارب تحديثية في القرن التاسع عشر، فالاهتمام بحركة الطباعة والنشر مثل ركنا أساسيًا من أركان برامج تحديثية شملت إصلاح التعليم، وإصلاح أجهزة الدولة، وتعليم اللغات الأجنبية، وإرسال البعثات الطلابية للتعلم في أوربا محاولة من قادة الحركات الإصلاحية العربية الوقوف أمام تسرب النفوذ الأوربي، وقد مثل الخطوة الأولى للاحتلال والاستعمار، وتأتي تونس في طليعة الأقطار العربية التي عاشت تجربة تحديثية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد تم تأسيس المطبعة الرسمية سنة ١٨٦٠، وأنشئت «الرائد التونسي»

* كاتب وأكاديمي من تونس.

بقسميها الرسـمي والثقافي العام، كما سمح دخول الطباعة إلى نشر كتب التراث، والمؤلفات المترجمة عن اللغات الأوربية، والكتب الجديدة التي نظرت للتجربة التحديثية، وفي مقدمتها كتاب خير الدين «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» (١٨٦٧)، ونظرا لأن تجربة النشر والطباعة جديدة فقد استعان المصلحون التونسيون بمن لهم خبرة في هذا الميدان من مثقفي المشرق العربي مثل أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٧) صاحب الجوائب، وحمزة فتح الله المصري (١٨٤٩-١٩١٨)، والصحفي الشامي منصور كرليتي.

ثانيا - مثلت الدوريات الثقافية بشتى أنواعها: مجلات، وصحفًا أسبوعية، وصفحات ثقافية في جرائد يومية منابر لتيارات تجديدية على اختلاف نزعاتها، وأسهمت في إثراء ثقافي ذي رؤية إصلاحية في أكثر الحالات، كما كان لها أثر بعيد المدى في تجديد اللغة، وبروز أسلوب جديد هو أسلوب المقالة الفكرية، والمقالة السياسية.

ثالثا- أسهم إنشاء الدوريات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي مطلع القرن العشرين في تنشيط حركة الترجمة من اللغات الأوربية إلى اللغة العربية، فقد كان كثير من مقالات «الرائد التونسي» مترجمة عن الفرنسية بصفة خاصة، وجاء الاهتمام بالترجمة خدمة للبرنامج الإصلاحي التحديثي الذي أرسى أسسه خير الدين، فكان الغرض من نقل المعارف الأوربية التعريف بما بلغته الحضارة الحديثة، وقد أسهمت الترجمة في ظهور أسلوب صحفي من جهة، وشيوع مفاهيم سياسية وفكرية في أوساط النخبة من جهة أخرى.

رابعا- لابد من التلميح هنا إلى أن الدوريات الثقافية مثلت في حالات معينة في تونس، وفي غيرها من الأقطار العربية منابر فكرية وسياسية وطنية في الوقت ذاته، بل مثلت أحيانا تجمعا لفئة من رجال النخبة أدى دور الحزب السياسي، كما هو الشأن في حالة جريدة «الحاضرة»، فلا بد إذن من تنزيل رسالة الدوريات الثقافية في مراحلها التاريخية، وفي بيئاتها الوطنية السياسية.

تأسست «الحاضرة» (١٨٨٨-١٩١١) بعد سنوات معدودات من فرض الهيمنة الاستعمارية على البلاد التونسية، وفشل المشروع الإصلاحي

الذي قاده خير الدين أملا في إمكانة الوقوف أمام أطماع فرنسا في تونس، فشل المشروع سياسيا، ولكنه نجح في غرس بذرة الإصلاح والتحديث، وهو الجانب الذي هدفت «الحاضرة» إلى مواصلة السعي لإحيائه في ظرفية سياسية جديدة، وقد كان لها دور بعيد المدى في ميلاد الحركة الوطنية التونسية، فقد تعاهد مؤسسوها على «حب البلاد.. وتصافحوا على ما يفيد العباد»، كما جاء في العدد الأول منها.

تحدث الزعيم المغربي علال الفاسي في كتابه «الحركات الاستقلالية في المغرب العربي» عن مؤسس «الحاضرة» علي بوشوشة (١٨٥٩-١٩١٧) قائلا: «أبرز هؤلاء الشبان (يعني الجماعة التي أسست الحاضرة)، وأقواهم شخصية هو السيد علي بوشوشة صاحب جريدة الحاضرة، فاستطاع أن يجمع من حول الجريدة كتلة قوية من أصدقائه، وغيرهم من المثقفين الزيتونيين والمدرسيين، وقاموا بحركة قومية ودينية ترمي إلى تقوية روابط القطر التونسي بحركة الجامعة الإسلامية».

أما رائد الجماعة ومنظرها البارز فهو البشير صفر (١٨٦٣-١٩١٧)، وقد نعت بأنه أب النهضة التونسية الثاني بعد خير الدين، وقد تأثر به زعماء حركة «الشباب التونسي» الذين تزعموا الحركة الوطنية والإصلاحية في مطلع القرن العشرين مثل الزعيم عبد العزيز الثعالبي (١٨٧٥-١٩٤٤)، وعلي باش حانبة (١٨٧٩-١٩١٨)، وأخيه محمد باش حانبة (١٨٨١-١٩٢٠).

ويمكن أن نلخص القضايا المحورية التي عالجتها «الحاضرة» في النقاط التالية:

- الذود عن الهوية العربية الإسلامية للبلاد.
- التفاعل مع القضايا العربية والإسلامية مشرقا ومغربا.
- وطرحوا في مجال الفكر الإصلاحي التساؤل الكلاسيكي: «لماذا تأخر المسلمون، وتقدم غيرهم»؟
- التعريف بالماضي الزاهر للحضارة العربية الإسلامية باعتباره حافزا لهم على التمسك بالهوية الحضارية.
- التوفيق بين الشريعة الإسلامية والأخذ بأسباب التقدم الذي

تعرفوا إليه عن كثب غداة اتصالهم المباشر بالنهضة الأوربية، ويمثل ذلك الفكرة المحورية التي تقوم عليها مقدمة «أقوم المسالك» لخير الدين.

ألمعنا قبل قليل إلى أن جماعة «الحاضرة» لم تكتف بأداء دورها الإعلامي التنويري، بل شكلت نواة لحزب سياسي إصلاحي معتدل، ومن هنا جاء اهتمامها بتأسيس جمعيات أهلية ذات طابع اقتصادي وثقافي، ومن أبرز هذه المؤسسات «الجمعية الخلدونية» التي أسسوها عام ١٨٩٦، ودشنت رسميا سنة ١٨٩٧ بمحاضرة أحد رواد الحركة الإصلاحية، وصديق خير الدين الشيخ سالم بوحاجب (١٨٢٧-١٩٢٤) حول أهمية العلم والتعليم في الإسلام تحت عنوان «وعلم آدم الأسماء كلها».

أسسوا «الخلدونية» جمعية أهلية مستقلة عن السلطة الاستعمارية بعد أن انحرفت «الصادقية» التي أسسها خير الدين عام ١٨٧٥ عن أهدافها التي بعثت من أجلها، وهي تنشئة جيل يخدم المشروع الإصلاحي التحديثي الذي وضع أسسه النظرية في كتابه «أقوم المسالك».

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه قبل قليل، وهو أن جماعة «الحاضرة» نظروا إلى أنفسهم باعتبارهم حزبا سياسيا إصلاحيا فقد تجاوزوا الحدود الوطنية، والقضايا الداخلية ليتفاعلوا مع الحركات الوطنية والإصلاحية في العالم العربي الإسلامي، فقد نوه علال الفاسي بالمقالات التي نشرها البشير صفر في جريدة «الحاضرة»، مدافعا عن استقلال المغرب الأقصى ووحدته بعد أن انكشف المخطط الفرنسي لاحتلاله، وكانت تربطها علاقات متينة مع حركة الدستور المغربية التي نشرت مقالات متعددة في «الحاضرة» سنة ١٩٠٩ هاجمت فيها السلطان عبد العزيز مطالبة إياه سلوك سياسة حازمة لوقاية المغرب من مؤامرات الاستعمار الفرنسي، وبخاصة بعد توقيع معاهدة الصداقة عام ١٩٠٤.

أما العلاقات الثرية والمتنوعة فقد كانت مع رواد تيار الفكر الإصلاحي بالمشرق العربي، ولهذه العلاقات تقاليد راسخة تعود إلى اهتمام المصلحين التونسيين بمؤلفات الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١-

١٨٧٣)، وخصوصا «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»، و«مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية»، ويصف الطهطاوي خير الدين بحكيم السياسة.

وكانت للحاضرة صلة بجمال الدين الأفغاني، وسعت إلى نشر آرائه في صفوف النخبة التونسية فاتهمها الحزب الصيادي بالأستانة (نسبة إلى أبي الهدى الصيادي ١٨٤٩-١٩٠٩) بتأييد الأفغاني، ونشر آرائه المناوئة للخليفة، وكان السيد جمال الدين مواكبا على متابعة نشاط النخبة التونسية، ومطالعا لما تنشره «الحاضرة»، ومن الثابت أن مدير الجريدة قد سافر إلى عاصمة الخلافة العثمانية، والتقى بالسيد جمال الدين، وشهرت جريدة المحروسة المصرية الموالية لأبي الهدى الصيادي بهذا اللقاء قائلة: «إن الأستاذ علي بوشوشة قد اجتمع قبل رجوعه إلى تونس ببعض من لا خلاق لهم»، وهي تعني الأفغاني (ع. العريبي، ص٣٢٨). ومن المعروف أن العلاقة قد توطدت بين الأفغاني، وتلميذه الشيخ محمد عبده منذ إصدارهما مجلة «العروة الوثقى» بباريس، وأذهب إلى القول في هذا الصدد إلى أن جماعة «الحاضرة» قد كانت متأثرة إلى حد بعيد بتجربة «العروة الوثقى»، وهي التي مثلت جسرا متينا بين التيار الإصلاحي التونسي وبين زعيمي الحركة الإصلاحية المشرقية يومئذ: الأفغاني، وعبده، فقد زار الشيخ عبده تونس مرتين، الأولى عام ١٨٨٤ قادما من باريس، والثانية عام ١٩٠٣ قادما من الجزائر، ورحبت به «الحاضرة» في زيارته الثانية، ونشرت محاضرته الشهيرة التي ألقاها على منبر «الخلدونية» تحت عنوان «العلم وطرق التعليم»، وهو الموضوع الذي ركز عليه محمد عبده باعتباره دعامة الإصلاح الديني والاجتماعي، وخصوصا بعد اختلافه مع أستاذه السيد جمال الدين، وقد لقيت دعوته صدى واسعا بين المثقفين التونسيين بفضل الحيز الكبير الذي خصصته للمحاضرة، ولنشاط صاحبها في تونس بصفة أعم.

انحازت جماعة «الحاضرة» إلى موقف محمد عبده بعد أن اتضحت أسباب الخلاف بين الأفغاني وتلميذه عبده، ويمكن تلخيصها في سبب جوهري يتمثل في إيمان السيد جمال الدين بأن الإصلاح ينبغي أن

يبدأ بالإصلاح السياسـي، أي مقاومة الحكم المطلق الاستبدادي في الداخـل، ومقاومة الاحتلال الأجنبي فـي الوقت ذاته، ولا يمكن إنجاز مشـروعات إصلاحية أخرى قبل الإصلاح السياسي، أما الشيخ عبده فقد ذهب إلى أن عملية الإصلاح ينبغي أن تركز على التربية والتعليم، ونشـر العلوم العصريـة، وهي التي تكمن وراء تقـدم الغرب كما يرى، وهي الرؤية التي بشـر بها في تونـس أثناء زيارتيه، وقد تبنتها جماعة «الحاضرة»، وهي بعيدة كل البعد عن اتخاذ مواقف سياسية ضد حكم الباي، أو سـلطة المحتل، وقد برهنت أحداث العالم العربي الإسلامي بعد ما يقرب من قرن ونصف على بروز الخلاف بين الأسـتاذ وتلميذه على صواب الرؤية الأفغانية.

ولا يمكن أن ننهي هذه الفقرة دون الإشارة إلى أن جماعة «الحاضرة» لم يقتصر تفاعلها على التيار الإسلامي الإصلاحي في المشرق العربي فحسب، بل شـمل أيضا حركات التحرر الوطني، إذ نشرت أخبارا عن الحزب الوطنـي، وعرفت بزعيمه ومؤسسـه مصطفى كامل (١٨٧٤-١٩٠٨)، كمـا رحبـت بمحمد فريـد (١٨٦٨-١٩١٩)، وقـد زار تونس مرتين، وربطته علاقات صداقة بجماعة «الحاضرة».

***

عرفت الصحافة الوطنية بصفة عامة، والدوريات ذات الطابع الفكري والثقافي بصفة أخص تحولا واضحا في مطلع القرن العشـرين تزامن مع ميـلاد الحركة الوطنية الحديثة غداة تأسـيس جماعة «الشـباب التونسي»، وصدور لسان حالها باللغة الفرنسية جريدة «التونسي» عام ١٩٠٧، وينحدر زعماء الحركة الجديدة من أسر البورجوازية التقليدية للمدن الكبرى، وبخاصة لمدينة تونس، ويتحدر أكثرهم من أصول تركية، فقـد كان زعيمهم علي بـاش حانبة متأثرا بحركة الشـباب العثماني، وحركـة الوطنيين في سـورية ومصر أكثر من تأثـره بحركة الإصلاح الديني التـي تزعمها جمال الديـن الأفغاني، وتلميذه الشـيخ محمد عبـده، وتخرج جلهم من المدارس الفرنسـية، وتبنوا في المرحلة الأولى سياسـة المشـاركة والاندماج، واسـتمرت هذه المرحلة إلى سنة ١٩١٢ بعد إعلان حالة الطوارئ غداة الانتفاضة الشعبية التي عاشتها مدينة

تونس، والمعروفة بحوادث «الجلاز». مثلت جريدة «التونسي» ظاهرة جديدة في تاريخ الصحافة الوطنية، ألا وهي صدور صحف بالفرنسية ناطقة باسم الأحزاب الوطنية، ولعل السبب في ذلك يعود بالأساس إلى التوجه للرأي العام الفرنسي من جهة، والرد على صحف الجالية الاستعمارية المهاجمة للحركة الوطنية الفتية، والمندّدة بزعمائها من جهة أخرى، ملاحظا أن جل مؤسسي حركة «الشباب التونسي» من ذوي الثقافة الفرنسية، وكتبوا أساسا بالفرنسية، ولكن تأثير التيار العروبي الإسلامي قد تواصل، وأبرز من مثله في صفوف «الشباب التونسي» الزعيم الإصلاحي عبد العزيز الثعالبي، وهو من تلامذة الشيخ سالم بوحاجب، ومن المتأثرين بالثنائي الأفغاني- عبده، وقد بدأت تجربته في الميدان الإعلامي وهو في سن العشرين لما أصدر جريدة «سبيل الرشاد» عام ١٨٩٥، وقد عرف برسالتها بالصفحة الأولى من العدد الأول (١٨٩٥/١٢/١٦) قائلا: إنها «جريدة علمية أدبية سياسية تاريخية»، وخصص ركنا من أركانها لقضايا الفنون الأدبية، والعلوم الفلسفية.

وليس من المبالغة في شيء الإصداع هنا بأن الثعالبي بقي وفيا للسنة التي سنتها جماعة «الحاضرة»، فهو من أنصار الجامعة الإسلامية، ومن المدافعين عن الخلافة العثمانية، فقد كتب عنه رفيقه في الحركة الإصلاحية الإسلامية عجاج نويهض يقول: «إنه خطيب من الطراز الأول أخذ عن جمال الدين الأفغاني حماية بيضة الإسلام، ومن عبد الرحمن الكواكبي السياحة، ودراسة شئون العرب المسلمين عن كثب، وقد جمع الثعالبي بين التنظيم القومي العملي، والقدرة العجيبة على الحديث الشهي الذي يحول به الحقائق الفلسفية إلى طعام ذهني».

وبعد هذه التجربة المبكرة في مجال النشر والصحافة سافر إلى الشرق، واتصل برجال الإصلاح في عاصمة الخلافة، وفي مصر، ولما عاد إلى تونس، وانضم إلى حركة «الشباب التونسي» أصدر جريدة «الاتحاد الإسلامي» (أكتوبر ١٩١١)، وقد نعتت نفسها بأنها جريدة «الشعب»، وقد برهنت مقالاته في الصحيفة الجديدة على التحول الذي عرفه فكر الثعالبي السياسي، وبخاصة موقفه من الحكم الاستبدادي،

وآثاره السلبية على الوضع العربي الإسلامي يومئذ، وقد لمس عن كثب في الأستانة ويلات الحكم الاستبدادي العثماني، فندد بالخصوص بعلماء السوء الذين ساندوا الحكم المطلق، وأضفوا الشرعية على سلطة غير شرعية، فقد كتب في افتتاحية العدد الأول يقول:

«كل ذلك وعلماء السوء كانوا يبررون أعمال هؤلاء الجبابرة الطغاة، ويدعون لهم على المنابر، ويقرنون ذكرهم بذكر الله مقابل ما كانوا يتقاضونه منهم من العطايا والهبات».

إن تأثير الثعالبي في الفكر الإسلامي الإصلاحي المعاصر قد تجاوز تونس، ومصر، وفلسطين، وعاصمة الخلافة العثمانية ليبلغ شبه القارة الهندية، وسومطرة، وسيلان، وسنغافورة، واليمن، والكويت.

***

يتميز الربع الأول من القرن العشرين ببروز ظاهرة المجلات ذات الموضوعات العامة، ونجد ضمنها أبوابا مخصصة للأدب، والثقافة بصفة أعم، وتكاد تتخصص مجلات أخرى في طرح القضايا الثقافية، وهي دوريات ذات رؤى متباينة أسسها أفراد، أو جماعات انتبهوا إلى أهمية العمل الثقافي في نشر الوعي، والذود عن الهوية الحضارية للشعب التونسي، وقد عانى جلها من صعوبات حالت دون استمرار صدورها بانتظام، ولذا يلاحظ الدارس لهذه الدوريات توقفها بعد صدور أعداد قليلة نذكر من بين هذه المجالات:

- السعادة العظمى (١٩٠٤-١٩٠٥)، وهي تعتبر أول مجلة تونسية تصدر بالعربية، وقد أسسها أحد شيوخ الزيتونة محمد الخضر حسين (١٨٧٦-١٩٥٨)، وهو يصنف ضمن التيار الزيتوني المحافظ، وقد رحل إلى المشرق العربي فدرس بدمشق، ثم عاش فترة في عاصمة الخلافة، وقد أرسلته القيادة التركية الجديدة في مهمة إلى برلين أثناء الحرب العالمية الأولى، واستقر بعد ذلك في مصر، وأصبح من أشهر شيوخ الأزهر، وقد تقلد في المرحلة الناصرية منصب مشيخة الأزهر.

أما الموضوعات التي تناولتها المجلة (وكان أغلبها من تحرير مؤسسها) فهي:

- المباحث العلمية.

- الآداب، وهو الركن، المخصص للشعر، وللإبداع الأدبي.
- الحكم، والموضوعات ذات الطابع الأخلاقي.
- قضايا الإصلاح، والدعوة إلى الأخذ بأسباب المدنية.

ولا ننسى الإشارة في هذا الصدد إلى أن مؤسس المجلة هو من تلامذة الشيخ سالم بوحاجب، فقد كتب في العدد الثاني عشر عن «مدنية الإسلام والعلوم العصرية»، ونشر قصيدة تحض أبناء جيله على الأخذ بأسباب نهضة جديدة تعيد للمسلمين قوتهم ومكانتهم في العصر الحديث، وقد ختمها قائلا:

إن المعارف والصنائع عدة
باب الترقي من سواها موصد

- «خير الدين» (١٩٠٦) يكشف اسم المجلة على اتجاهها منذ العدد الأول، وهو الدفاع عن مشروع خير الدين التونسي، وقد قدمه مؤسسها الصحفي التونسي المشهور محمد الجعايبي (١٨٨٠-١٩٣٨) مصلحا كبيرا، وسياسيا محنكا تجاوزت رسالته حدود القطر التونسي ليشمل إصلاح الرجل المريض: الخلافة العثمانية (تولى الصدارة العظمى في الاستانة).

ومن أبرز المسائل التي تناولتها المجلة قضية المرأة، وقضية اللغة العربية باعتبارها الدعامة الصلبة للنهضة العربية، وكان لها فضل نشر أول نص روائي عرفه الأدب التونسي الحديث بعنوان «الهيفاء وسراج الليل» للأديب القيرواني صالح السويسي (ت عام ١٩٤١).

وتوقفت «خير الدين» في نفس السنة التي صدرت فيها، وهي تلتقي في هذه الظاهرة مع كثير من المجلات الثقافية التي صدرت قبل الاستقلال.

- «الفجر» (١٩٢٠-١٩٢٢) كان لهذه المجلة أثر بعيد المدى في الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للشعب التونسي، وعلى الرغم من دفاعها عن الجامعة الإسلامية في المجال السياسي، وعن الإسلام الاجتهادي في مجال الفكر الإسلامي فقد تبنت مبدأ الإفادة من النهضة الأوربية الحديثة، ونادت بمبدأ حرية المواطن، بل ذهبت بعيدا فأعلنت أن المسلمين ليسوا مطالبين بطاعة سلطة غير شرعية تتنكر لقيم الشورى

والحرية في الإسـلام، كما أشـادت بحرية الصحافة باعتبارها الأس المتـين لكل نهضة، أمـا قضايا اللغة والثقافة فقد تبـوأت مكانة بارزة بـين أركان المجلة، إذ إننا نجد دعوة متواصلة لتجديد اللغة العربية كي تستطيع مواكبة تطورات العصر الحديث، ودعت إلى تعلم اللغات الحية لتكون نافذة على الحضارة الأوربية، وفتحت صفحاتها في الوقت نفسه للتعريف بالتراث العربي الإسلامي.

أما المسائل الأدبية فقد حظيت بحيز بارز بين القضايا التي عالجتها المجلة فنشـرت إنتاج كثير من أدباء المشـرق العربي إلى جانب الأدباء التونسيين.

- «البـدر» (١٩٢٠- ١٩٢١)، إن المتصفح لأعـداد هذه المجلة يلمس في يسـر اهتمامها بقضايا الجامعة الإسلامية، وبإبراز دور مناصري الخلافة العثمانية من التونسيين، فقد عرفت القراء بشيخين من شيوخ الزيتونـة عرفا المنفـى دفاعا عن الجامعة الإسـلامية، وتوفيا في دار الغربة، وهما الشـيخ إسـماعيل الصفايحي (١٨٥٢-١٩١٩)، والشيخ صالح الشـريف (١٨٦٠-١٩٢٠)، وقد انغمسا في قضايا السياسة في بعديها الوطني والإسـلامي على غرار تلميذهمـا الزعيم عبد العزيز الثعالبي، ولذا نجد المجلة قد دافعت عن مقولة «الإسـلام دين ودولة»، وعن ضرورة اهتمام العلماء بالسياسـة متخـذة من تجربة ابن خلدون مثالا يحتذى.

تلتقي «البدر» مع المجـلات الثقافية الصادرة بين الحربين العالميتين في اهتمامهـا بقضية اللغة العربية، مؤكدة أنـه لا يمكن إنجاز نهضة عربية حديثة دون تحديث العربية وتطويرها لتصبح قادرة على التعبير عن القضايا المعاصرة، وقد جعلها هذا التوجه تعرف بالنصوص التراثية التي كتبت بلغة أدبية راقية، فاسـتعانت في ذلك بابن المقفع، وابن أبي طاهـر، والمعري مـن القدامى، وبمعروف الرصافـي (١٨٧٥-١٩٤٥)، وجميل صدقي الزهـاوي (١٨٦٣-١٩٣٦)، والمنفلوطي (١٨٧٢-١٩٢٤) من أدباء المشرق العربي، وذلك إلى جانب الأدباء التونسيين مثل محمد الخضر حسين، وسعيد أبو بكر، كما نشرت المجلة نصوصا معربة لكبار الكتاب الفرنسيين.

ولمـا توقفت «البدر» عوضتها مجلة «العـرب» (١٩٢٣-١٩٢٤) بإدارة كاتب تونسـي تبوأ مكانة مرموقة في تاريخ المجلات الثقافية التونسية وأعني زين العابدين السنوسـي، وقد كان ضمن زمرة جماعة «البدر»، ولـذا فقد اتبعت المجلة الجديدة المنهج الذي سـارت عليه «البدر» في اهتمامها بقضية اللغة العربية، وفي تفتحها على الأدب المشـرقي، وفي تعريفهـا بالتراث العربي الإسـلامي، ولكنها أفردت حيزا أكبر للأدب، ونشر فيها كبار الأدباء.

تزامن صـدور مجلة «العرب» مع أحداث سياسـية كبرى عاشـتها تونس، والمغرب العربي (ثورة الريف)، وبداية تأسـيس الحركة العمالية ذات الطابع الوطني بقيادة محمد علي الحامي (١٨٩٠-١٩٢٨)، وقضية الخلافة في المشرق، وبداية المقاومة الفلسطينية ضد الهجرة اليهودية إلى فلسـطين، وغيرها من القضايا السياسية المطروحة على الساحة العربية يومئذ.

كل هذه القضايا جعلت صاحب المجلة يخصص ملحقا سياسيا صدر مـع المجلة فالتحمت الثقافة بالنضال السياسـي والاجتماعي التحاما شـديدا، وقد تواصلت الظاهـرة في المجلات الثقافية إلى اسـتقلال البلاد.

***

دخلت المجلات الثقافية مرحلة جديدة ابتداء من الثلاثينات اتسمت بتعدد المنابر، وبالتجديد الفكري والأدبي، وبروز أقلام جديدة، وسنقف عنـد أبرزها لما تمثله مـن أهمية كبرى في التأريخ للثقافة التونسـية الحديثة، وهي «العالم الأدبي»، و «المباحث»، و«الثريا»، و«الندوة»، ولكن لابد من الإشـارة إلى دوريات أخرى كان لهـا أيضا أثر بعيد المدى في النهضة الثقافية التي عرفتها تونس في مرحلة ما بين الحربين، وأعني الصحيفة الأسـبوعية «الشـباب» (١٩٣٦-١٩٣٧) التي أسسها محمود بيرم التونسـي (١٨٩٣-١٩٦١) فـي مرحلة منفاه بتونس، فقد خصص قسما كبيرا من الصحيفة للسياسة فهاجم السياسة الاستعمارية، ووجه في الوقت نفسـه نقده الهزلي اللاذع إلى المتعاونين مع الاستعمار، كما ناصر التيار السياسـي المجدد الذي تزعمـه الزعيم الحبيب بورقيبة،

وناصر تحرر المرأة، منددا بمظاهر الجمود، والفكر الأسطوري.

ومـن الطبيعي أن يخصص الكاتب والشـاعر الكبير بيرم التونسـي حيزا بارزا للأدب والفن، وبحكم صلته بالشعر الغنائي، وبالوسط الفني بصفة عامة فقد كانـت جريدته رائدة في العناية بالحياة الفنية، وهي ظاهرة جديدة، أو تكاد لم تعرفها الدوريات الثقافية من قبل.

أما «المجلة الزيتونية» (١٩٣٦-١٩٥٥) فقد أسسـها شـيوخ الزيتونة لتعبـر عن رؤاهم في القضايا الإسـلامية بالدرجـة الأولى، ولكنها لم تهمل قضايا اللغة والأدب، وقد تناولتها من وجهة نظر محافظة.

***

وأعود إلى «العالم الأدبي» (١٩٣٠-١٩٣٦) لأشير إلى أنها تمثل المجلة الأولى المتخصصة فـي قضايا الأدب العربي الجديد، فقد كانت منبرا للمجددين في فن المقالة، وفي الشعر، والنصوص السردية، وكذلك في الميدان المسرحي، ولم تهمل الترجمة.

وقد نشر فيها جل الأدباء التونسيين المعروفين في تلك الفترة، كما نقرأ فيها نصوصا لأدباء المشرق العربي، وقد عرفت بموقفها المناصر للمصلح التونسـي المدافع عن حريـة المرأة الطاهر الحـداد (١٨٩٩-١٩٣٥)، لما أصدر كتابه الشـهير «امرأتنا في الشـريعة والمجتمع»، وعرفت بالشاعر النابغة أبي القاسـم الشـابي (١٩٠٩- ١٩٣٤)، كما تصدت لممثلي التيار المحافظ في الفكر والأدب.

وتميزت «المباحث» في سلسلتها الثانية (١٩٤٤-١٩٤٧) بتمثيلها لجيل جديد من المثقفين التونسـيين عرفوا باطلاعهم الواسـع على الثقافة الغربية، ومعرفتهم في الوقت ذاتـه بالأدب العربي القديم، فقد تخرج بعضهـم من جامعة السـوربون فـي اختصـاص الأدب العربي، ونجد في مقدمتهم الكاتب التونسـي المعروف محمود المسـعدي، وقد علقت جماعـة «المباحث» آمـالا كبرى على هبوب ريـاح الحرية على بلادهم بعد انتصار قوى الديمقراطية على النازية، وآمنوا برسـالة المثقف في تغيير الأوضاع المتردية، ولكن سـرعان مـا خيبت الأيام ظنونهم، إذ إن الإدارة الاسـتعمارية قد واصلت سياسـتها التعسفية فاشتدت الرقابة على الصحافة، كما تعرب عن ذلك رسـالة أسـرة المجلـة إلى الكاتب

الفرنسي الشهير، والوزير المشرف على الإعلام يومئذ أندري مالرو (راجع المباحث، أكتوبر ١٩٤٥).

وقد حددت «المباحث» رسالتها في العدد الأول من السلسلة الثانية تحت عنوان «تزول الأعراض ويبقى الجوهر» قائلة:

«ولا تريد هذه المجلة أن تنتصب للدفاع عن مذهب دون مذهب، والتعصب لفريق دون فريق، وإنما هي تود أن تكون مرآة صافية، صادقة لما يستطيعه كل تونسي من مفيد البحث والتفكير والابتكار» (المباحث، ١٠/٤/١٩٤٤).

ومن الأهداف التي حددتها الدفاع عن صفاء الإسلام، ومقاومة البدع، وآفاق الدخلاء، وعلل الشعوبية، ولكن الرقابة الاستعمارية وقفت حائلا بينها وبين خدمة هذا الهدف السامي، وبخاصة في مستوى المغرب العربي، «لكن سامح الله الرقابة، وعجل بدفنها حتى يكون للحرية معنى...» (عدد مارس ١٩٤٥).

دافعت «المباحث» عن اللغة العربية، وتصدت لمحاولات الإدارة الاستعمارية تهميش الثقافة العربية وإهمالها، ولكنها نادت في الوقت نفسه بضرورة التفتح على الثقافات الغربية، وبخاصة الثقافة الفرنسية، معللة ذلك بما عرفته الحضارة العربية أيام ازدهارها من التفتح على ثقافات الشعوب الأخرى.

وعرف موقفها تجاه القضايا السياسية مراحل مختلفة، وأصبحت في مرحلتها الأخيرة - وبعد خيبة الأمل في سلوك الإدارة الاستعمارية سياسة اعتدال وانفراج- منارة لحركات التحرر الوطني في تونس، وفي العالم العربي الإسلامي (ر. افتتاحية عدد أغسطس- سبتمبر ١٩٤٦).

أما مجلة «الثريا» (١٩٤٣- ١٩٥٠) فقد كان لها أثر بعيد المدى في خدمة الأدب التونسي، وفي التعريف بكثير من الأقلام التونسية، وأولت عناية خاصة بأدب أقطار المغرب العربي، ونشر فيها أدباء مقهى «تحت السور» إنتاجهم، وكان لصاحبها علاقة متينة بهم، ومن المعروف أن جماعة مقهى «تحت السور» قد أثرت تأثيرا عميقا في الحياة الأدبية والفنية التي عاشتها تونس في الأربعينات (ر. عنهم ما كتبه أحد أفرادها

البارزين علي الدوعاجي في جريدة «الأسبوع»٩،١٦، ١٩٤٦/٠٦/٣٠).

ولا بــد من الإشــارة هنا إلــى أن ارتبــاط صاحب المجلــة بالإدارة الاســتعمارية قد أثر في سمعتها في أوساط النخبة على الرغم من ما أدته من خدمة للثقافة التونسية.

صــدرت قبل اســتقلال تونس بســنوات معدودات مجلــة «الندوة» (١٩٥٣-١٩٥٧)، وتعــد مجموعتها مرجعا ثريا وأساســيا للتعرف إلى رؤى النخبة المثقفة التونســية في مرحلة حاســمة مــن مراحل حركة التحــرر الوطني، فقد صدرت بعد مرور ســنة علــى اندلاع الانتفاضة المسلحة للشعب التونســي من أجل الحرية والاستقلال (يناير ١٩٥٢)، كما أنها تتميز بنشر مقالات لعدد من المثقفين التونسيين الذين تحملوا مســئوليات سياسية في أجهزة الدولة الوطنية الفتية غداة الاستقلال، وســاهمت فيها أقلام فئتي النخبة المثقفة التونســية: فئة الزيتونيين، وفئة المدرســيين في فترة حاســمة من تاريخ البلاد التحم فيها نضال النخبة من أجل اســترجاع ســيادة البلاد، ثم الإســهام في بناء الدولة الوطنية الحديثة.

وعندما يتساءل المرء عن موقف أسرة «الندوة» من الأحداث السياسية التي عاشــتها البلاد، وقد صدرت المجلة، والانتفاضة الشعبية مشتعلة، كما ألمعنا إلى ذلك قبل قليل، فإنه يلمس الحذر كل الحذر، فهي تشــير من بعيد إلى كفاح الأمم المغلوبة (كلمة الندوة، عدد يوليو- أغســطس ١٩٥٤)، وتلمح بعد نيل تونس استقلالها الداخلي (يونيو ١٩٥٥)، وعودة المجلة في سلســلتها الرابعة إلى الظروف السياسية التي أوجبت عليها الانكماش (راجع افتتاحية عدد يناير ١٩٥٦).

ولا بــد من القول في نهايــة هذا النص: إنه لا يمكــن البتة التأريخ لتيارات الفكر والأدب التونســيين من جهة، ولرسالة العمل الثقافي في دعم الهوية العربية الإســلامية للشعب التونســي من جهة أخرى دون دراسة الدوريات الوطنية الصادرة بين ١٨٨١ و١٩٥٦.



المحتويات (العدد ٧٠) ١٥ اكتوبر ٢٠٠٧

أسعار النسخ وقيمة الاشتراكات

الكويت	١دينار	الجزائر	١٢٠دينارا
السعودية	١٥ريالا	اليمن	١٥٠ريالا
الأردن	١دينار	قطر	١٥ريالا
سوريا	٥٠ ليرة	سلطنة عمان	١ريال
البحرين	١دينار	لبنان	٥٠٠٠ ليرة
مصر	٢جنيه	الإمارات	١٥درهما
السودان	٢٠٠, جنيه	المغرب	٢٠درهما
تونس	٢دينار		

سعر النسخة خارج الوطن العربي ٣ دولارات أمريكية

الاشتراك في الكويت ٥ دنانير

في الدول العربية ٨ دولارات أمريكية

خارج الوطن العربي ١٦ دولاراً أمريكيا.

الاشتراكات

قسم الاشتراكات - مجلة العربي - وزارة الإعلام

ص.ب: ٧٤٨ الصفاة - الكويت الرمز البريدي ١٣٠٠٨

على طالب الاشتراك تحويل القيمة

بموجب حوالة مصرفية

أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام.

مكتب العربي الرئيسي في الكويت

ص. ب ٧٤٨ الصفاة - الكويت - الرمز البريدي: ١٣٠٠٨
بنيد القار - قطعة ١ - شارع ٤٧ - قسيمة ٣
هاتف البدالة 86 / 82 / 2512081(00965)
فاكس: (00965) 2512044

P.O.Box: 748 / Al Safat Kuwait.
E.mail: alarabimag@alarabimag.net
www.alarabimag.net

المراسلات باسم رئيس التحرير

مكاتب العربي في الخارج

القاهرة: الدقي - ٢٢ شارع البطل عدنان عمر صدقي
متفرع من شارع مصدق -
هاتف: ٣٣٧٢٩٣٨ (٠٢)
بيروت: ص.ب ٧٠٨٢٧ أنطلياس / لبنان
هاتف: ٤٠٨٤٠٧ (٠٣)
فاكس: ٤٠٥٠٧٢ (٠٤)

اصدارات كتاب العربي

١- الحرية	د. أحمد زكي «يناير ١٩٨٤»
٢- العلم في حياة الإنسان	د. عبد الحليم منتصر «أبريل ١٩٨٤»
٣- المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة	مجموعة كتاب «يوليو ١٩٨٤»
٤- العروبة والإسلام وأوربا	د. محمود السمرة «أكتوبر ١٩٨٤»
٥- العربي ومسيرة ربع قرن مع: الحياة.. والناس.. والوحدة في دول الخليج العربي	مجموعة كتاب «نوفمبر ١٩٨٤»
٦- طبائع البشر	د. فاخر عاقل «يناير ١٩٨٥»
٧- حوار.. لا مواجهة..	د. أحمد كمال أبو المجد «أبريل ١٩٨٥»
٨- آراء ودراسات في الفكر القومي	مجموعة كتاب «يوليو ١٩٨٥»
٩- أضواء على لغتنا السمحة	محمد خليفة التونسي «أكتوبر ١٩٨٥»
١٠- الكويت ربع قرن من الاستقلال	مجموعة كتاب «يناير ١٩٨٦»
١١- نظرات في الواقع الاقتصادي المعاصر	د. حازم الببلاوي «أبريل ١٩٨٦»
١٢- السلوك الإنساني.. الحقيقة والخيال	د. فخري الدباغ «يوليو ١٩٨٦»
١٣- آراء حول قديم الشعر وجديده	مجموعة كتاب «أكتوبر ١٩٨٦»
١٤- المسلمون والعصر	مجموعة كتاب «يناير ١٩٨٧»
١٥- من أسرار الحياة والكون	د. عبد المحسن صالح «أبريل ١٩٨٧»
١٦- دراسات حول الطب الوقائي	مجموعة كتاب «يوليو ١٩٨٧»
١٧- خطاب إلى العقل العربي	د. فؤاد زكريا «أكتوبر ١٩٨٧»
١٨- المسرح العربي بين النقل والتأصيل	مجموعة كتاب «يناير ١٩٨٨»
١٩- الفلسطينيون من الاقتلاع إلى المقاومة	مجموعة كتاب «أبريل ١٩٨٨»

٢٠- أندلسيات	محمد عبد الله عنان «يوليو ١٩٨٨»
٢١- ماذا في العلم والطب من جديد؟	مجموعة كتاب «أكتوبر ١٩٨٨»
٢٢- الإسلام والعروبة في عالم متغير	د. عبد العزيز كامل «يناير ١٩٨٩»
٢٣- الطفل العربي والمستقبل!	مجموعة كتاب «أبريل ١٩٨٩»
٢٤- القصة العربية أجيال وآفاق	مجموعة كتاب «يوليو ١٩٨٩»
٢٥- تاريخنا... وبقايا صور	د. شاكر مصطفى «أكتوبر ١٩٨٩»
٢٦- الإنسان والبيئة صراع أو توافق؟	مجموعة كتاب «يناير ١٩٩٠»
٢٧- نافذة على فلسفة العصر	د. زكي نجيب محمود «أبريل ١٩٩٠»
٢٨- نظرات في الأدب والنقد	عبد الرزاق البصير «يوليو ١٩٩٠»
٢٩- الإسلام وضرورة التغيير	د. محمد عمارة «يوليو ١٩٩٧»
٣٠- الخليج العربي وآفاق القرن الواحد والعشرين	مجموعة كتا « أكتوبر ١٩٩٧»
٣١- القصة العربية.	مجموعة من الكتاب «يناير١٩٩٨»
٣٢ - أرقام تصنع العالم	محمود المراغي « أبريل ١٩٩٨ »
٣٣ - على جناح طائر	د. شاكر مصطفى « يوليو ١٩٩٨ »
٣٤ - المسلمون من آسيا إلى أوربا	مجموعة من الكتاب « أكتوبر ١٩٩٨»
٣٥ - إسبانيا.. أصوات وأصداء عربية	مجموعة من الكتّاب « يناير ١٩٩٩»
٣٦ - ثورات في الطب والعلوم	مجموعة من الكتاب «أبريل ١٩٩٩»
٣٧ - نبش الغراب في واحة العربي	محمد مستجاب «يوليو ١٩٩٩»
٣٨ - المثقفون والسلطة في عالمنا العربي	أحمد بهاء الدين «أكتوبر ١٩٩٩»

كتاب العربي

اصدارات كتاب العربي

٣٩ - التعبير بالألوان	مجموعة من الكتّاب «يناير ٢٠٠٠»
٤٠ - حضارة الحاسوب والإنترنت	مجموعة من الكتاب «أبريل ٢٠٠٠»
٤١ - شهرزاد تبوح بشجونها	مجموعة من الكاتبات «يوليو ٢٠٠٠»
٤٢ - قوافي الحب والشجن	نخبة من الشعراء «أكتوبر ٢٠٠٠»
٤٣ - الطب البديل	د. محمد المخزنجي «يناير ٢٠٠١»
٤٤ - منمنمات تاريخية	سليمان مظهر «أبريل ٢٠٠١»
٤٥ - الإسلام والتطرف	نخبة من الكتّاب «يوليو ٢٠٠١»
٤٦ - الطريق إلى المعرفة	د. أحمد أبو زيد «أكتوبر ٢٠٠١»
٤٧ - إيقاع على أوتار الزمن	د. نقولا زيادة «يناير ٢٠٠٢»
٤٨ - دمار البيئة... دمار الإنسان	مجموعة من الكتّاب «أبريل ٢٠٠٢»
٤٩ - الإسلام والغرب	مجموعة من الكتّاب «يوليو ٢٠٠٢»
٥٠- ثقافة الطفل العربي	مجموعة من الكتّاب «أكتوبر ٢٠٠٢»
٥١- الثقافة الكويتية أصداء وآفاق	د. سليمان العسكري وآخرون «يناير ٢٠٠٣»
٥٢- جمال العربية	فاروق شوشة «أبريل ٢٠٠٣»
٥٣- كلمات من طمي الفرات	نخبة من الكتّاب «يوليو ٢٠٠٣»
٥٤- مرفأ الذاكرة	مجموعة من الكتّاب «أكتوبر ٢٠٠٣»
٥٥- مستقبل الثورة الرقمية	نخبة من الكتاب «يناير ٢٠٠٤»

٥٦- فلسطين روح العرب الممزق	نخبة من الكتاب «إبريل ٢٠٠٤»
٥٧- مراجعات في الفكر القومي	د.محمد جابر الأنصاري «يوليو ٢٠٠٤»
٥٨- الأندلس صفحات مشرقة	نخبة من الكتاب «اكتوبر ٢٠٠٥»
٥٩- الغرب بعيون عربية (الجزء الأول)	نخبة من الكتاب «يناير ٢٠٠٥»
٦٠- الغرب بعيون عربية (الجزء الثاني)	نخبة من الكتاب «أبريل ٢٠٠٥»
٦١- المعرفة وصناعة المستقبل	د. أحمد أبوزيد«يوليو ٢٠٠٥»
٦٢- غواية التراث	د. جابر عصفور «أكتوبر ٢٠٠٥»
٦٣ - نبش الغراب «المجموعة الثانية»	محمد مستجاب «يناير ٢٠٠٦»
٦٤- دائرة معارف العرب	جارالنبي الحلو-علي سيناحمد علي«أبريل٢٠٠٦»
٦٥- حوار المشارقة والمغاربة «الجزء الأول»	مجموعة من الكتاب «يوليو ٢٠٠٦»
٦٦- حوار المشارقة والمغاربة «الجزء الثاني»	مجموعة من الكتاب «أكتوبر ٢٠٠٦»
٦٧- الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي	مجموعة من الكتاب «يناير٢٠٠٧»
٦٨ - عن الدهشة والألم ٥٠ قصة بأقلام عربية	مجموعة من الكتّاب «ابريل ٢٠٠٧»
٦٩ - المجلات الثقافية مهمة الاصلاح وسؤال المعرفة (الجزء الأول)	مجموعة من الكتّاب «يوليو ٢٠٠٧»
٧٠ - المجلات الثقافية مهمة الاصلاح وسؤال المعرفة (الجزء الثاني)	مجموعة من الكتّاب «أكتوبر ٢٠٠٧»

المجلات الثقافية

مهمة الإصلاح وسؤال المعرفة (الجزء الثاني)

الطبعة الأولى: ١٥/١٠/٢٠٠٧

رقم الإيداع في مكتبة الكويت الوطنية :

Depository Number: 2007 /40

ISBN 978-99906-0-219-7 ردمك ٩٧٨-٩٩٩٠٦-٠-٢١٩-٧

هذا الكتاب

يصدر هذا الجزء الثاني من كتاب «المجلات الثقافية.. مهمة الإصلاح وسؤال المعرفة» كي يكمل ملامح الصورة التي بدأت في الجزء الأول حول الدور الذي تقوم به المطبوعة الثقافية من أجل تعزيز قيم الثقافة العميقة والعمل على تطورها.

وكلاهما حصيلة للندوة المهمة التي أقامتها «العربي» تحت عنوان «المجلات الثقافية ودورها في الإصلاح الثقافي» وشارك فيها نخبة مختارة من المفكرين والكتّاب العرب ورؤساء تحرير عدد من المجلات الثقافية. ويلقي هذا الكتاب الضوء على عدد من المجلات النوعية التي صدرت في أماكن عدة من وطننا العربي، ففي الخليج - برزت أكثر من تجربة كان لها دورها الريادي في عملية الإصلاح الديني والثقافي. وفي المغرب ارتبط دور هذه المجلات بالدفاع عن اللغة والهوية. ثم تطوّرت العديد من هذه المطبوعات لتصبح نوعية، وأميل إلى التخصص لتدافع عن ملمح من ملامح حضارتنا العربية. وسوف يدرك القارئ بعد أن ينتهي من قراءة هذا الكتاب بجزئيه أن الدور الذي قامت به المجلات الثقافية لم يكن مقتصرًا على النخبة، ولكنه كان يهدف إلى إيصال رسالته لكل المهتمين بالتنوير والإصلاح.



المجلات الثقافية .. مهمة الإصلاح وسؤال المعرفة (الجزء الثاني)

وزارة الإعلام: مطبعة حكومة الكويت